عبدالله القصيمي

الفصل الحاسم

بين الوهابيين ومخالفيهم

مؤسسة الانتشار العربي

الفصل الحاسم
بين الوهابيين ومخالفيهم

عبدالله القصيمي

مؤسسة الانتشار العربي
Arab Diffusion Company

عبدالله القصيمي

الفصل الحاسم
بين الوهابيين ومخالفيهم

مؤسسة الانتشار العربي

ص.ب 113/5752
E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت-لبنان
هاتف: ٩٦١-١٦٥٩١٤٨ فاكس: ٩٦١-١٦٥٩١٥٠

ISBN 9953-476-88-8

الطبعة الثانية ٢٠٠٧

فهرس الفصل الحاسم

المقدمة ٩
وصية ملك الحجاز لولي عهده ١٣
توحيد الألوهية والربوبية، والفرق بينهما ٢٥
شبهاتهم على إشراك الكافرين في الربوبية وجوابها ٣٥
البراهين على إيمان المشركين بالله وبأنه خالق كل شيء ٤٣
الفرق بين توحيد الألوهية والربوبية وجوابها ٥٩
الفرق بين التوحيدين وبرهانه ٦٩
مسائل كبرى زلت فيها مجلة الأزهر ٧٥
إبطال التوسل الأزهري إبطالاً إجمالياً ٨٥
من هم الخوارج؟ ١٠٩
علو الله على عرشه ومناظرتنا الشيخ الدجوي فيه ١١٥
البراهين على علوه تعالى ١٣٧
آراء طائفة من عظماء المصريين في التوسل ١٥٩
خطاب إلى الشيخين الدجوي والظواهري ١٦٧
واجب المصريين الوطني والديني نحو الأزهر والأزهريين ١٧٢
أمل ١٧٥

أسف

لو أنصفوا كنت المقدم في الأمر   ولم يطلبوا غيري لدى الحادث النكر
ولم يرغبوا إلا إلي إذا ابتغوا   رشاداً وحزماً يعزبان عن الفكر
ولم يذكروا غيري متى ذكر الذكا   ولم يبصروا غيري لدى غيبة القدر
فما أنا إلا الشمس في غير برجها   وما أنا إلا الدر في لجج البحر
بلغت بقولي ما يرام من العلا   فما ضرني فقد الصوارم والسمر
وما ضرني ألا أروح واغتدي   بأردان مجدود على سانح يفري
أسفت على علمي المضاع ومنطقي   وقد أدركا ـ لو أدركا ـ غاية الفخر
أرى كل قوم يحفظون أديبهم   ويجزونه بالعز والمال والشكر
خلا معشري؛ ما عندهم لأديبهم   سوى الحسد الممقوت والبغض والهجر
إذا قام فيهم ناشئ ذو مخايل   تدل على العلياء والحسب الحر
أطاحوه غضاً قبل أن يبلغ المدى   وتاموا على أعواده الخضر بالكسر
ومما شجاني أن أراهم إذا رأوا   غبياً دعيّ العلم والدين والشعر
تولوه بالألطاف والعطف والرضا   وذلوا له ذل الحوادث للدهر
فكم عز فيهم من جهول مبلد   وكم ذل منهم من عليم ومن حبر
لقد ضقت ذرعاً بالبيان فإنني   رأيت بياني ناقصاً عندهم قدري
ورغبني في الجهل أني رأيتنا   يسود لدينا كل من لم يكن يدري
نوائب دهر تترك الحر حائراً   وليس بمظلوم لديه سوى الحر
يري الجاهل المأفون فيه منعماً   له الفلك المسعود يجري بما يجري
له الناس والدنيا جميعاً خوادم   فهذا له عبد، وهذا له مطري
يزاد نعيماً كلما زاد جوره   ويكبر شأناً كلما زاد من كفر
أطاعت له الأيام حتى لو انه   تأبى طلوع الشمس ما طلعت تجري
متى شئت أن تلقى جهولاً مراسا   وجدت كثيراً ذا جلال وذا يسر

وإن شئت حراً راضي العيش لم تجد ... ولكنه بين المهانة والعسر
أعلل نفسي بالأكاذيب والمنى ... وقد ينفع الكذّاب في ساعة الشر
فلولا رجائي والرجاء مخادعي ... لعذت بشر لا يضيق به صدري
تذوقت أنواع البلاء فلم أجد ... بلاء كمثل الظلم والذل والقسر
وما غاظني مثل امرىء ذي فهاهة ... يسود علينا بالقضاء وبالوفر
إذا ما سألت الدهر حقي يقول لي ... تنح، فما للحر حق لدى الدهر
وإن قلت سالمني على الجو قال لي ... غلطت فما سالمت مذ كنت من حر
وإن قلت فيم يكسب الجاه والغنى؟ ... يقل لي بنكران الفضائل والحجر
تشك إلى ما منه أشكو ومفزع ... إلى ظالمي؛ كيف الخلاص من الأمر؟
إذا ما نظرت الناس والرزق بينهم ... تيقنت أن العقل ضرب من الفقر

عبد الله بن علي النجدي القصيمي

المقدمة

قال بعض الحكماء: لا يزال الناس بخير ما قالوا للمخطىء: أخطأت وللمصيب أصبت، وكان أكثر ما دفعني إلى هذا النقد القارص هو تهجمهم على خلاصة المسلمين اليوم، ورميهم إياهم بالعظائم وتهييج المسلمين عليهم لمآرب لا تخفى على ناقد.

وليعلموا أننا لا نجادلهم إلا ببعض عقولنا فما جادلنا أحداً منذ تعاطينا الجدل بكل عقولنا إلا أناساً معدودين ليسوا منهم، وليغض القارىء عما قد يجد في أثناء الكتاب من ضعف في المآخذ أو العبارة. فإن الكمال المحض للرحمٰن وحده. وقد حال بيني وبين اتقانه اتقاناً أرضاه رضواناً مطلقاً ـ هموم في همم لو تسلط أضعفها على من يجد لديه الضعف والكسل مكاناً لما مسك قلماً ولما أبدى رأياً. وقديماً قالوا: الهم قيد الحواس. ولا تذهبن سيئاته ـإن كانت بحسناته فإن الحسنات يذهبن السيئات. ولا يكبرن عليك ما ترى في الكتاب من بعض الشدة. فإننا ما فعلنا ذلك إلا غضباً لله وغيرة على دينه، وما جازيناهم إلا ببعض ما بدأونا به. هذا وأنا أرجوك أيها القارئ أن تقرأ الكتاب متجرداً من الهوى والعصبية مؤثراً البرهان على المشايخ والآباء والعادات. غير ناظر إلا إلى الحق، وقد قال أرسطو: أستاذي صديقي والحق صديقي فإن تنازعا فالحق أولى بالصداقة، وعليك بالإنصاف فإن خلق الإنصاف من أفضل ما وهب الإنسان، وفي نور الإسلام «وقلة الإنصاف تحدث في العلم فساداً كبيراً ذلك لأن من لا يقدِّر الإنصاف قدره قد يرى بعض الآراء العلمية الصحيحة قد صدرت من شخص لا يرتاح هو لأن تكون قد صدرت منه. فيقابلها بالرد والإنكار. وقد تكون له براعة بيان. فيصرفها في تشويه وجه الحق. وهو يرى أنه حق فيظهر الجهل على العلم، ولو في فئة قليلة أو دائرة صغيرة» وقالت أيضاً: «قلة الإنصاف تخذل

العلم وتطمس شيئاً من معالمه والإنصاف يزيد العلم ويجعل موارده صافية سائغة، ولو أخذ الإنصاف حظه من نفوس جميع الباحثين عن الحقائق لقلت مسائل الخلاف في كل علم فيكون حفظ العلوم أيسر، ومدة دراستها والرسوخ فيها أقصر» وقالت أيضاً: «قلة الإنصاف تسقط احترامك من القلوب والإنصاف يزيد احترامك في القلوب مكانة ذلك لأن إنصافك للرجل يدل على صفاء سريرتك ونقائها من أن تكون قد حملت شيئاً من دنس الحسد أو حام بها الغلو في حب الذات».

هذا وأنا أتحدى المخالفين وأسألهم الإبطال لما كتبت إن كانوا قادرين عليه بالحق لا بالتهويش والسباب. وأنا أعاهد الله وأقسم لهم به إني راجع عن كل مسألة أروني غلطي فيها. وشاكرهم على ذلك أوفر الشكران. وأنا أدعوهم أيضاً صغاراً وكباراً إلى المناظرة. شفاهاً أو كتابة إن شاؤوا في كل ما يخالفوننا فيه، وفي كل ما كتبنا نقضاً عليهم، بل إنا نجيبهم إلى كل ما دعونا إليه ما دام يرضاه البرهان وما دام ينصر الحق والحقيقة، ولو كان علينا فيه غضاضة فإن لم يفعلوا فليدعوا العناد وليرجعوا إلى الصواب ويعترفوا به فإن الرجوع إلى الصواب بعد وضوحه أشرف بالمرء من إصراره على الباطل وأبقى لشرفه وعرضه عند الله والناس. وفي نور الإسلام «قال الشافعي (رضي) ما ناظرت أحداً على الغلبة ووددت إذا ناظرت أحداً أن يظهر الحق على يديه» ولا يقولن قائل: أنا في غنى عن النظر إلى هذه الخلافيات فليس ثم غنى عن تصحيح عقيدته وبنائها على اليقين والصواب. والناس يحتاطون لملابسهم ومآكلهم وأدويتهم ويذهبون فيها إلى اليقين والصحة ما وجدوا إلى ذلك مذهباً. فكيف الدين؟ ولو اختلف طبيبان على شيء فقال أحدهما: تناول هذا الدواء قاتل، وقال الآخر نافع لما تناوله إنسان يشفق على نفسه.

هـذا ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝﴾، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾.

عبد الله بن علي النجدي القصيمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ
مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا
لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ
كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)﴾(١) ... ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ
أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ
دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ
هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥) لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ
يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧)
الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ (١٩)﴾(٢) ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ
وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ
مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ (٣٧) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ
أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨)
قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ
وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٤٠)﴾(٣) ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا
يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ
إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا

---

(١) سورة الزمر، الآيات: ١ ـ ٣.
(٢) سورة الزمر، الآيات: ١١ ـ ١٩.
(٣) سورة الزمر، الآيات: ٣٦ ـ ٤٠.

ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (١) ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ (٢) ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

أما بعد فلا ينكر أحد أن الحكومة العربية السعودية هي الحكومة الإسلامية الناهضة المستقلة، التي نهضت بالعرب والإسلام الصحيح، وأشادت باسمهما بعدما كادت تقضي عليهما العوامل السياسية الأجنبية، ورفعتهما حتى انتعلا القمرين بعد أن لم يكونا شيئاً مذكوراً، ولا أحد ينكر وثباتها القوية الدائبة إلى الرقي والكمال؛ ولا إصلاحاتها المتجددة المثمرة التي صارت بها حديث المشرقين والمغربين ولا أحد ينكر أن سيد العرب العظيم الملك عبد العزيز بن سعود قد جمع خلال الرجل الكامل، والسيد المطلق؛ من حكمة وشجاعة ورفق وكرم وعقل إلى آخر خلال المدح والثناء والصلاح، وقد عرف له ذلك الناس جميعاً حتى المستشرقون من الأجانب الذين تعرضوا للكتابة عن العرب الإسلام وعن الجزيرة العربية ولا يوجد كاتب عربي ولا صحيفة عربية في مصر وغيرها إلا تصوغ كلمات المدح والإطراء بحق وجدارة على ذلك الملك الهمام في كل مناسبة، ولا سيما في الأوقات العصيبة التي تزيد هذا الملك كلما تفاقمت حباً في القلوب، وبعداً في الصيت؛ وقد امتلأت صفحات الجرائد المصرية من الثناء عليه في إبان ثورة الدويش وابن رفادة ومدحته مديحاً دونه مدائح أبي الطيب كلها في سيده سيف الدولة الحمداني ونوهت جميعاً بخطبته الرائعة التي ألقاها على عظماء الحجاج في العام المنصرف وزينت بها عمدها وسر بها كل المسلمين القريبين والبعيدين المحبين للعرب والإسلام، وشهدوا صادقين أن مثل هذه الخطبة لم يؤثر مثلها إلا عن الخلفاء الراشدين الذين ضمنهم التاريخ، وكذلك فعلت بوصيته لولي عهده سمو الأمير سعود وقد رأيت أن أثبت هذه الوصية هنا لتكون هدياً يسير على ضوئها العرب والمسلمون.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤١.

وصية جلالته لولي عهده

قد أرسل جلالته إلى ولي عهده بعد أن صدر الأمر العالي بتوليته العهد يوصيه بما يصلح الدنيا والدين قال جلالته:

«برقيتك وصلت وقد أحطنا علماً بما جاء فيها، وهذا أملنا فيك؛ نرجو أن الله يرزقنا وإياك الهدى والتوفيق.

وقد أحببت أن أكرر عليك نصائحي. توجه فيصل وإخوانك إلى الرياض وبرفقتهم وفد من الحجاز. والحقيقة أننا رأينا في الحجاز أمراً ما كنا نظنه. كنا على يقين من إخلاصهم وولائهم. ولكن الأمر تجاوز الحد وفوق ما كنا نظن؛ فقد شاهدنا منهم محبة وشفقة على ولايتهم ونصحاً للمسلمين عظيماً. نرجو أن يوفقنا الله وإياهم للخير. أما أهل نجد فقد كتبنا لهم كتباً وعرفناهم أننا أجبنا طلبهم فيما يتعلق بولاية العهد؛ وأما الأمر الذي أكرره عليك وأوصيك به فهو:

الأمر الأول: تقوى الله والمحافظة على ما يرضيه، وتفهم أن الحجة قائمة على البشر بعدما أرسل الله أفضل رسله، وأنزل أفضل كتبه، فلا يوجد بعد كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وسلامه حجة لأحد، لأنها المبينة المبشرة بالخير بحذافيره؛ والمحذرة والمنذرة عن الشر بحذافيره، فلا حجة ولا معذرة بعد ذلك. ثم تفهم أننا نحن آل سعود ما أخذنا هذا الأمر بحولنا ولا بقوتنا إنما منَّ به الله علينا بسبب كلمة التوحيد.

وتفهم أن كلمة التوحيد معناها الإخلاص لله بالعبادة والانقياد له بالطاعة. أما الانقياد فهو اتباع أوامره واجتناب نواهيه، والعمل بالجميع بإخلاص ونية ومتابعة. فبحول الله وقوته ما اعتصم أحد بالله وقام بسنة رسوله إلا وفق وهُدِيَ والكلام بذلك يطول وزبدته ما ذكرنا.

الأمر الثاني: معلومك أننا في آخر زمان ولقد أصبح الشح مطاعاً والهوى متبعاً وأعجب كل ذي رأي برأيه، فبموجب هذا يخشى من التغيير والتغير. قال

الله سبحانه في محكم كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(١) وزبدة الحياة قائمة على قواعد (الأولى) ما ذكرنا أعلاه، (والثانية) مكارم الأخلاق كما قال رسول الله ﷺ لعائشة ﵂ «يا عائشة ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا والآخرة» وقال الشاعر:

لو أنني خيرت كل فضيلة ... ما اخترت غير مكارم الأخلاق
كل الأمور تبيد منك وتنقضي ... إلا الثناء فإنه لك باق

وحسن الخلق يشتمل على أمور كثيرة، منها معاملات الخلق بالإنصاف والعدل ومنها حفظ سمت العرب وأخلاقهم كما قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ومنها بذل النفس والمال والنصح في محاله ومواجبه.

الأمر الثالث: الحزم في جميع الأمور، منها ما رواه بعض الأدباء عن انحطاط دولة بني العباس فقال أحدهم للآخر: إنهم قربوا أعداءهم تأليفاً لهم، وأبعدوا أصدقاءهم وثوقاً بهم، خزنوا المال، وأهملوا الجند، وتركوا حقوق الناس؛ فلما وقع الأمر، وادلهم الخطب؛ وثب عليهم عدوهم، وتباعد عنهم صديقهم؛ وصار الجند في ضعف؛ ولم ينفع المال لفوات الفرصة.

ويجب الحزم في مواقف أهمها تقريب المتقدمين من جميع الأصناف سواء منهم من كان قريباً أو بعيداً؛ وأخذ خواطرهم؛ وعدم تركهم سدى وإبعادهم بزلة بسيطة لا تلحق بالدين ولا بالولاية؛ وأن يتألف من كان من الرعية على قدر عقله؛ ويجلب خيره ويدفع شره، وأن تكون الحامية موجودة في كل محل ممن يوثق به وثبتت بالتجربة أفعاله؛ وأن يؤمر الناس جميعهم بالمعروف وينهوا عن المنكر؛ وأن يعاملوا بالعدل؛ ولا شيء أعدل من شريعة محمد، أما في الأمور التي تحيلها الشريعة إلى الولاية فهذه ينظر فيها حسب المصلحة والأشخاص والأوقات بدون تشنيع أو تنفير، وعدم مداهنة أو إرخاء العنان؛ والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٢) وقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾(٣).

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

ثم بعد ذلك تفهم أن كل شيء له حامية ومرجع؛ ومرجع المسلمين وحماتهم دينهم وعلماؤهم؛ فالعلماء كالنجوم؛ زينة للسماء، وقدوة للسارين، ورجوم للشياطين؛ وليس العلماء في المقام على السواء، منهم من يؤخذ علمه ورأيه، ومنهم من يؤخذ علمه ولا يناقش في الرأي؛ لأن أخذ الرأي من الكبير الذي يعرف الأمور، وعدم العمل برأيه ليس بطيب، إنما يعمل مثل ما قال النبي صلوات الله وسلامه عليه: «ليلني منكم أولو الأحلام والنهى»، والعمدة على كل حال على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله والسلف الصالح والخلفاء الراشدين ومن حذا حذوهم من الأمراء ورؤساء المسلمين سابقاً ولاحقاً.

وعليك بحفظ العهود والمواثيق كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا﴾(١) سواء كان العهد مع بار أو فاجر؛ عملاً بقوله: «فانبذ إليهم على سواء» لأن الغدر مذموم في الشرع وعاقبته وخيمة مع أي كان.

ثم عليك أيضاً النظر في مصالح المسلمين وولايتهم في الصلح والحرب وفي جميع الحوادث؛ فما كان من التمادي فيه مصلحة للمسلمين أو كف شر فهذا واجب العمل به؛ وما كان منه سعي وراء طمع أو إرهاق للنفوس فيجب التروي فيه كما قال الشاعر:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني

وكما قيل:

وأحزم الناس من لم يرتكب عملاً ... حتى يفكر ما تجني عواقبه

التبصر والتفكر والتعقل مذكور في كتاب الله وهو المعول عليه.

ثم بعد ذلك عليك النظر في أقوال الناس وأهوائهم وآرائهم والتثبت في ذلك كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝﴾(٢)، فالتأني في تبين أمور الناس والتفكر فيه وعدم العجلة به يظهر الحقيقة ويحل المشكل.

ثم بعد ذلك عليك النظر في حال النفس، وما تحتوي عليه من عز وشرف ولذات، فهذا أمر شاق وجهاد كبير، ولا علاج له إلا ثلاثة أمور:

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٦.

الأول: التضرع إلى الله بقول: اللهم ألهمني رشدي وأعذني من نفسي فبالاستعانة به يُكفى ابن آدم شر كل شيء.

الثاني: يعرض الإنسان ما بدا له وما طمح إليه على كتاب الله وسنة رسوله فما وافقهما عمل به وما خالفهما تركه والله سبحانه خير عوض في كل حال من الأحوال.

الثالث: النظر في أفعال أهل العلم والعمل والحقيقة لأن في اتباعهم خير قدوة.

ثم عليك ذلك في المعاملات الداخلية من أي جهة كانت سواء في الأمور الاقتصادية، أو في حالة الأمراء وأعمالهم مع الولاية والرعية أو في الوزراء وسيرتهم، أو في حالة الناس فيما بينهم، فإذا دقق الإنسان النظر في هذا مع إخلاص النية وحسن القصد تبيّن له الأمر وكان على بصيرة وهداية.

ثم بعد ذلك عليك النظر في الأمور الخارجية وأحوال الزمان وتقلباته وما تسير الدول عليها في علاقاتها الخارجية. والدول كالأفراد تتآلف وتتفق طبقاً للأغراض والمصالح؛ وأساس صلاتها قائم في تبادل المصالح وتقارض المنافع ودفع الأذى وحماية الثغور؛ فعليك التبصر في سياسة كل دولة ومعرفة أغراضها معرفة حقيقية تمكنك من انتهاج خطة صريحة حيالها، فيما يوليكه الله من بلاد أنت المسؤول عن المحافظة على حرماتها؛ ودفع العدوان عنها، وجلب الخيرات واستكثار المصالح والمنافع لها.

وعليك الحذر والتأني في تلقي ما ينقل إليك من الأخبار عن نوايا الدول، وخذ ما يلقى إليك بالعقل والروية ولا تسر فيه بحكم الهوى والأماني، واحذر من كلام يظهر لك في ظاهره النصح وهو كلام حق يراد به غيره، واتخذ ديدنك النظر فيما كان من أفعال الحكومات ومواقفها تجاهنا، واجعل سياستك قائمة على مصافاتها باطناً وظاهراً ومسالمتها سراً وعلانية، واعلم أيضاً مقامك ومقام بلادك بين المسلمين وبين أبناء قومك العرب. ولا تنس واجبك تجاه كل مسلم وكل عربي، واعمل في كل ذلك كما قيل: لكل مقام مقال ولكل يوم شأن.

الحقيقة أنني قد أطلت عليك الكلام وهذا شيء لم أرده ولا يمكن أن تعمله

بالعجلة. ولكن إذا أحسنت النية من جهة الله وسألته التوفيق، واستخرت وشاورت أهل الخبرة الناصحين وكل مَنْ عرفته من المختصين به فبحول الله وقوته على طول الزمان تحصل النتيجة.

أحببت أن أبيّن لك ذلك حتى تضعه نصب عينيك وتفكر فيه في فراغك لأن هذا من واجبات الدين وواجبات الولاية، ومن الخواص التي لا يستغني عنها ولاة الأمور. نرجو من الله أن يوفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

يوم الجمعة أول صفر سنة ١٥٣٢هـ

عبد العزيز

ومع ذلك كله فقد أبت السياسة الغاشمة على مشيخة الأزهر وعلمائه إلا محاربة هذا الملك ومحاربة حكومته ورجال دينه، وحربها لهذا الملك ولأمته قسمان، سلبية وإيجابية، أما السلبية فهي أنها لا تذكر لها حسنة عملتها، ولا خيراً أسدته، ولا تكتب كلمة في مصلحتها وإفادتها، ولا تذكر شيئاً قد يعود عليها بنفع ولا تفعل أمراً تعلم أنه يرضيها وتوده؛ ولا تستاء إذا استاءت. ولا تفرح إذا فرحت، ولا تنكر كيداً يراد بها، وبالجملة لا تأتي شيئاً لها فيه منفعة وإن كان فيه منفعة الإسلام والمسلمين، وتتبع الحوادث القريبة والبعيدة تعلم ذلك: انظر مثلاً موقفهم من فتنة ابن رفادة، فالعرب والمسلمون أنكروها أشد الإنكار، واحتجوا عليها، وعدوها من المكائد الاستعمارية التي يراد بها القضاء على الإسلام وعلى استقلال بلاده، أما هؤلاء المشايخ فلم يكتبوا كلمة إنكار لتلك الثورة المغضوب عليها لا في مجلتهم ولا غيرها، بل أخذوا يضرمونها بالطعن على الحكومة والقدح في عقائدها حين اضطرامها. وفي هذه الأيام لما علم زعماء العرب وعلماؤهم وأدباؤهم ذلك الخلاف بين الإمامين يحيى ملك اليمن، وعبد العزيز ملك العرب شقَّ عليهم أمره، وخافوا عواقبه الخطيرة، فاجتهدوا في النصيحة للملكين، وحذروهما سوء المصير، فأرسلوا برقيات وخطابات ملؤها النصائح الفائضة بالإشفاق على الإسلام والعرب. أما مشايخ الأزهر فلم يكتبوا في ذلك كلمة ولم يبدوا نصيحة، وقد عابهم الناس لذلك، فكتبت إحدى الجرائد اليومية المصرية تلوم شيخ الأزهر على أن لم يتدخل في الصلح وفي حل الخلاف، وطلبت منه أن

يتدخل ولكن من يسمع، بل أخذت مجلته في الوقت نفسه تقدح في الحكومة السعودية، وترميها بالخروج عن الإسلام وبتكفير المسلمين، وسفك دمائهم، ولا يخفى عليك ما في هذا من التحريض والتهييج الذي يراد به ما يراد وهذا كان موقف هذه المشيخة إزاء مشكلة سكة الحديد الحجازية ومشكلة العقبة.

وأما الثاني: وهي الحرب الإيجابية فأروي لك منها ضروباً:

الضرب الأول: نشر الدعاية العدائية ضد هذه الحكومة وملكها بين طلبتهم ومن يسمع منهم بمناسبة وغير مناسبة، حدثني أحد طلاب الأزهر قال: ذكر جلالة الملك ابن السعود فعابه أحد مدرسينا وقال فيه كلمة بذيئة لا تخرج إلا من فم كائد للإسلام وأهله يقول الطالب فأنكرت عليه فما كان اعتذاره إلا أن قال إنه ينكر كرامات الصالحين!! قال فقلت له: إن هذا كذب عليه وافتراء يفتريه ذوو المطامع السياسية الخبيثة، وهبه ينكر ذلك أفيستحق لأجله أن يهجى ولا يستحق أن يطرى للأيادي البيضاء التي طوّق بها عنق الدين الحق وملأ بها أيدي العرب، وهبه يستحق ذلك أفيليق ذوقاً أو عرفاً أو ديناً أن تذم ملكاً عظيماً مسلماً بين صبية بلهاء. قال وقلت له: إذا كان ذلك من فضيلتكم حماسة للدين ولكرامات الصالحين فما لنا لا نسمع من أحد منكم يوماً كلمة في هجاء هؤلاء الذين امتصوا دماءنا وأفسدوا أخلاقنا المحمودة، وبدلوا ديننا الحق، وعملوا وعملوا قال: فاستكان ذلك المدرس ورمقه الطلاب بعيون الاستصغار والغضب. وروى لي طالب آخر أن مدرساً في الأزهر آخر عاب نظام الحكم في الحجاز ونجد وقسم الملكية إلى استبدادية ونيابية وعاب الأولى وقال ليس على الأرض اليوم ملكية استبدادية إلا في الحجاز ونجد (وقد كذب) يقول الطالب فقلت له إن شكل الملكية هنالك كشكل الخلافة الإسلامية وإن ملك الحجاز يمثل الخليفة الإسلامي أصدق التمثيل فهو يحكم البلاد بما يوجبه الكتاب والسنّة مستشيراً العلماء وأولي الرأي الصائب وهكذا تكون الخلافة والخليفة، ولو شئت لرويت لك في هذا الصدد روايات متعددة ومجالس هؤلاء المشايخ بالإجمال ـ ولا سيما كبراؤهم ـ تفيض بالعداوة لهذا الملك ولقومه جازاهم الله ما يستحقون.

الضرب الثاني: إذا أراد مدرس في الأزهر أن يؤدي فريضة الحج أحضره الشيخ الظواهري وألح عليه أن لا يفعل، وأراه أنه إن فعل فقد عرض نفسه

لغضب الأزهر عليه غضباً قد يودي بعيشه فإن أصر المدرس على مخالفة الشيخ وعلى إجابة الله ـ وما أقل ذلك فيهم ـ أراه أنه لا حق له فيما يتقاضاه من معاش الأزهر ما دام مشغولاً في حجه عن دروسه؛ وأول من عامل مدرسي الأزهر هذه المعاملة التي يراد بها القضاء على شعائر الإسلام وهدم أركانه هو شيخه الحالي الشيخ الظواهري وأنت خبير بما لذلك من الصد عن القيام بهذه الفريضة المقدسة التي لا يتم إسلام المرء إلا بها، وخبير أيضاً بالداعي إلى ذلك وما وراءه من غاية لا يراد بها إلا إصابة الإسلام في فؤاده. وتراهم لا يحثون على الحج في مقالة ولا خطبة ولا محاضرة، وهم يعلمون أن المسلمين ـ بله المصريون ـ مقصرون في شأن هذه الفريضة يندر من يؤديها؛ وهم يقرأون قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾(١) الآية، وقد شنت الجرائد المصرية الغارة على شيخ الأزهر حينما سن هذه السنّة السيئة التي سوف يلحقه وزرها في الدنيا والآخرة.

الضرب الثالث: فتواهم وزارة الأوقاف المصرية أنه يصح ديناً إنفاق الأوقاف الحجازية على المصريين، وهذه الفتوى بظروفها الحالية مخالفة كتاب الله وسنة رسوله ومذاهب أئمة المسلمين جميعاً بل هي من أعظم الخطيئات ولولا انقياد الأزهر للسياسة لما أفتوا هذه الفتوى، ولقاموا في وجه صاحبها منكرين ومانعين ويزداد سخطك إذا علمت غضبهم للأوقاف الأهلية، ومقالاتهم التي قالوا فيها: إن شروط الواقف كنص الشارع لا يجوز تغييره ولا مسّه بشيء من التعديل!!

الضرب الرابع: حينما فتحت الجيوش السعودية الحجاز أُلِّف في مكة المكرمة مؤتمر إسلامي عام مثله جميع المسلمين وكان رئيس الممثلين المصريين هو الشيخ الظواهري، فكان كلامه واقتراحاته كلها مشاكسة لحكومة الحجاز ومحادة لما ترمي إليه من إصلاح، حتى أنه كان يقوم بين المؤتمرين رافعاً عقيرته ويقول: الوهابيون يمنعون التوسل، ويمنعون دعاء الرسول، ودعاء الصالحين وها أنا أقول يا رسول الله أغثني يا رسول الله انصرني، وهو لا يريد من ذلك غير إحفاظ المؤتمرين على الحكومة، وإحفاظ الحكومة نفسها ورمي المؤتمر بالفشل

---

(١) سورة الحج، الآية: ٢٧.

والخيبة، والأسف أن هذا صنيعه مع أن جلالة الملك ورجاله كانوا يتتبعون رضوان جميع الوافدين ويحسنون مجاملتهم، ويتوددون إليهم، والملك مجبول على كريم الأخلاق وكرم الضيافة، حتى لأشد عدوانه. ولقد كان المصريون من ذلك في المحل الأرفع فالملك يجاملهم مجاملة خاصة لا ينالها غيرهم وهم يعترفون بذلك.

وقد ذهب ذلك الشيخ وفي صحبته أخوه لزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام والتوسل به كما يقول سنة ١٣٤٩هـ على ما أظن فصليا في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الجمعة، فسمعا الخطيب يأمر بعبادة الله وحده. وينهى عن عبادة غيره على حسب ما في القرآن فقام هذا الشيخ هو وأخوه وقاطعا الخطيب وقالا له: إنك كفرت ومرقت من الإسلام، وأمرا من في المسجد ألا يصلوا خلفه وأوجدا هياجاً ملأ مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ووصل إلى الأمير خبره ثم إلى الملك فاستدعاهما الملك وأكرمهما غاية الإكرام جزاء على صنيعهما السيئ.

فماذا يراد من هذه المشاكسة وما الغاية التي ترمي إليها؟ نحن ندع استنباطها والحكم فيها إلى القراء.

الضرب الخامس: علمنا بالروايات الصحيحة الكثيرة أن ابن رفادة المصروع بسيف الحق كان قبل قيامه بثورته نازلاً في مصر ضيفاً على قريب للشيخ الدجوي وكان يجالسه الدجوي مجالس طويلة ليس معهما فيها إلا الشيطان وعلى عقب تلك المجالس خرج ابن رفادة من مصر وأوقد نار تلك الفتنة التي حرق بها، والتي سوف يحرق بها من دفعه إليها.

ولا تستبعدن على هذا الشيخ؛ فقد كتب في مجلة الأزهر مراراً: إن السعوديين هم الخوارج المارقون الذين قال في شأنهم رسول الله ﷺ «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» وقال في المجلة أيضاً إنهم كفار وإنهم شر من قطاع الطريق وإنهم شرار الخلق والخليقة عند الله، وإنهم أضر الناس على الإسلام فإذا كان يقول هذه الأقاويل في حقهم غير مستتر فأهون شيء عليه أن يرى الثورة على حكومتهم جائزة أو واجبة.

الضرب السادس: آذت كل من ينتسب إلى السعوديين أو يراهم مسلمين أو يقول شيئاً من أقوالهم؛ وقد فصلت منذ ثلاثة أعوام بضعة وسبعين عالماً من أفضل علماء الأزهر لا لسبب غير اتهامها إياهم بكراهتهم الخرافات وحبهم الوهابيين وركونهم إلى دعوتهم الإصلاحية السلفية، وهي الآن تمتحن الطلاب في كراهية الوهابيين، فمن ظنته لا يكرههم أو رأته يحمل كتاباً من كتبهم وربما قضت عليه أو تحدثه، وقد امتحن الظواهري نفسه العلماء الذين قدموا للالتحاق بالبعث الأزهري الصيني فمن شم منه الرائحة السعودية لم يقبل منه صرفاً ولا عدلاً ولم يشفع له صلاح ولا علم، هذا على حين أن في الأزهر الذين يقدسون آراء طه حسين وإسماعيل مظهر وأمثالهم ويقدحون في خيرة المسلمين الأئمة الأربعة وسائر المحدثين بل بين جدران الأزهر من يلعن الصحابة ويكفرهم وينسب إليهم كل كبيرة، فليعرفهم شيخ الأزهر وليعرفنهم الشيخ الدجوي إن لم يكونا يعرفانهم، بلى؛ إنهما يعرفان طائفة الزيدية ويعرفان عقيدتهم في الصحابة على ما أحسب بل لهؤلاء اتصال بالشيخ الدجوي ولهم مجالس معه خاصة طويلة يجمعه وإياهم بغض الوهابيين وإن كان يفرق بينهم بعد كل شيء وقد قدمت فيهم شكاوى منذ أعوام لدى المشيخة فلم تعرها إذناً، وهم يحلون متعة النساء المجمع على تحريمها بين الصحابة والأئمة المرضيين، ويحلون أن يلبس الرجال الذهب وأن يتختموا به، فاستفتى الشيخ الدجوي في ذلك وطلبت منه الفتوى في نور الإسلام فتوثب للشتم والتفسيق فأخبر أن هؤلاء القائلين المحللين يكرهون الوهابيين ويحبون المتوسلين فعفا عنهم، ولدينا على هذه الأشياء شواهد؛ فماذا أنت تفهم أيها المتدبر؟ أرجوك أن تقف هنا طويلاً متفكراً متأملاً ما يريدون؟

الضرب السابع: في رواق الحجاز طالب لا هم له غير القدح في حكومة الحجاز والهجاء لسيدها، وكل الذين يعرفونه يعرفون ذلك منه لأنه لا يستتر بل يعلنه إعلاناً، وقد قدمت فيه عدة شكاوى من طلاب الحجاز وغيرهم لدى المشيخة فلم تلتفت لها، بل ازداد المشكو عندها وداً، وأخذوا يذهبون عنده يسمرون ويشربون، وقد اختاروا له أحسن غرف الرواق وأنزلوه أفضل منزلة إذا أذنب استغفروه وإذا أخطأ صوبوه، وهو مع هذا يسب سادات المسلمين ويرميهم بكل نقص ولكن هجوه للوهابيين كفّر ما تقدم من ذنبه وما تأخر لدى مشيخة الأزهر.

الضرب الثامن: لما زار سمو الأمير سعود ولي عهد الحكومة العربية مصر منذ سنوات أدى فريضة الجمعة في الأزهر، فأراد طالب أن يحييه بتحية شعرية نثرية فحالت المشيخة بينه وبين إلقاء التحية؛ ولكني لا أدري هل أسكتته بعد أن صعد المنبر وبدأ التحية أم منعته من الشروع فيها؛ على كل حال حالت بينه وبين تأدية التحية، وهي مع ذلك لم تر بأساً في أن تحتفل بقدوم ملكي إيطاليا وتبعث الطلبة بالعمائم والجبب تاركين دروسهم وصلاتهم إلى المحطة تشريفاً لهما وإكباراً وهي تعرف ما فعله شعبهما بالمسلمين والإسلام في طرابلس الغرب وبرقة؛ والذي نحمد الله عليه ونغتبط به ـ وإن كنا نُسائله من جانب آخر ـ أن هؤلاء الطلبة الأزهريين الموفدين للاحتفال بالملكين قد لقوا من تقريع عامة المسلمين وتوبيخهم والسخرية ما جعلهم يؤوبون نادمين على ما فعلوا سابين مشيخة الأزهر على إلقائها إياهم في تلك المسبة؛ وقد حيى الملكين بعض علماء الأزهر بتحية شعرية أغرق في مدحهما ونشرت هذه التحية في جريدة الأهرام باسم العالم الأزهري، وظني أنه لو قال هذه القصيدة في الملك عبد العزيز لعاقبته المشيخة عقاباً قد يكون هو فصله من الأزهر والقضاء على مستقبله.

الضرب التاسع: قد ضمنت التاريخ الذي يدرس في الأزهر الطعن على الوهابيين والقدح في دين إمامهم الأول ووصفه بما تبرأ منه الحقيقة وما ذلك إلا لأمر يراد من ورائه.

الضرب العاشر: ـ وهو آخرها ـ تلك الحملة الخاطئة التي حملتها عليهم في مجلتهم من يوم أن صدرت مجلة الأزهر إلى يومنا هذا وهي تقذفهم بالتكفير تارة والتفسيق أخرى.

غاظها وغاظ تلك الفئة التي تصرف الأزهر وأهله حسب رضاها تلك الدعوة السلفية الإصلاحية والنهضة المباركة الإسلامية العربية، التي ثبت أركانها أمراء آل سعود الكرام في الجزيرة العربية مهبط الوحي ومنبت النبوة، فتحايلوا للخلاص منها ومن عاقبتها المحققة سوء عاقبة المستعمرين وصنائعهم وأخذوا ضدها تدابير عديدة، وسعوا لإفنائها مساعي كثيرة، صار مصيرها والحمد لله إلى الفضيحة والخسران ونصرة أهل الحق والإيمان ففكروا في أن يناوئوها من طريق الدين وعلى حسابه وقديماً هدمت السياسة الدين على حساب الدين وحساب المحافظة عليه، فلم

يجدوا قواداً لهذه الحرب أكفل لنجاحها من مشايخ الدين، فدفعوا زعامة هذه الحرب وقيادتها إلى مشايخ الأزهر فتقدمت مجلة الأزهر وكبار رجاله، فتظاهروا بالغضب والحمية لآل بيت الرسول وللأولياء والصالحين والتوسل بهم، كما تظاهر الفاطميون قبلهم بالتذمر والعصبية للعلويين، فطفق مشايخ الأزهر يحرفون كلام الله وكلام نبيه، ويزيدون فيهما ويكذبون على العلماء وعلى المسلمين والإجماع وعلى العقل والمنطق لينصروا دعوة الأموات والتعلق بهم ليقولوا إن الوهابيين مبغضون للأولياء ولبيت النبوة جاحدون لكرامتهم وجاههم عند الله أن أنكروا دعاءهم، وأمروا بدعاء الله وحده، أخذوا يتلمسون الشبهات الوثنية على دعاء الموتى من القرآن مصوَّح بروح الوثنية ومن السنّة ومن كل ما كتب حتى من الأخبار الموضوعة ومن الأحلام والمنامات ومن أشعار الفساق المجان ومن كلام العامة وأفعالهم ومن كل ما هبّ ودب كما يقولون، وضمّنوا ذلك السباب والهجاء، ففتنوا كثيراً من البله الأغمار، وسحبوهم إلى باطلهم سحباً، فوجدت رد باطلهم لزاماً علينا نؤاخذ إن تركناه عند الله وعند الناس، فشخصت إلى بطل هذه الحملة الشيخ الدجوي في بيته وطلبت إليه أن يكف عن هؤلاء المصلحين وأن يجانب طريقه المعوج، وألححت عليه في الرجاء وقدمت بين يديه من الوعد والإيعاد، وعالجته بالقسوة واللين، فأبى إلا أن يزداد من هجائهم وقال إنه لن ينتهي أبداً، فأريته أن لديه من هو أحق بالمناوأة منهم لو كانوا يستحقونها. أريته الملحدين والمبشرين والمستعمرين وما في القطر من أنواع المحرمات التي أحلّها قانون حكومته فرتع بها قومه سراً وجهراً، فلم يقدر أن يفهم ولا أن يعترف أن في الدنيا أضل من الوهابيين ولا أحق بالإيذاء منهم وقال بالنقل الحرفي: إنهم يستحقون أكثر من ذلك قالها ثلاث مرات يرفع بها صوته، فلما رأيت وسائلي قد بطلت عنده وأن رقاي لم تفده تلطفت في طلب المناظرة منه فيما كتب في ذلك وطلبت منه أن نضع كل ما جاء به ضدهم على بساط المناقشة الهادئة العادلة ليرى المخطىء من المصيب. وقلت: إنك تكتب دائماً: «ومن علامات الراسخين في العلم أنهم يتهمون أنفسهم ولا يقدسونها» فاتهم نفسك وساجلنا البحث فأبى إباءً شديداً وقال: إنه عليل لا يقوى على كلامنا فقام وتركنا.

ثم رجعت إلى القلم، فكتبت كتاب (البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية) فنسفت به كلّ ما صنعه فلم أدع لهم كلاماً ولا مأخذاً، فاعترف الموافق

والمخالف بإفحام هذا الكتاب لهؤلاء حتى قال أحد كبار علماء الهيئة في الأزهر: «عجبت من الشيخ الدجوي كيف استطاع أن يعيش بعد كتاب النجدي وأعجب منه أن يحاول الكلام في الوهابيين بعد أو يحاول الرد عليهم أو يحاول إثبات الوسيلة وتصحيحها» وقد غدا صبيحة الليلة التي خرج فيها الكتاب عاصباً رأسه بعصابة سوداء متمرضاً ولم يستطع أن يلقي درسه، وأخبرني متصل به محب له أنه لا يفتأ بعد كتابي يصخب ويسب وينادي بالويل والثبور ولم يقدر أن يرد على مقدمة من مقدماته، ولا أن يشاكس في نتيجة من نتائجه وهو المخالف المشاكس، فعددنا ذلك منه إقراراً بالعجز واعترافاً بالغلب لنا والحمد لله وحده بل قد ترك الكتابة في الوهابيين ـ وهي قرة عينه ـ بعد صدور الكتاب ووجم وجوماً مريباً، فحسب الناس أنه لن يعود لهذا الباب أبداً وأنه انهزم كل الانهزام، ولكن بعد مضي ثلاثة شهور أخذ يهاجمهم في أبواب أخرى في مسألة الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام بعد الأذان جهراً وغيرها من البدع والخرافات وأخذ يزيد في العبادات، وفي أحكام الدين الحنيف ويخرق إجماع المسلمين ويخالف صريح القرآن وصرائح السنّة المطهرة ويقول إنها بدع حسنة ويستدل لذلك من نصوص الدين ويستدل على أن من البدع ما هو حسن محبوب لله وإن خالف النصوص والمعقولات، فرجعت عليه ووضعت كتاب «شيوخ الأزهر والزيادة في الإسلام» ذكرت فيه البراهين العقلية والنقلية على أن الابتداع في الدين ضلال كله، وقد ذكرت على ذلك ستة وعشرين برهاناً ما بين عقليات ونقليات كل برهان منها معجز لهذا الخصم، ورددت عليه أيضاً في مسألة الصلاة على الرسول بعد الأذان جهراً كما أنني قد ذكرت فيه جميع شبهاتهم العقلية والنقلية على القول بالبدعة الحسنة وأبطلتها أيما إبطال؛ إبطالاً لا قِبَل لهؤلاء بمقاومته فلم يقدروا على الرد على شيء فيه أيضاً. بل أذعنوا له كما أذعنوا لكتاب البروق قبله فتم الغلب لنا في البحثين، وصار الحق من نصيبنا في الكتابين؛ والحمد لله وحده على نصره لنا.

إلى هنا أبطلنا عليهم كلّ ما نازعوا الوهابيين عليه وأثبتنا أن الحق من حظ الوهابيين فيه باعتراف الجميع وباعتراف الأزهريين أنفسهم، وبعجزهم عن المعارضة والمنازعة ـ وهم أشد الناس هياماً بالاعتراض والنزاع.

توحيد الألوهية والربوبية، والفرق بينهما

وبعد ما تقدم كله خرج الجزء الخامس المجلد الرابع من مجلتهم يحمل مقالاً شديد الحماسة؛ حار اللهجة؛ تحت عنوان (توحيد الألوهية والربوبية) والمقال برمته مجازفات ومهاترات، ليس فيه شيء من علم ولا تحقيق وسوف أعرفك ذلك بالبراهين التي لا تقاوم وسوف أقفك على ما أدعيه إلى أن تقول فيه ما أقول والمقال أيضاً ينمّ على تأثر شديد بين جنبي صاحبه؛ وعلى حرج قد ملأ صدره وملك عليه شعوره وعاطفته، وأنه ليلمس في ثناياه الهلع والضيق والضعف والانهزام.

يحتوي هذا المقال على دعويين (إحداهما) أن الكفار والمشركين الذين قاتلهم الرسول ودعاهم إلى التوحيد بل وكل كافر ومشرك لم يكونوا يعترفون بالله ولا بأنه الخالق للعالم. (والثانية) أنه لا فرق بين توحيد الألوهية والربوبية، وأنه لم يفرق بينهما غير ابن تيمية وأتباعه، هاتان هما الدعويان اللتان حملهما ذلك المقال الضخم، والآن أذكر لك دليله عليهما بالاستقصاء؛ وسوف أرد عليهما وأزيفهما بالحجج القاهرة حتى يرحم الشيخ عدوه.

«هل كان المشركون ينكرون وجود الله أو ينكرون أنه الخالق لكل شيء»

زعمت نور الإسلام بتوقيع الدجوي صفحة ٢٥٦ من المجلد الرابع أن المشركين كانوا ينكرون وجود الله واحتجت لهذا المزعم بآيات.

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[(١)].

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[(٢)].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٠. (٢) سورة الرعد، الآية: ٣٠.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[1].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾[2].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3].

هذا جملة ما احتج به على إنكارهم لذات الباري، ؛ ثم تداركه الزلل والبعد عن التوفيق، فزعم أن المشركين كانوا مقرين بوجود الله ولكن كانوا يشركون معه غيره في الخلق والإيجاد والضر والنفع، واحتج بآيات.

الأولى: قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[4].

الثانية: قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[6].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾[7].

هذه الآيات التي احتج بها على أن المشركين كانوا مقرين بوجود الله مشركين معه الأصنام في الخلق والإيجاد، وقبل الخوض في مساجلته أرجوك أن تحفظ له هنا تناقضه ولتعدّه أول غلطة في مقاله هذا.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٣٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٥) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٧ ـ ٩٨.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٣٦.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

جواب شبهاتهم

أبدأ أولاً بإبطال هذه الشّبه، ثم أثني بالبراهين على إيمان المشركين بوجود الله، وبأنه الخالق لكل شيء وأنبئهم قبل البدء أنه لا يجوز لهم الاحتجاج بالقرآن والحديث ما داموا مقلدين وما داموا يرون التقليد فرضاً عليهم، بل يجب أن يحتجوا بما قال مقلدوهم بلا تصرف ولا نظر، فاحتجاجهم هنا بهذه الآيات تطفل وغفلة عما يفرضه فن الجدل وقانون المنطق، ونحن هنا نفرضهم مجتهدين يستحقون المخاطبة بالبرهان فنقول:

الجواب عن الآية الأولى: وهي قوله وما الرحمٰن من وجوه:

الأول: ليس في الآية الكريمة إنكار للرحمٰن؛ وإنما فيها استفهام عنه (بما) التي يسأل بها عن حقيقة الشيء، والمصدق بوجود الأمر يسأل عنه؛ لا خلاف بين اللغويين في ذلك، فهم يقولون: ما الروح؟ كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾[1] وهم يؤمنون بها. ويقولون ما الملائكة وما الجن؟ وهم يؤمنون بهم، ويقولون ما الدجوي وما شيخ الأزهر؟ وهم يؤمنون بوجودهما، وفي التفسير أن المشركين سألوا رسول الله عن ربه فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[2] إلى آخر السورة فليعلم الدجوي ـ إن كان لا يعلم ـ أن السؤال عن الأمر ليس إنكاراً له، بل لا يكون إنكاراً إلا بقرائن على أنه مجاز، والأزهريون يقولون: يجب حمل الكلام على حقيقته إلا إذا امتنعت: وما قال أحد قبل هذا الشيخ: إن السؤال عن الشيء هو إنكار لوجوده؛ فهي غلطة لغوية دينية.

الثاني: نقول: هب ذلك جحوداً، ولكن هل هو جحود لذاته تعالى؟ أم جحود لتسميته بالرحمٰن؟ هو لم يدلل على ما قال، وقد يسمع العربي لفظ عقار وخندريس وكميت ـ من أسماء الخمر ـ فيقول ما العقار وما الخندريس وما الكميت؟ وهو مؤمن بها. وقد يكون يشربها ولكن يجحد تسميتها بهذا الاسم أو يجهلها ونحن لو قلنا للشيخ الدجوي ولشيخه الظواهري: لا تكون العبادة إلا لله

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٢) سورة الإخلاص، الآية: ١.

فيجب إخلاص الدين له وألا يشرك به شيئاً لقالا لنا: ما العبادة وما التوحيد وما هو الشرك؟ وهما يؤمنان بوجود هذه المسميات ولكن ينكران ويجهلان تسميتها بهذه الأسماء، فليفهموا أن الاسم غير المسمى، والمدلول عليه غير الدال، وإن جحد أحدهما أو جهله ليس جحداً للآخر ولا جهلاً به؛ ونحن جميعاً ننكر تسمية الله باسم عاقل وذكي وفاضل ونحن به مؤمنون سبحانه وتعالى.

الثالث: روى البخاري وغيره في خبر صلح الحديبية أن الرسول لما أمر الكاتب أن يكتب صورة الصلح قال له قل: (بسم الله الرحمٰن الرحيم) فقال سهيل بن عمرو النائب عن المشركين في الاتفاق على الصلح: أما الرحمٰن فلا نعرفه ولكن اكتب باسمك اللهم؛ فقول سهيل لا نعرف الرحمٰن ولكن اكتب باسمك اللهم يدل على أمرين على أنهم مؤمنون بالله وأنهم يستعينون به في أمورهم وعلى أن الذي ينكرون هو وصفه بالرحمٰن، ولو كانوا ينكرون ذاته كما تزعم مشيخة الأزهر لعارض باسمك اللهم ولأنكر لفظ الجلالة ولفظ الرحيم المذكورين، فهذا يفسر الآية ويوضح قولهم (وما الرحمٰن) فماذا ترى مجلة الأزهر في ذلك؟

الرابع: المفسرون قاطبة يفسرون الآية بإنكار المشركين لهذا الاسم لا لذاته قد أجمعوا على هذا التفسير وفيهم الصحابة والتابعون؛ وطالع ما شئت من كتب التفسير، ومن يعرف أحوال العرب ومواقع كلامها غير هؤلاء؟ وهل جن المسلمون فيقدموا كلام علماء الأزهر على كلام الأئمة والصحابة والتابعين.

الخامس: المعارضة؛ قد قال بنفسه في أثناء المقال إن المشركين مؤمنون بالله إلا أنهم يشركون معه غيره في تصريف الكون، واستدل بقوله: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾[1] وبآية الأنعام السالفة، فإذا كان قائلاً إن المشركين كانوا يؤمنون بالله ووجد عليه أدلة من القرآن، فما كان جواباً له عن هذه الآية فهو جواب لنا، وإن كانت تدل على نفي الله ـ بزعمهم ـ بطل قوله إن المشركين كانوا يؤمنون بالله، وإن صح قوله هذا بطل استدلاله بالآية على

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٧ ـ ٩٨.

إنكارهم الله؛ فهو لا محالة واقع في الخطأ.

السادس: هذه الآية على فهمهم مخالفة لتسمية العرب مشركين بالله والناس ـ قاطبة ـ يقولون إنهم مشركون بالله، فلو كانوا جاحديه لما كانوا مشركين به، فتسميتهم مشركين بالله يدل أنهم مؤمنون بوجوده ولكن عبدوا معه غيره.

السابع: الآية على فهمهم معارضة بما احتج به هو من قوله: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ ومثلها: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[1] فماذا يصنعون؟

الثامن: إذا كان أمثال قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[2] إلى غيرها من الآيات الكثيرة لا يدل على إيمانهم بالله وإيمانهم بأنه خالق كل شيء، فمن العجب أن تدل الآية المذكورة على جحدهم الله، وإذا كان يكذبهم في قولهم: الله خالق كل شيء، فلماذا لا يكذبهم في قولهم (وما الرحمٰن) وإذا كانوا يقولون للرسول الله خالق كل شيء كاذبين اضطراراً للحجة ـ وقلوبهم جاحدة ـ فكيف ينكرون الرحمٰن؟

فماذا تقول أيها القارىء في هذه الشبهة وأجوبتنا عليها؟ أرجوك النظر في ذلك.

الجواب عن الآية الثانية

ـ وهي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾[3] ـ هي الأجوبة عن الآية قبلها تماماً ما خلا الوجه الأول، ونزيد هذه الآية بأن نقول: الآية تقول: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وهو لا يدل على النفي، فالناس جميعاً يقولون لمن جاء بأمر مكفر: إنه كافر بالله. ويقولون: كافر أي الله ـ وإن كان مؤمناً بوجوده وبملائكته وكتبه ورسله. ومعرة الأزهر تقول: من يقل إن الله على العرش فهو كافر بالله وتقول: من قال كذا وكذا فهو كافر، فهل هي تريد أنه يكون جاحداً لذات الله؟ وإذاً تكون قائلة ما لا يقوله الصبيان. ومن لي بمن يسمعهم قوله تعالى: ﴿فَمَن

(١) سورة الأنعام، الآية: ١.
(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٥.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٠.

يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[١] ومن لي بمن يفهمهم أنها لا تريد جحد الطاغوت والكفر بوجوده، فإن الطواغيت موجودة في كل عصر؛ والمدافعون عن القبور وعن الوسيلة هم منهم ومن لي بمن يفهمهم أيضاً أن الآية لا تريد من الإيمان بالله الإيمان بوجوده فحسب آه على الذوق والفهم. أفلم يبلغ هؤلاء قوله الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا﴾[٢] وكذا قوله: ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾[٣] أهم يفهمون أن الكفر في هذه الآيات بمعنى إنكار وجود المكفور به؟ هذا شيء ظريف جميل، ما أجدر هؤلاء أن يعلموا اللغة والنحو.

إن كتب الله وكلام أنبيائه وكلام العلماء مملوء وعيداً لمن كفر بالله أو كفر بشيء مما أنزله الله. فهل تقول لنا المشيخة: إن المراد من الكفر الموعد عليه هو الجحد لله والإنكار لذاته. لا أظنها تقدر على أن تبوح لهذا، وإني أتحدى مشيخة الأزهر على أن تأتينا بلفظ عربي واحد فيه مادة الكفر وأن المراد منه هو جحد وجود المكفور به، إني أتحداهم وانظرهم ما يشاؤون زمناً، هل هم فاعلون ألم يقرأ هذا يوماً في عمره مثل الرجلين المذكورين في سورة الكهف وقد قيل لأحدهما: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[٤] لأجل تلك الكلمات التي قالها مع أنه كان مؤمناً بوجود الله قائلاً: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾[٥] وقائلاً في آخر القصة: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[٦] فهل هذا الكلام كلام جاحد أم كلام معترف؟

فماذا يرى القارىء بعد هذا البيان؟ وماذا يرى الأزهريون في غرابهم الأسحم؟

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٠.
(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٤.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٣٧.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٣٦.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٤٢.

الجواب عن الآية الثالثة

وهي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾[١] من وجوه:

الأول: قدمنا لك أن المعترض نفسه اعترف أن في القرآن آيات تدل على إيمان المشركين بوجود الله، وإنما كانوا مشركين، باعترافه هناك والآيات التي اعترف بالحقيقة لأجلها تجاوبه عن هذه الآية أو تفهمه معناها.

الثاني: يا ليت الشيخ يفهم أوليات اللغة فيعرف أن المجادلة في الأمر ليست جحوداً له، بل قول الناطقين جميعاً: جادل فلان فلاناً في فلان أو في كذا وجادل الوزير الملك في زيد أو عمرو، لا يدل على نفي المجادل فيه؛ بل يدل على العكس يقيناً. وقول الله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝﴾[٢] ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾[٣] ليس معناه أنهم يجادلون في وجود الحق وإلا لكفروا؛ وكذلك قول الناس كافة: تجادل العلماء في كلام الله وفي القضاء والقدر وفي أبي بكر وعمر وفي علي وعثمان وفي امرئ القيس والنابغة وفي المتنبي والبحتري لا يكون معنى ذلك الإنكار والجحد بالاتفاق، آه لو يفهم هؤلاء قول الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٤] وقوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۝﴾[٥] فيعرفون أن المجادلة في الشيء لا تكون نفياً له البتة. لا أظن الدجوي يجرؤ ـ وإن كان الجريء ـ أن يقول: إن المرأة كانت تجادل في وجود زوجها، وأن إبراهيم يجادل في وجود قوم لوط، وافضيحة الأزهر؛ يجهلون ضروريات اللغة، ويحاولون النقض على ابن تيمية ويحاولون تجهيله، والله لقد ضاق صدري من عجائب زمني وإننا نطلب من هؤلاء المشايخ أن يرونا استعمالاً واحداً كهذا الاستعمال والمعنى فيه نفي وجود ما تدخل عليه (في).

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٣.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ١.
(٥) سورة هود، الآية: ٧٤.

الثالث: ألا يستحي هؤلاء أن يزعموا أن هذه الآية تدل على نفيهم الله، ولا يدل مثل قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1] إلى آخر الآيات التي سوف نوردها على إيمانهم بوجوده وبأنه الخالق.

الرابع: نقول أيضاً: إن الجدال في نفي الأمر ليس نفياً له ولا اعترافاً بانتفائه، فقد يجادل المرء في نفي شيء يؤمن به لأغراض كثيرة، منها حب الشهرة ومنها الرغبة في المشاكسة، أو الحب لأن يقول الناس: إنه جدل قوي العارضة ومنها التمرن على صناعة الجدال وإحسان أدائه، ولنكتف بهذه الأجوبة عن الآية إشفاقاً على المشيخة ورحمة بدجويها.

الجواب عن الآية الرابعة

وهي قوله: ﴿لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾[2] من وجوه:

الأول: الخطاب بين رجلين كما قال: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾[3] فهب أن المخاطب كان ينكر الله، فكيف دل ذلك أن المشركين كانوا كلهم أو جلهم كذلك ينكرونه؟ هذا منطق عجيب!!

الثاني: ليس في الآية إلا أن قال أحدهما: الله ربي، فهل يدل هذا على أن الثاني ينكر الله؟ فهذا منطق أيضاً غريب؛ فما أجهل هؤلاء بلغة العرب فإن مثل هذا الوضع لا يدل أبداً على القصر، فإننا إذا قلنا ـ مخاطبين الشيخ الدجوي وشيخه ـ الله ربنا ومحمد نبينا، لم يفهم من ذلك عربي أننا نرمي الدجوي بإنكاره الله؛ أو إنكاره نبوة محمد عليه السلام؛ وإذا قلنا: محمد رسول الله؛ أو عيسى رسول الله؛ لم يدل أننا ننكر أن غيرهما من الأنبياء والمرسلين رسل لله، هذا أمر ظاهر يعرفه العامة فضلاً عن الخاصة.

الثالث: قال الذي زعم الدجوي أنه ملحد ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾[4] وقال: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٣٨.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٢.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٣٦.

﴿يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾[1] إذاً هو مؤمن بربه إنما وقع في الشرك.

الرابع: الرب في الآية إما أن يكون هو الخالق المتصرف، أو يكون هو المعبود، فإن كان الثاني كانت الدعوى في جهة؛ والشبهة في جهة أخرى؛ لأنه يريد أن يدلل على أنه كان جاهداً لله؛ لا على أنه مشرك بالله، ونحن نوافقه على الأخير؛ وإن كان أي إن الرب في الآية هو الخالق المتصرف كان هذا غلطاً منهم قبيحاً بل كفراً مجرداً؛ لأن المعنى حينئذٍ يكون الله خالقي دونك فالله ليس خالقاً لك، ومن أنكر أن يكون الله رب العالمين ـ للمؤمنين والكافرين ـ كما قال الحمد لله رب العالمين ـ فهو كافر، فانظر ـ يرعاك الله ـ كفروا ذلك الإنسان الذي شهد الله له بالإيمان، فماذا يقولون؟ وهل إذا رأينا من ينكر الله وينكر توحيده نقول إن الله ليس خالقاً له؟

ومن أراد أن يعلم أن بين هؤلاء وفهم القرآن حجباً كثيفة؛ فليراجع القصة في سورة الكهف، وهيهات أن يسمو إلى فهم القرآن إلا قوم خفت أبدانهم من قلة الطعام وكثرة العبادة، وكبرت عقولهم واستنارت من طول الفكر ومواصلة السهر.

الجواب عن الآية الخامسة

وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2] وجه استدلالهم بالآية أن يقال: ما جرؤوا على سب الله إلا لأنهم يجحدونه، هذا وجه الاستدلال ـ على ما أظن ـ وهم لم يبينوه، والجواب من وجوه:

الأول: هي نقض عليهم إذ من المعلوم أنه لا يسب أحد إلا من يؤمن بوجوده، أما من لا يؤمن بوجوده فليس بممكن أن يسبه، بل ولا أن يحكم عليه بحكم، فإذا سمعنا رجلاً يسب آخر علمنا أنه يعترف بوجوده يقيناً لا يمكن غير ذلك إلا أن يكون يفكر بعقل ظواهري دجوي، والقرآن لم ينزل بلسان هؤلاء.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

الثاني: رأينا كثيراً من المسلمين ـ الذين تدافع عنهم مجلة الأزهر إذا أصيبوا في مال أو ولد ـ سبوا الله وأضافوا إليه النقص والظلم، وهم لا ينكرونه ولا يجحدونه، ونحن نعلم أن التوسل الذي تدافع عنه مجلة الأزهر هو سب لله وإيذاء.

الثالث: لو كان سبهم الله إنكاراً لكان سب المؤمنين آلهة المشركين إنكاراً، والسبان مذكوران في آية واحدة، ومن يقول ذلك!!

الرابع: ليس السب كما يفهم الدجوي وإخوانه؛ فهم يفهمون أن السب هو أن يقال: يا ملعون، أو يا مسبوب أو لعنك الله وما شابه ذلك، بل السب في لغة العرب أوسع دائرة، فإن كل نقص سب وسبة فإذا جهلت أحداً فقد سببته، وإذا أضفت إليه نقصاً ـ وإن ظننت أنه كمال ـ فقد سببته وفي مفردات الراغب في مادة سب قال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وسبهم له ليس على أنهم يسبونه صريحاً ولكن يخوضون في ذكره فيذكرونه بما لا يليق به ويتمادون في ذلك بالمجادلة فيزدادون في ذكره بما تنزّه عنه.

وهذا مثل كلام مجلة الأزهر في الله وفي صفاته، والحاصل أن هذا الاستدلال من مهازل هذا العصر ومناقضه، فبينما يرى العلم يطير بأهله ويطوي لهم الأرض تراه يرتكس بآخرين حيث لا يصل الوهم والخيال.

هذا آخر الأجوبة على شبهاتهم أن المشركين كانوا ينكرون وجود الله، ولنزحف إلى أدلتهم على أنهم ينكرون أن يكون الله خالق كل شيء.

شبهاتهم على إشراك الكافرين في الربوبية

الأولى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾[1] وقوله: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[2] قال الدجوي: «فقد صرح بتعدد الأرباب عندهم وابن تيمية وابن عبد الوهاب يقولان إنهم موحدون توحيد الربوبية» وهذا غلط وقصور في اللغة، فليس في الآيتين أنهم جعلوا مع الله أرباباً بل في الأولى أنه لا يأمر بذلك، وفي الثانية السؤال أيهما خير: الأفراد أم التوحيد، وليس معنى ذلك الإثبات، وكنت ـ علم الله ـ أظن هذا الكاتب على شيء من علم اللغة فبان لي أنه ليس منها في شيء، ولو اهتدى قليلاً لكان استدلاله بقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾[3] وقد نبّه إلى هذه الآية فذكرها في مقاله الذي بعد هذا المقال، وقبل الجواب يجب أن يفهموا أن مراد ابن تيمية ومن وافقه من توحيد الربوبية أنه لا خالق إلا الله فالنزاع في المعاني لا الألفاظ؛ والجواب حينئذٍ من وجوه:

الأول: قد فسر الرسول عليه السلام هذه الآية. روى الترمذي وغيره أن عدي بن حاتم سمعه يقرأها. فقال: يا رسول الله، إنهم لم يعبدوهم ولم يتخذوهم أرباباً. فقال: أليس يحلون لهم الحرام فيحلونه؛ ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه؟ فقال: بلى. فقال «تلك عبادتهم». بيَّن عليه السلام أن هذه الربوبية هي تقليدهم الأحبار والرهبان التقليد الأعمى ـ كما يريد الدجوي من المسلمين أن يكونوا وليس لأحد مع رسول الله كلام؛ وأعيذ المسلمين بالسميع

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٠.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٩.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٣١.

البصير من أن يدعوا تفسير رسولهم لتفسير مشايخ الأزهر، قال الشيخ الدجوي في الجزء الخامس (المجلد الرابع من مجلتهم) صفحة ٣٢٢ بعد أن ذكر الآية المذكورة: «وهل المراد من الأرباب في الآية إلا المعبودون» وكتب تحتها: «وقد قال عدي: إننا لم نتخذ الأحبار والرهبان أرباباً فإننا لم نعبدهم؛ فدل ذلك دلالة صريحة على أن كل معبود رب وقد أقره عليه السلام على هذا فماذا ترى». هذا كلام الدجوي في الصلب وفي الحشية وقد وقع في غلطة قبيحة وتناقض صريح فإنه قال: وهل المراد من الأرباب في الآية إلا المعبودون؛ وقال تحتها: إن الرسول أقر عدياً في أنهم لم يعبدوهم، أي فالرسول عليه السلام وعدي قالا إنهم لم يعبدوهم، والشيخ الدجوي يقول إنهم عبدوهم، أوليس هذا تكذيباً للرسول لو يشعر هذا المغرور، واحسرة على العلم والدين.

الثاني: معنى الرب أوسع من معنى الخالق، فالزعيم، والصاحب، والخالق والمنعم والمالك كل أولئك أرباب في لغة العرب؛ إذاً لا يجوز تخصيص الأرباب ها هنا بالخالقين أو المالكين دون غيرهم من معاني الرب؛ فلا يكون لهم في الآية شبهة إلا إذا أقام الدليل هنا على أن الأرباب هم الخالقون الموجودون وهو لم يفعل فلا قيمة لقوله.

الثالث: الآية نازلة في اليهود والنصارى، والأحبار والرهبان هم علماؤهم وعبادهم، وها هم النصارى واليهود قدامنا؛ نستطيع أن نفهم هل هم يرون أحبارهم ورهبانهم وقسسهم، وبطاريقهم خالقين موجدين؟ نحن نعلم بالضرورة أن عقيدتهم ليست هكذا، ولتسألهم مشيخة الأزهر إن شكت فيما نقول.

الرابع: معنى اتخذوا صيروا؛ فإن كان الأرباب هم الخالقين ـ كما تقرر معرة الأزهر ـ كان نظم الآية هكذا صيروا أحبارهم ورهبانهم خالقين من دون الله. وهل هم يقدرون أن يصيروهم خالقين وهل يقدرون على إعطائهم صفة الخلق؟! يا سبحان الله!! إنهم لا يقدرون على ذلك، وإنما يقدرون على أن يعبدوهم. آه على الذوق العربي وعلى العقل الذي يعقل مما يوقع في التلف، ثم قوله من دون الله يرد شبهتهم أبلغ رد.

الخامس: في آخر الآية: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ

إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١] فلو كان الشرك في الخلق لقال ولا خالق إلا الله سبحانه عما يشركون أو نحو ذلك، هكذا يكون وجه الكلام الصحيح.

السادس: هب اليهود والنصارى جاعلين مع الله خالقين، فكيف يلزم أن تكون طوائف الكفر والشرك كلها هكذا؟ ألا قاتل الله الجهالة وقاتل الهوى.

الشبهة الثانية

قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾[٢] ويجوز أن يكون مثلها: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[٣] إن جعل بربهم متعلقاً بيعدلون ويصح أن يكون متعلقاً بقوله: ﴿كَفَرُوا﴾ فلا تكون الآية مما معنا ويعدلون حينئذٍ ينصرفون عن الحق ويصرفون، والقولان جائزان لغة وتأويلاً؛ والجواب عن الشبهة من وجوه:

الأول: نقول كيف صدقتم المشركين هنا ولم تصدقوهم في قولهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٤] والتكذيب إذا جاز هنالك جاز هنا ولا فرق.

الثاني: الآية تقول: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم﴾ أي حين نسويكم. وهل فيه أنهم فعلوا ذلك، ومثل هذا في ـ كلام العرب ـ لا يدل على الوقوع، فإذا قال المصريون نناصر الأزهر والأزهريين إذ يصلحون ويستقيمون، لم يدل على أنه يحصل منهم ذلك فضلاً عن الحصول.

الثالث: كلمة التسوية ومتصرفاتها لا يدل على التسوية من كل وجه، ومثله المماثلة والمشابهة، فإذا قيل تساوى الرجلان أو سويت بينهما أو سويت هذا بذاك لم يدل على التسوية المطلقة التامة؛ وهذا من أوليات اللغة وفي القرآن: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[٥] صير حبهم

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.
(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٧ ـ ٩٨.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١.
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

الأنداد مثل حب الله موجباً لكونهم له تعالى أنداداً، والند هو المثل أي المساوي، وفي الحديث أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: «ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني لله نداً قل ما شاء الله وحده»، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١) أليس معناها ألا يعبد إلا الله، وعلى رأي هؤلاء معناها النهي عن أن يجعل لله شريك في كل شيء، وفي سائر الصفات؛ ومن يجرؤ على هذا غير هؤلاء؟ ومن يقبل أن يكون جميع الذين في النار كانوا يسوون أصنامهم بالله في جميع الأشياء الوجودية؟ وهذا أمر لا يمكن أن يقع؛ هو من المحالات، وفي القرآن والحديث وكلام العرب الشيء الكثير، مثل قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾(٢) وقوله: ﴿۞ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾(٣).

الرابع: هب ما ذكر يدل على تسوية المشركين الأصنام بالله في كل الأحكام، لكن الأخبار الدالة على أنهم يؤمنون بأنه خالق كل شيء، وبأنه المتصرف المطلق كما سيجيء مثل قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾(٥) ومثل قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾(٦) وفي الحديث أن الرسول عليه السلام قال لحصين: «كم إلهاً تعبد؟ قال سبعة ستة في الأرض وواحداً في السماء، قال من تعد لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء» نعم إذا فرضنا آية التسوية تدل على التسوية المطلقة ـ كما يدعي هؤلاء ـ وجب تخصيصها بهذه النصوص. أو ليست مجلة الأزهر تكتب بتوقيع هذا الشيخ تقول من قال: إن الله في السماء ـ تمشياً مع نصوص الدين بلا تشبيه ولا تمثيل ـ فقد شبه الله بخلقه وسواه بالحوادث أهي تريد أن من آمن بعلوه فقد سوّى بينه وبين المخلوقين في كل شيء.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧.
(٣) سورة هود، الآية: ٢٤.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٣.
(٥) سورة يونس، الآية: ١٨.
(٦) سورة الإسراء، الآية: ٦٧.

الشبهة الثالثة

وهي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾(١) والآية ـ كما ترون ـ بعيدة عما يريدون أن يتهموها به كل البعد، فليس فيها إلا أن جعلوا لهم شركاء، وجعلوا لهم نصيباً مما خلق الله ـ كما يفعله العوام الذين تدافع عنهم مجلة الأزهر: فجماهير المصريين يقدمون النذور للبدوي وللسيدة زينب ولكثير من الأولياء: يقدمون لهم مما ذرأ الله من الحرث أي الزرع والأنعام: البقر والغنم والإبل، كالذين حكى الله عنهم. ويقولن: هذا عجل البدوي وعجل السيدة زينب؛ فيأكل ذلك الشيخ الدجوي وشيخه الظواهري وإخوانهم. فما أشبه الليلة بالبارحة أو ما أشبه الغراب بالغراب ـ كما يقولون؛ وقد كثرت نذور السيد البدوي سنة فبلغ ما جمع صندوقه من الفلاحين الفقراء ما يقارب تسعين ألفاً من الجنيهات فقال حافظ إبراهيم:

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم	وبألف ألف ترزق الأموات
للسيد البدوي ملك دخله	تسعون ألفاً والحظوظ هبات
وأنا أعذب في الوجود ولبس لي	ـ يا أم دفر ـ ما به أقتات
من لي بحظ النائمين بحفرة	قامت على أحجارها الصلوات

وأنا أشهد بالله أن هذا الشيخ أحمق مسرف في الحمق وإلا لما كانت هذه الآية من حججه، لا يدري كيف دلت على أن المشركين كانوا يجعلون مع الله خالقين، إن كان من قولهم: ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ فقد غار حيث لا مقر. ومن يقول إن قول القائل: هذا لفلان أو لهذا الصنم معناه أنه خلقه، أما سمع هؤلاء العوام الناذرين للبدوي وللشيخ فلان وفلان. وأما إن كان من قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾(١) فقد غار أيضاً، لأن القوم كانوا يقولون: إن الله غني فلا يضيره أن نصرف ما نذرناه له إلى الشركاء لأنهم فقراء، وأما نذر

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٦.

الشركاء فلا يصرفونه إلى الله للحجة نفسها. ولو كانت البلد تحكم بالقانون الإسلامي لوجبت معاقبة هذا الشيخ لتحريفه كتاب الله وتلاعبه به. فمثل هذا التحريف شر من التكذيب به، فجرم المكذب راجع إلى نفسه؛ وأما المحرف فمضل مفسد. أراح الله منهم العباد والبلاد.

الشبهة الرابعة

وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾[1] ودليله من الآية ـ على ما أحسب ـ قوله: ﴿أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ أي في خلقكم على أنهم شركاء الله في إيجادهم، ويكون ﴿فِيكُمْ﴾ متعلقاً بالشركاء. ولا يلزم ذلك لوجوه.

الأول: لا يمتنع أن يكون ﴿فِيكُمْ﴾ متعلقاً بمحذوف حال؛ أي الذين زعمتم أنهم شركاء لله حين كانوا بين أظهركم أي في الدنيا، لأن المشرك يوحد في الآخرة ويتبرأ من شركه، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[2] وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾[3] وهذا المعنى هو اللائق بالآية، وفيه ما فيه من التنديد والزراية بالمشركين. وهذا صعب فهمه على أشياخنا الكرام.

الثاني: الآية على حذف مضاف باعتراف الجميع، أي شركاء في خلقكم أو عبادتكم أو حبكم وعنايتكم أو نحو ذلك. فما الذي حكم للشيخ الدجوي بالمضاف الأول دون ما سواه؟ وما الذي منع أن يكون التقدير في عبادتكم وتألهكم كما صرح به في الآيات الأخرى؟ والقرآن يفسر بعضه بعضاً، فقد صرح في غير ما آية أنهم يعبدون غيره. وما جاء في آية أنهم قالوا: خلقنا صنم أو اشترك في خلقنا نبي أو ولي. بل أنبأنا أنهم إذا سئلوا عمن خلق كل شيء قالوا: الله.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٠ ـ ٤١.

الثالث: يقول كل أحد لرجلين ملكا شيئاً ـ عبداً أو غيره ـ : هما شريكان فيه واشتركا فيه. ولا يراد الشركة في الخلق. هذا شيء أوضح من أن يستشهد له؛ قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١] هل تعني الآية أنهم شركاء في خلقه إلا في فهم المشايخ؟ فإذاً لا تدل الآية ـ البتة ـ على الشركة في الخلقة.

الرابع: في الآية ما يرد عليهم إذ تقول: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾[٢] تريد أنهم شفعاؤهم في زعمهم لا في الحق فما لهم من شافعين؛ وإذا كانوا يعدونهم شفعاءهم فكيف يعدونهم خالقين؟ اللهم إن الأمر واضح وأن الهدي هدي الله.

الخامس: لو أن الآية تقصد الشركة في الخلق لما اختصتهم بذلك بل لقالت: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ﴾ في الكون أو في السماء والأرض أو في الخليقة ﴿شركاء﴾، هكذا يجب أن يكون الكلام إذا كان المراد ما يفهمون.

الشبهة الخامسة

وهي قول قوم هود لهود: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾[٣] وهذه الشبهة آخر الشبهات وهي مريضة لا تتماسك، فليس في الآية سوى أن نسبوا السوء إلى الأصنام؛ وأضافوا الضرر لها؛ وهل تدل تلك الإضافة والنسبة أنهم يرونها خالقة مع الله؟ كلا، حتى يدل قول هؤلاء العوام فعل السيد البدوي بنا كذا وكذا وقتل جاموسنا على ذلك، ولعل الشيخ يعرف أن أحد هؤلاء إذا نذر نذراً لواحد من الميتين فلم يوف بنذره فأصيب بمصيبة من السماء أو الأرض، قال إنها من ذلك الشيخ لأنه غضب علي، ومجلة الأزهر ـ وإن نازعت في الحقائق الضرورية، والأمور المتواترة ـ فلن تنازعنا في هذه الحقيقة، هؤلاء العوام الذين يقولون ذلك القول ويعتقدون تلك العقيدة يقولون: الله خالق كل

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

(٣) سورة هود، الآية: ٥٤.

شيء. وتقول فيهم مجلة الأزهر: إنهم مؤمنون موحدون حقاً، بل اسمع أعجب من ذلك وأدنى إلى الإقناع أن الأزهريين جميعاً يقولون ـ كما في كتبهم المدروسة ـ إنه لا خالق غير الله، بل قد يقولون: لا فاعل إلا الله والعباد ليسوا فاعلين إلا صورة!! ومع عقيدتهم هذه لا يتحاشون أن ينسبوا الفعل والترك والضرر والنفع إليهم، ويقولون: أحسن فلان وأساء وقتل وأحيى، فهل نافى ذلك قولهم إنه لا خالق إلا الله؟ إنه لم يناف ذلك عندهم فإذاً لِمَ نافى قول المشركين: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ لأن يعتقدوا ويقولوا: الله خالق كل شيء؛ وجدير بمجلة الأزهر حينئذٍ أن تأخذ من نسبة المشركين إلى أنفسهم وإلى رسلهم الأفعال أنهم خالقون أرباب، ولولا أن أشق على مشيخة الأزهر لقلت لها: إن الفاعل لا يلزم أن يكون خالقاً رباً وإلا لكنا جميعاً أرباباً: الحق أن هؤلاء يقولون ما لا يفهمون ويفهمون ما لا يفهم.

هذه براهينهم على أن المشركين كانوا ينكرون وجود الله، وبراهينهم على أنهم مشركون في الربوبية؛ فوازن أيها القارئ الفطن بينها وبين أجوبتنا عليها، وبراهيننا الآتية أن المشركين موحدون توحيد الربوبية.

البراهين على أن المشركين مؤمنون بأن الله خالق كل شيء

وهو الذي نسميه توحيد الربوبية وعلى ذلك براهين نذكر بعضها:

البرهان الأول: القرآن الكريم ودلالاته على ذلك أنواع:

النوع الأول

تصريحهم بأن الله الخالق المتصرف في كل شيء، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1] وقال: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾[2] وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾[3] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في المعنى، هذه تصريحات وإقرارات منهم إذا سئلوا أجابوا بها أجمعون، قالت مجلة الأزهر ـ في نفس المقال الذي نحن في إبطاله ـ: إن المشركين ما كانوا مؤمنين بذلك وإنما كانوا يجيبون كذباً ونفاقاً هروباً من الحجة وهذا القول خطأ لأمور:

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ٨٤ ـ ٨٩.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣١.

الأول: ما ألجأ مشيخة الأزهر إلى هذا الزعم إلا الشبهة التي ذكرناها وذكرنا لك بطلانها، فإذا بطلت الشبهة بطل ما بني عليها.

الثاني: لو كانوا كاذبين مخالفين ضمائرهم ـ كما ادعت مجلة الأزهر ـ لأكذبهم الله أو لأكذبهم رسوله، ولما أقرّاهم على الكذب، وقد كذب المنافقين إذ ادعوا ما لم يؤمنوا به. قال: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝﴾(١) وقال: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾(٢) فلماذا لم يكذبهم الله ولا رسوله إذا كانوا كاذبين؟ وقد ذكر هذا الإقرار منهم في آيات متعددة، ولعل المشيخة تعلم ما في الإقرار على الكذب من النقص والقبح تعالى الله عن ذلك وتعالى عما يرميه به هؤلاء.

الثالث: من المحاولات التي لا تقع ـ عادة ـ أن تتفق الجماهير الكثيرة الذين لا يحصون عدداً مختلفو المشارب والأهواء والبقاع على أن يقولوا ما لا يعتقدون وما لا يصدقون، نعم هذا من أبطل الباطلات، وظني أن هذه المشيخة لا تعرف ما المحال العادي، إننا نعلم ـ بداهة ـ أنه لا يمكن أن يتفق المصريون كلهم على أن يقولوا يوماً ما خلاف ما يعتقدون غير مكرهين؛ وقد أخبر الله أن هذا التوحيد هو جوابهم في كل زمان ومكان عندما يسألون.

الرابع: ليس ثم دافع يدفعهم إلى أن يقولوا خلاف دينهم وخلاف عقيدتهم في حين أن كانت العزة والقوة لهم، والأمر بأيديهم، وهذه الآيات كلها مكية حينما كان المسلمون مستذلين مقهورين هم في حاجة إلى التكتم لا خصومهم المشركون فهل تدري المشيخة هذا السر؟

الخامس: هذا خلاف قول المفسرين قاطبة من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام، واقرأ ما شئت من التفاسير المعتمدة عند المسلمين قديمة أو حديثة مثل تفسير ابن جرير وابن كثير والرازي وأبي السعود والبغوي والبيضاوي والنسفي المقروءة في الأزهر. ومعلوم أن هذه التفاسير مقبولة عند المسلمين مشهورة وهم

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ١.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

يقرأون تقريرهم هذه المسألة فلا ينكرونها، فهي مسألة إجماعية، فتأويل مشيخة الأزهر هذا في الآيات السالفة مخالف لإجماع المسلمين السالفين واللاحقين، ومن العجب أن تقول: إنه لم يقل أحد غير ابن تيمية وأتباعه إن المشركين كانوا مؤمنين بأن الله الخالق المتصرف في كل شيء وأنا أقول لها ـ بالبرهان ـ إنه لم يوافق مشيخة الأزهر على قولها هذا أحد من المسلمين وسوف أنقل لك النصوص فيما بعد باللفظ مع ذلك الرقم والجزء لتعلم أن هؤلاء المشايخ لا يخافون الله ولا يحترمون القراء.

السادس: لو كانوا يقولون ذلك نفاقاً وهرباً من الحجة كما يزعم هذا الشيخ لقالوا يوماً من الدهر للرسول عليه السلام أنت صادق في دعواك الرسالة، ونزول الوحي عليك؛ وفي البعث وما بعده وصادق في أن لا إله إلا الله وبالجملة لوافقوه فيما يقول للعلة التي ذكرها هذا الشيخ؛ ولكن لم يقولوا شيئاً من ذلك بل صارحوه الخلاف والمحادة.

السابع: هذه الآيات وهذه الإقرارات لم تذكر لبيان نفاق القوم وإنما ذكرت لبيان عقيدتهم وما يعترفون به ليحتج عليهم بما لم يقروا به وليكون دليلاً لهم وإذا رجعت للآيات بان لك ما أذكر جيداً.

هذه أمور سبعة تنقض على مجلة الأزهر تحريفها الآيات نقضاً لا يبرم.

النوع الثاني

تركوا ما سوى الله في الشدائد، وضرعوا إليه وحده، ونسوا أصنامهم وما يعبدون، وما كان هذا منهم إلا لأنهم يرونه سبحانه هو المتصرف الذي لا يرد ما أراد ولا يكون ما لا يريد، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[1] وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾[2].

الأول: إيمان المشركين بوجود الله عكس ما قالت مجلة الأزهر.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٧.

الثاني: إيمانهم بأن الخلق وتصريفه بيد الله، وأنه لا أمر لأحد معه، ولو كانوا يجعلون لأحد معه شيئاً لدعوه حيناً أو أحياناً في حال الشدة ولم ينسوه أبداً.

الثالث: إن شرك أهل زماننا أغلظ من شرك الأولين، فإن الأولين ـ كما في الآيات ـ ينقطعون إلى الله ويدعون ما سواه في حال الخوف لا يعرفون ولياً ولا نبياً، وأما أهل زماننا فهم في الشدة لا يعرفون إلا الأولياء والصالحين؛ ولا يعرفون الله، أليس هكذا يا دجوي؟ وأكثر طلبة الأزهر يضرعون إلى المشايخ عند الامتحان ويبدون لديهم من التوسلات والرغبات ما يجعلك تظن أنهم من أولياء الله المقربين؛ وهذه أشياء موضع وفاق بيننا وبين مجلة الأزهر؛ فهي لا تنازع أن المشركين لا يدعون إلا الله عندما يكربون بعد أن أطلعناها على هذه الآيات؛ ولا تخالف أن أهل زماننا يدعون المقبورين ويتعلقون بهم عندما يرغبون أو يرهبون، أليس هكذا يا دجوي ويا ظواهري؟

النوع الثالث

قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾[1] وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾[2] وقال: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾[3] فأقوالهم هذه تدل على الجبر المحض، وعلى أنهم يعدون أنفسهم مصرفين بيده تصريف قهر واضطرار ليست لهم مشيئة ولا اختيار، وليست هذه العقيدة عقيدة المنكر، ولا قولهم هذا قول الجاحد الملحد، بل هذه أقوال من غاب في شهود الربوبية عن شهود الأمر والنهي، أليس الأمر كما أقول أيها الشيخ؟ فخذ العلم مني فما ينبئك مثل عليم.

النوع الرابع

قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.
(٢) سورة النحل، الآية: ٣٥.
(٣) سورة يس، الآية: ٣٥.

لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾[١] فهم يرون ما يأتونه من الطاعات والمعاصي قد أذن الله لهم بإتيانه وحضهم عليه، والأمر في الآية يدور بين الأمر الحقيقي بمعنى أن الله أمرهم به على لسان المرسلين وبين الأمر المجازي الذي يراد به القضاء والاضطرار، وعلى التأويلين قولهم هذا يشهد على أنهم مصرفون تحت إرادة الله ومشيئته وحده في زعمهم، وهذا غاية الإيمان بالربوبية.

النوع الخامس

حدث القرآن عن أكفر الكافرين وأطغى الخلق أنهم مسلمون لله الربوبية، قال موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾[٢] وقال الله يعنيه وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[٣] بل حدث عن إبليس رئيس كل كافر وفاسق؛ أنه مؤمن بربوبية الله وذلك موجود في غير ما آية. فحينئذٍ من الجهل بالدليل وبالواقع أن يقال إن غير هؤلاء ممن لا يكافئونهم شراً كانوا يجحدون ما اعترف به هؤلاء.

النوع السادس

قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾[٤] وقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[٥] أي يقولون ما نعبدهم، فالآيتان تبينان أن المرغوب إليه المرهوب عندهم حقيقة هو الله، وإنما جعلوا الأصنام وسائل تصلهم بالله كالأولياء عند شيخنا الهمام غراب الأزهر، وإلا فهم يرون الأمور حلها وإبرامها بيد الله؛ فهم مؤمنون بربوبيته أتم الإيمان وإن جهله الأزهريون.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة النمل، الآية: ١٤.

(٤) سورة يونس، الآية: ١٨.

(٥) سورة الزمر: الآية: ٣.

النوع السابع

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾[1] قال ابن جرير في الجزء الثاني عشر (صفحة ٥٠ من تفسيره الطبعة الأميرية): «يقول تعالى ذكره وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف الله عز وجل صفتهم بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[2] بالله أنه خالقهم ورازقهم وخالق كل شيء إلا وهم به مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام واتخاذهم من دونه أرباباً، وزعمهم أن له ولداً تعالى عما يقولون». قال: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل؛ ثم روي عن ابن عباس قال: من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال قالوا: الله وهم مشركون؛ وعن عكرمة قال: تسألهم من خلقهم ومن خلق السمٰوات والأرض فيقولون: الله فذلك إيمانهم بالله وهم يعبدون غيره، وعن عمرو وعكرمة قالا: يعلمون أنه ربهم وأنه خلقهم وهم مشركون به، وعن عكرمة قال هو قول الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[3] فإذا سئلوا عن الله وعن صفته وصفوه بغير صفته وجعلوا له ولداً وأشركوا به. وعن مجاهد قال إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا، وعن عكرمة ومجاهد وعامر أنهم قالوا في هذه الآية: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ قال ليس أحد إلا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السمٰوات والأرض؛ فهذا إيمانهم ويكفرون بما سوى ذلك، وعن قتادة أنك لست تلقى أحداً منهم إلا نبأك أن الله ربه وهو الذي خلقه ورزقه وهو مشرك في عبادته، وعن الضحاك قال: كانوا يشركون به في تلبيتهم، وعن عطاء قال: يعلمون أن الله ربهم وهم يشركون به بعد، وعن ابن زيد ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ قال: ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربه وأن الله خالقه ورازقه وهو يشرك به ألا ترى كيف قال إبراهيم: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾[4] قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون، قال فليس أحداً يشرك به إلا وهو مؤمن به ألا ترى كيف كانت العرب

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٥.
(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٥.
(٤) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ ـ ٧٧.

تلبي تقول: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك: المشركون كانوا يقولون هذا. روى هذه الروايات كلها ابن جرير في تفسير الآية. وقال النيسابوري صفحة ٥٧ من الجزء المذكور في الهامش بعد الآية المذكورة «وذلك أنهم كانوا مقرين بالإله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ لكنهم كانوا يثبتون له شريكاً في المعبودية هو الأصنام ويقولون هم الشفعاء» قابل هذه الأقوال لأعلام الإسلام بقول غراب الأزهر الشيخ الدجوي: «إن المشركين ما كانوا يعترفون بوجود الله فضلاً عن أن يروه هو الخالق» ومن قلة حيائه وقلة احترامه لمن حوله أنه قال في المقال الذي نرد عليه، والمقال الذي بعده وغيرهما: «إنه لم يقل أحد غير ابن تيمية وابن عبد الوهاب أن المشركين كانوا يوحدن الله توحيد الربوبية» أيها المصريون والله لقد فضحكم هذا الشيخ وجعلكم ضحكة فأدّبوه أدب المفتري فإنه لا خير في أمة تمتهن حرمات العلم على مرآها ومسمعها فلا تتغير لذلك.

البرهان الثاني

الأحاديث، في الصحيحين أن المشركين كانوا يلبون والرسول يسمعهم يقولون: «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك» يصرحون أن الله مالك أصنامهم وما يملكون، يتفق على ذلك البخاري ومسلم وأهل السير والمؤرخون؛ وتقول معرة الأزهر: إنهم كانوا ينكرون الله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[1] ولكن إذا كان هؤلاء يجهلون القرآن المحفوظ في صدور الصبيان والعجائز في الحارات، فكيف لا يجهلون كتب الحديث والتاريخ والسير، ومعلوم أن الأزهر لا شأن له في ذلك لا رواية ولا دراية، وإنما شأنه الحواشي والتقريرات؛ والحق أن الأزهر وأهله أعظم مصيبة أصابت الدين والعلم؛ ولا سيما في عصر شيخه الذي نبت جسمه وجلده من عجول السيد وفته. وروى البيهقي أن الرسول عليه السلام قال لرجل: «كم إلهاً تعبد؟ قال: سبعة، ستة في الأرض وواحداً في السماء قال: من لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء قال: فاترك الستة واعبد الذي في السماء» ولا

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٥.

ريب أنه ما جعل الله مفزعه ومطمعه دون ما سواه إلا لأنه يراه المهيمن على كل شيء. وسلف أن عدياً جاء الرسول وسمعه يقرأ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾[1] الآية؛ فقال: إنا لم نعبدهم ولم نتخذهم أرباباً فأقرّه الرسول باعتراف مجلة الأزهر.

البرهان الثالث

لا ريب أن أعظم ما جاءت به الرسل وأنزلت له الكتب هو التوحيد، ولا ريب أن توحيد الخالقية (الربوبية) هو المصدر لتوحيد الألوهية والممد له؛ ولا ريب بعد ذلك أنه لا يوجد في القرآن ولا في الحديث لفظ يقول: آمنوا بأن الله خالق كل شيء، أو يقول: لا تجعلوا مع الله خالقين، أو يقول قال الكافرون أو المشركون: إن شفعاءنا خالقون، وأما الألوهية فقد أكثر القرآن من الأمر بجعلها له وحده، والوعيد لمن جعل معه آلهة، وأكثر من النهي عن دعاء غيره وخوفه والسجود له. فلو أن المشركين كانوا يرون أصنامهم خالقة، ولا يرون الخالق واحداً لكان الأمر بإفراد الله بالخالقية والربوبية أول ما يُعنى به القرآن، ومن أنزل عليه القرآن؛ وقد أنبأ أن أول ما تدعو إليه الرسل هو عبادة الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾[2] وهذا مذكور في حديث الأنبياء مع قومهم قال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[3]، وقال بعده: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[4]، ثم قال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[5] وهذا شأن القرآن. فنحن لو سئلنا عن السر في هذا لأجبنا جواباً صحيحاً وقلنا إن القوم لم يكونوا كافرين بأن الله الخالق لكل شيء. ولكن لو سُئلت مجلة الأزهر عن ذلك لارتبكت ولم تهد إلى جواب صحيح.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.
(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٦٥.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٧٣.

البرهان الرابع

إجماع المفسرين؛ قال الرازي في تفسيره عند قوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾[١] في سورة يونس «لما ذكر بعض تلك التفاصيل لا جرم عقبها بالكلام الكلي ليدل على الباقي، ثم بيَّن تعالى أن الرسول إذا سألهم عن مدبر هذه الأحوال فسيقولون إنه الله؛ وهذا يدل على أن المخاطبين بهذا الكلام كانوا يعرفون الله ويقرون به، وهم الذين قالوا في عبادتهم للأصنام إنها تقربنا إلى الله زلفى؛ وأنهم شفعاؤنا عند الله؛ وكانوا يعلمون أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر. فعند ذلك قال لرسوله: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٢] يعني أفلا تتقون أن تجعلوا هذه الأوثان شركاء لله في المعبودية مع اعترافكم بأن كل الخيرات في الدنيا والآخرة إنما تحصل من رحمة الله وإحسانه، واعترافكم بأن هذه الأوثان لا تنفع ولا تضر البتة» والرازي عند الأزهريين هو الإمام المقدم حتى أنه إذا قيل: «الإمام» لم ينصرف عندهم إلا إليه. فهذا كلامه وتقريره فهو وهابي تيمي على رأي مجلة الأزهر!! وقال أبو السعود عند قوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾[٣] «جواب الشرط محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه، أي إن كنتم تعلمون شيئاً فأخبروني به، فإن ذلك كافٍ في الجواب؛ وفيه من المبالغة في وضوح الأمر وفي تجهيلهم ما لا يخفى، أو إن كنتم تعلمون ذلك فأخبروني وفيه استهانة بهم؛ وتقرير لجهلهم، ولذلك أخبر بجوابهم قبل أن يجيبوا: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ «لأن بديهة العقل تضطرهم إلى الاعتراف بأن الله خالقهم» قال ابن كثير عند تفسير قوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ سورة يونس "يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانية ربوبيته على وحدانية إلهيته؛ فقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾[٤] إلى آخره» ثم قال عند قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ أي هم يعلمون ذلك ويعترفون به» وعند قوله: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾[٥] «أي فهذا الذي اعترفتم بأنه

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣١.
(٢) سورة يونس، الآية: ٣١.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٨٤.
(٤) سورة يونس، الآية: ٣١.
(٥) سورة يونس، الآية: ٣٢.

فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الذي يستحق أن يفرد بالعبادة» وعند قوله ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة من سواه وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء» وعند قوله: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾[1] كما كفر هؤلاء المشركون، واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في ذلك وحده» وعند قوله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾[2] قال: «أي أنتم تعلمون أن شركاءكم لا تقدر على هداية ضال» وعند قوله: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[3] وهلا أفردتم الرب جل جلاله الحاكم الهادي من الضلالة بالعبادة وحده، وأخلصتم له الدعوة والإنابة» وقف أيها القارئ عند قوله وأخلصتم له الدعوة والإنابة. قف عنده طويلاً وزنها بقول الدجوي: «إن الدعوة ليست عبادة مطلقاً؛ وإنه لم يقل أحد أن الدعاء عبادة إلا الوهابيون» وقال البغوي في الآية المذكورة: «فسيقولون الله هو الذي يفعل هذه الأشياء ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[4] أي أفلا تخافون عقابه في شرككم؛ وقيل أفلا تتقون الشرك مع هذا الإقرار» وعند قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[5] «أي فأين تصرفون عن عبادته وأنتم مقرون به» وفي النيسابوري عند تفسير الآية المذكورة فسيقولون الله «وفيه دليل على أنهم كانوا يعبدون الأصنام بناء على أنها شفعاؤهم، وأنها تقربهم إلى الله زلفى، ولكن كانوا مخطئين في هذا الاعتقاد فلهذا ختم الآية بقوله: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله الذي اعترفتم بأنه سبب فيضان جميع الخيرات فكيف أشركتم بعبادته الجمادات التي لا تقدر على نفع أو ضر» وقال ابن جرير في تفسيره الجزء الأول صحيفة ١٢٧ عند قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[6] «عن ابن عباس قال: نزل ذلك في الفريقين جميعاً في الكفار والمنافقين، وإنما عنى بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب

(١) سورة يونس، الآية: ٣٣.
(٢) سورة يونس، الآية: ٣٥.
(٣) سورة يونس، الآية: ٣٥.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٣١.
(٥) سورة يونس، الآية: ٣٢.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

لكم يرزقكم غيره. وعن قتادة في قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي تعلمون أن الله خلقكم وخلق السموات والأرض ثم تجعلون أنداداً» ثم قال ابن جرير: «ولكن الله جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عن العرب أنها كانت تقر بوحدانيته غير أنها كانت تشرك بعبادته ما كانت تشرك فيها فقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(١) وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ إلى ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾(٢) ثم قال: (فالذي هو أولى بتأويل قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إذ كان ما كان عند العرب من العلم بوحدانية الله، وأنه مبدع الخلق وخالقهم ورازقهم نظير الذي كان من ذلك عند أهل الكتابين» وقال عند قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾(٣) سورة يوسف «يقول تعالى ذكره وما يقر أكثر هؤلاء بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء إلا وهم به مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام واتخاذهم من دونه أرباباً وزعمهم أن له ولداً» قال وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، ثم روي عن الصحابة والتابعين ذلك. وقد ذكرناه فيما سبق، وقال البغوي في تفسير هذه الآية «قال ابن عباس من إيمانهم أنهم إذا قيل لهم من خلق السموات والأرض ومن خلق الجبال قالوا: الله، وهم مشركون به وكذا قال مجاهد وعطاء وعكرمة والشعبي وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وفي الصحيحين أن المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم (لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك) وقال عطاء: هذا في الدعاء، وذلك أن الكفار نسوا ربهم في الرخاء. فإذا أصابهم البلاء أخلصوا الدعاء، كما قال تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(٤) الآية وقال: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾(٥)؛ انتهى كلام البغوي وقد جعل عطاء الشرك والإخلاص في الدعاء. فماذا ترى فيه مجلة الأزهر؟ أظنها لو سئلت عن قوله

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣١.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٤) سورة يونس، الآية: ٢٢.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

هذا غير معزو إليه أو معزواً إلى الوهابيين لضللوا قائله وفسقوه. ولقالوا: إنه خارجي يكفر المسلمين ويستبيح دماءهم؛ وقال البيضاوي في تفسير قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾[1]: «وتسميته ما يعبده المشركون من دون الله أنداداً ـ وما زعموا أنها تساويه في ذاته وصفاته، ولا أنها تخالفه في أفعاله ـ ولما تركوا عبادة الله إلى عبادتها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها واجبة الوجود قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله، وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير، فتهكم بهم» وقال النسفي في الآية: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1] «إن الشركاء لا تخلق شيئاً ولا ترزق والله الخالق الرازق» وفيه عند قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ «أي وما يؤمن أكثرهم في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك في عبادته الوثن. والجمهور على أنها نزلت في المشركين لأنهم مقرون بالله خالقهم ورازقهم؛ وإذا حزبهم أمر شديد دعوا الله، ومع ذلك يشركون به غيره» وفيه (تفسير سورة يونس) ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ «فسيجيبونك عند سؤالك بأن القادر على هذه هو الله فقل أفلا تتقون الشرك بالعبودية إذا اعترفتم بالربوبية» وقال النيسابوري في تفسير قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ «ورابعها أنه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه أنه مستجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله اتخذوا صنماً على صورته وعبدوها على اعتقاد أن ذلك الإنسان يكون شفيعاً لهم يوم القيامة عند الله (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله؛ وخامسها: لعلهم اتخذوها قبلة لصلاتهم وطاعاتهم. ويسجدون إليها لا لها كما أننا نسجد إلى القبلة لا للقبلة. ولما استمرت هذه الحال ظن جهالهم أنه يجب عبادتها» ثم قال: «لما تقربوا إليها وعظّموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته (وهذا كحال الطائفين بالبدوي والسيدة صاحبة الشورى تماماً) فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بأن جعلوا أنداداً كثيرة لمن لا يصلح أن يكون له ند. ولا يفيد في طريق عبادته إلا الحنيفية والإخلاص، ورفع الوسائط من البين» وخذ قوله (ورفع الوسائط من البين) فالطم بها وجه الدجوي ووجه شيخه ووجه كل متوسل.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

قابل هذه الأقوال النيرة لأئمة الإسلام وصحابة رسول الله بظلمات الدجوي وقوله: «إنه لم يقل: إن المشركين موحدون الله توحيد الربوبية غير ابن تيمية وابن عبد الوهاب ومن تبعهم» وقل له: أهؤلاء كلهم ـ من صحابة وتابعين ومفسرين ـ من أتباع ابن عبد الوهاب وابن تيمية؟ قبحك الله وقبح من يقبلك. وقبح من ينشر لك هذا الهذيان السخيف والسوآت الفاضحة. إن هذا الرجل أحد رجلين: إما أن يكون جاهلاً مغفلاً. لا يعرف شيئاً ولم يطلع على شيء ولا يحب أن يعرف ولا أن يطلع، وإما أن يكون غشاشاً خبيثاً متبعاً هواه، يريد الإضلال والفساد، أليس هكذا؟ والله إنك لكذلك، وإن القراء جميعاً سوف يقولون فيك ذلك، أليس كذلك أيها القراء؟ غر أيها الشيخ وبؤ بفضيحة جهلك والله لتموتن غيظاً وأسفاً عندما تقرأ هذا إن كان عندك بقية من حياء وإحساس، أعذرونا فيها أيها القراء، فإنه لم يدع للحلم موضعاً ولا للرفق مكاناً. يأتي الحقائق المتفق عليها بين الأولين والآخرين فيقول: إنه لم يقلها أحد غير ابن تيمية وابن عبد الوهاب.

إن كان يدري فهو أعجوبة وخزية إن كان لا يدري

وأسفاً على أوقاف المسلمين التي تدفع إليه ثمناً لهذا الجهل الفاضح، والضلال المبين. أيها المصريون غاروا على دينكم وعلى سمعة بلدكم، وعلى أوقافكم وقوموا في وجوه هؤلاء وإلا ضعتم.

البرهان الخامس

جاء القرآن بشيئين بالأمر بعبادة الله وحده. وبأن لا إله إلا هو؛ وجاء يذكر أنه لا رب ولا خالق سواه؛ فأنكر المشركون الأول وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[1] ذكر في غير ما آية، وأما الثاني فلم ينكروه ـ وهم مولعون بالرد عليه والإنكار لما جاء به ـ فدلنا ذلك الإنكار والسكوت على إيمانهم بالأمر الثاني.

---

(١) سورة ص، الآية: ٥.

البرهان السادس

سموا أصنامهم آلهة وشفعاء: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَٰؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾(١) وقالوا: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾(٢) ولم يذكروا أنها خالقة قديمة. فدل على إعطائها الأول دون الثاني.

البرهان السابع

ذكر الكتاب العزيز إشراك أعداء الرسل بالعبادة مع الله في مواضع كثيرة، ولم يذكر في موضع واحد أنهم أشركوها في الخالقية أو الرازقية. والقرآن جاء ليذكر ضلال الكافرين والغاوين فيرد عليه.

البرهان الثامن

لا يصدق هؤلاء أن يكون الطائفون بمقامات الأولياء، السائلون لهم ـ برغب ورهب ـ يعتقدون أنهم يتصرفون أو يخلقون أو يضرون وينفعون مع وجود دلائل هذا الاعتقاد، فكيف يصدقون أن يكون المشركون ذوو الدهاء والفطنة والذكاء كقريش ومن جاورها يعتقدون أن الأحجار والأشجار التي يصنعونها بأيديهم تخلق وترزق أو تساوي الله أو تعانده هذا شيء عجيب!! كيف يهون عليهم أن يعتقدوا أن أبا بكر وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان ـ قبل أن يسلموا وسواهم من عظماء الصحابة وأذكياء الرجال ـ يرون الأحجار والأشجار والأولياء الذين يشاهدونهم يمرضون ويجوعون ويظمأون ويموتون ويولدون شركاء الله في الخلق والربوبية والقوة، أترى هذا الشيخ وإخوانه لا يفرقون بين الجائز والمستحيل؟ يقال: إن الأزهر يتعاطى هذا الفن، وتلك المباحث، لو خبر الشيخ الدجوي ثقة أو ثقات أن الشيخ الظواهري يرى السيد الحسين رضي الله عنه أو السيدة زينب خالق السماء والأرض مساوياً لله في المقدرة أترونه يصدق ذلك الثقة أو يشك في صدقه أم يكذبه؟ نحن لا نقدر أن نحكم عليه بشيء لأنه فلتة من فلتات الطبيعة! وإن كان يكذب ذلك الراوي الثقة لاستحالة ذلك على شيخه فما له أجازه في حق

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٥٤.

الصحابة وأذكياء العرب مثل أبي جهل ذلك الرجل الداهي أهو يرى شيخه أذكى وأعقل منه؟ نحن نعلم أن الدجوي لا يمكن أن يعتقد يوماً أن الأولياء قدماء مع الله مشاركون له في خلق العالم مع أننا نضع عقله في الدرجة الثالثة أو الرابعة إن تكن رابعة، فكيف يقال إن دهاة قريش يرون تلك الجمادات مساوية لله رب العالمين؟ ليعلموا أن ذلك محال لا يقع ولا يجوز أن يقع.

البرهان التاسع

قد تنازعنا في عقيدة أناس موجودين يسير علينا أن نعرفها وأن نسألهم عنها، هؤلاء النصارى واليهود وخلوف الوثنيين هل يرون قسيسيهم وبطاريقهم وحاخاماتهم وما يعبدون من دون الله شركاء لله في إيجاد الخليقة؟ هؤلاء المجوس في الهند عباد النار والبقر وعباد الشمس والقمر أتظنهم مجلة الأزهر يرون هذه المعبودات مثل الله؟ نعوذ بوجه الله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

البرهان العاشر

شعر العرب ونثرهم؛ وهذا باب واسع لا يمكن الإحاطة به، وإنما أقدم بين يديك جملة تقنعك أن هذه المشيخة ليس في يديها شيء من العلم العقلي أو النقلي:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل [لبيد]
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ... بلى كل ذي رأي إلى الله واسل [لبيد]
أحمد الله فلا ند له ... بيده الخير فما شاء فعل [لبيد]
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب [النابغة]
كلوا الآن من رزق الإله وأيسروا ... فإن على الرحمٰن رزقكم غدا [حاتم]
ولكنما يبغي به الله وحده ... فاعط فقد أربحت في البيعة الكسبا [حاتم]
أما والذي لا يعلم الغيب غيره ... ويحيي العظام البيض وهي رميم [حاتم]
سقى الله رب الناس سحاً وديمة ... جنوب السراة من مآب إلى زعر [حاتم]
يا عبل أين من المنية مهرب ... إن كان ربي في السماء قضاها [عنترة]
لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقي ... إذا هو لم يجعل له الله واقيا [جاهلي]

وفي سيرة ابن هشام أنه لما قدم أبرهة ليهدم الكعبة قام عبد المطلب ومعه نفر من قريش فأخذ بحلقة باب الكعبة وجعلوا يدعون الله ويستنصرونه وقال عبد المطلب:

لا هـم إن الـعـبـد يـمـنـع رحـلـه فـامـنـع حـلالـك
لا يـغـلـبـن صـلـيـبـهـم ومـحـالـهـم غـدوا مـحـالـك
إن كـنـت تـاركـهـم وقـبـلـتـنـا فـأمـر مـا بـدا لـك

وقال أحدهم لما انتقم الله من أبرهة وجنده:

أيـن الـمـفـر والإلـه الـطـالـب والأشرم الـمـغـلـوب لـيس الـغـالـب
فـلـولا دفـاع الله لا شـيء غـيـره لأصبحتمو لا تمنعون لكم سربا [لأحد قريش]
يـريـش الله فـي الـدنـيـا ويـبـري ولا يبري يعوق ولا يريش [في صنمهم]

وقال رجل لما جاء بإبله إلى صنم اسمه سعد فنفرت إبله:

أتـيـنـا إلـى سـعـد لـيـجـمـع شـمـلـنـا فـشـتـتـنـا سـعـد فـلا نـحـن مـن سـعـد
ومـا سـعـد إلا صـخـرة فـي تـنـوفـة مـن الأرض لا يـدعـو لـغـي ولا رشـد

وأخذ حجراً ورماه. وقال: لا بارك الله فيك. وذكر ابن هشام خطبة وفد تميم على الرسول قبل أن يسلموا وأولها: «الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن، وهو الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف. وجعلنا أعز أهل المشرق، وأكثره عدداً وأيسره عدة» إلى آخر الخطبة.

هذه طائفة من شعر العرب ونثرهم ـ مادة أدبهم وأخلاقهم؛ ودينهم وعادتهم ـ تنبئك أنهم مؤمنون بالله وبأنه المتصرف المطلق الخالق لكل شيء المفزوع إليه في الفزع، المرجو في الطمع؛ وأن أصنامهم ما هي إلا عباد مخلوقون مصرفون غايتهم أن يشفعوا لهم وأن يتبركوا بهم كعقيدة إخوانهم المعاصرين.

هذه عشرة براهين تثبت أن العرب وغيرهم موحدون الله توحيد الربوبية ـ فضلاً عن الإيمان بوجوده؛ وإننا نتحدى مشيخة الأزهر أن يرووا لنا عن مؤرخ أو عالم أو مفسر معتبر عند الأمة أنه قال كمجلة الأزهر: إن المشركين كانوا جاحدين الله غير معترفين بأنه الخالق القاهر، فهل يمكن المشيخة أن تأتي برواية كذلك اسألوهم إن كانوا ينطقون.

الفرق بين توحيد الألوهية والربوبية

زعم الشيخ الدجوي في المقال السالف الذكر: أنه لا فرق بين التوحيدين وأنه لم يفرق بينهما إلا ابن تيمية وابن عبد الوهاب!! وقال: إنهما متلازمان، وإن الأول مترتب على الثاني، وقد وقع في التناقض. لأن اللازم غير الملزوم. والمترتب غير المترتب عليه، وقد قال ذلك بعد أن قال: إنه لا فرق بينهما.

شبهاتهم على أنه لا فرق بين التوحيدين

الأولى: قال: «ما كان رسول الله ولا أصحابه يذكرون ذلك، ولا يقولون لمن دخل في دين الله: إن هناك توحيدين».

الثانية: قال: «لا معنى لهذا التقسيم؛ لأن الإلٰه الحق هو الرب الحق والإلٰه الباطل هو الرب الباطل. ولا يستحق العبادة إلا من كان رباً. ولا معنى لأن نعبد من لا ينفع ولا يضر».

الثالثة: قوله تعالى في أخذ الميثاق: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[1]. قال: «لو كان بين الإلٰه والرب فرق لما اكتفى بالسؤال عن الرب، بل لقال: ألست بربكم وإلٰهكم.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[2] قال: «معنى الإلٰه هنا هو الرب لا المعبود. إذ سوف يجيء زمن لا يكون الله فيه معبوداً في الأرض ولا في السماء»!!

الخامسة: حديث سؤال الملكين. قال: «إن الملكين يقولان لمن وضع في

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.

قبره: من ربك؟ وليس فيه أنهما يقولان من إلٰهك؟ ولو كان بين الإلٰه والرب فرق لما اقتصروا على السؤال عن أحدهما»!!

هذه شبهاتهم على هذه المسألة. وهي شبهات مضحكات لا ينقضي منها العجب، وسوف أجعل البرهان على ذلك في يمينك وشمالك. ولولا أنها مكتوبة في مجلة هي لسان لأعظم جامعة إسلامية ـ كما يقولون ـ لما جدنا عليها بالتفات ولما وهبناها منا أقل عناية.

لا يدرى ما يقصدون من أنه لا فرق بينهما، يقصدون أن التوحيد هو توحيد الربوبية ـ أي أن يؤمن أن الله الخالق لكل شيء فقط ـ وأنه ليس ثم شيء غيره يسمى توحيداً ولا عبادة فمن سلم لله ذلك فقد صار مؤمناً حقاً، وجاء بالتوحيد الخالص كله، ومن لا فلا، أو يقصدون أنهما شيئان متغايران، ولكنهما مقترنان. أي لا يمكن أن يجيء أحد بأحدهما دون الآخر؛ إن أرادوا الأول فقد جاءا وكفرا مجرداً، إذ يقضي بأن من آمن بأن الله الرب، فقد آمن ونجا وإن صلى للأصنام وركع لها وسجد وأعطاها أبلغ التعظيم وإن أرادوا الثاني كان أكذب من الأول، من يقول إن من اعتقد الله الخالق فسوف يفرده بالعبادة ولن يشرك به أحداً؟! من يجرؤ أن يكتب ذلك؟ اللهم إني أسألك العفو والعافية.

الجواب عن الشبهة الأولى:

وهي قوله: إن الرسول وأصحابه لم يذكروا التفريق! نقول إما أن يريد أنهم لم يذكروه باللفظ المذكور؛ وإما أن يريد أنهم لم يذكروه ولا بالمعنى، ولم يفهموا من دخل في الدين أن هناك توحيدين؛ إن أراد الأول فلا يضرنا ولا ينفعه؛ لأننا لا نزعم أن الرسول يتكلم بلسان الأزهر واصطلاحاته وإن أراد الثاني نازعناه: وقلنا، إنك لم تقم دليلاً عليه بل نقول: إن الرسول وأصحابه أعلموا الداخلين في الدين أن هناك توحيد ألوهية وربوبية بقولهم لهم قولوا لا إله إلا الله ولا تعبدوا إلا الله ولا تدعوا إلا إياه مع قولهم لا خالق ولا رازق إلا الله، وهؤلاء يريدون أن يكون كلام رسول الله ـ أفصح البشر ـ آتياً على اصطلاح الأزهر بأن يقول: ينقسم التوحيد قسمين إلى آخر العبارة، ولو كان كلام الرسول ككلام الأزهريين لما قبل الإسلام.

الجواب الثاني:

لنا أن نقابل قولهم هذا ونقول: لم يقل الرسول ﷺ ولا صحابته: إن التوحيد توحيد واحد فهو توحيدان وهذا كقولهم؛ بل نحن أسعد لأن أمامنا لفظين والأصل أن يكون لكل لفظ معنى يخصه؛ ومن ادعى ترادف اللفظين على معنى فعليه البيان.

الجواب الثالث:

هذه الشبهة مثل أن يقول جاهل: إن الإيمان هو الإيمان بالله وليس منقسماً إلى الإيمان به والإيمان بملائكته وكتبه ورسله؛ فإذا قيل له ما هذا؟ قال لأن الرسول لم يذكر ذلك الانقسام وكمن أنكر أن تكون الأعمال واجبات ونوافل محتجاً بأن القرآن والرسول لم يذكر ذلك الانقسام، وكمن قيل له: لا يكون المرء مؤمناً بالله حتى يسلم ذلك قلبه ويقوله بلسانه ويعمل كما يقضي بأعضائه فقال ليس ذلك شرطاً ودليلي أن كتاب الله لم يذكر ذلك. هذه الأقوال والاحتجاجات كشبهة إخواننا الأزهريين.

الجواب الرابع:

قدمنا البراهين أن الكافرين مؤمنون بأن الله الخالق لكل شيء. والرسول يدعوهم إلى التوحيد ويقول إنكم غير مؤمنين ولا موحدين؛ فإذا دخلوا فيما دعاهم إليه صاروا موحدين؛ فهذا بمثابة أن يقول لهم: إن التوحيد قسمان بل أصرح وأبين، لأنها دلالة فعلية، فلو قال لهم بعد ذلك: التوحيد قسمان لكان عياً؛ وأيضاً قوله لهم: لا إله إلا الله، ولا تعبدوا إلا الله؛ ولا تخافوا إلا الله، وهل من خالق غير الله؟ بيده الخير بيده الملك يعلمهم ذلك. وأيضاً لفظة الربوبية غير لفظة الألوهية مادة واشتقاقاً والعرب يفهمون الألفاظ ويفهمون تغايرها؛ فلا يحتاج إلى أن يقول لهم: إن الربوبية غير الألوهية كما لا يحتاج أن يقول: إن السماء غير الأرض، وإن القديم غير الحادث، وإن الماء غير اللبن والعسل غير الخمر وأشباه ذلك، أليس كذلك أيها الدجوي إنه لكذلك فهل فهمت.

الشبهة الثانية:

الجواب عنها أن يقال: حاصل الشبهة أن عبادة غير الخالق حمق وضلالة.

فلا يمكن أن يقع ذلك الحمق والضلال البين من المشركين، فيجب أن نقول: كانوا يرون أصنامهم هي الخالقة ليكون لعبادتهم إياها وجه معقول. هذا حاصل الشبهة، وظني أن نفس تصويرها يكفي لإبطالها. فالمسلمون يعرفون جميعاً أن المشركين كلهم حمقى وضلال؛ ومغفولون أيضاً، ولم يعتذر لهم أحد قبل مجلة الأزهر ولم يوجه عبادتهم قبل الدجوي عالم، ولم يبرئهم من الحماقة قبل علماء الأزهر مبرىء؛ وقد قال المشركون في أنفسهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝﴾[1] ونادوا على أنفسهم بالضلال المبين وقالوا: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾[2] فهم يبرئون من الحماقة قوماً قال الله لهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[3] ومن الهوان أن يعتذروا لعباد الأصنام ولا يعتذرون لإخوانهم الموسومين عندهم بالوهابيين، فكثيراً ما رموهم الحماقة والضلالة وجهل المنطق والدليل، ليعلم الشيخ وإخوانه أنه لا ينزّه المشركين إلا مشرك أحمق مكذب الله وأنبياءه والمسلمين، وليت الشيخ يفطن أنه أراد أن يقدس المشركين من أن يعبدوا من لا يظنونه يضر ولا ينفع، فجعلهم يعبدون من لا يضر ولا ينفع ويرونه الخالق المصرف، أي أنف أن يعبدوا الأحجار والأشجار ولم يأنف أن يروها خالقة رازقة وأن يعبدوها، وهنا يصدق المثل القائل: (عدو عاقل خير من صديق جاهل) ولو سلم للشيخ ما قال لما كانت شبهته دليلاً على ألا فرق بين التوحيدين؛ فالدليل في واد والمدلل عليه في واد آخر سحيق، إذ غاية الدليل أن المشركين عقلاء لا يتصور أن يعبدوا من لا يرونه نافعاً، والعاقل يرى أن العبادة تابعة لاعتقاد الربوبية، فلا بد أن تكون عبادة الأصنام تابعة لاعتقادها أرباباً. هذا غاية الدليل فهل يدل على أن اعتقاد الخالقية في الشيء هي عبادته؟ اللهم لا. ثم ألا يشعر بتهافته؟ فإن قوله: أحدهما تابع والآخر متبوع، يدل على أنهما أمران متغايران.

---

(١) سورة الملك، الآيتان: ١٠ ـ ١١.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٧ ـ ٩٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

وإن لسان المرء ما لم تكن له حصاة على عوراته لدليل

وقوله هنا: والإله الباطل هو الرب الباطل غلط كبير؛ فإن الإله الباطل ليس رباً فاللات إله باطل، ومن يقدر أن يقول: إنها رب؟ والأهواء المطاعة آلهة باطلة ومن يقول: إنها أرباب؟ في القاموس: «ورب كل شيء مالكه ومستحقه» فالإله الباطل هو المعبود الذي لا يستحق العبادة؛ وهل من عبد بلا حق يكون رباً باطلاً أي مالكاً لا يستحق الملك؛ الله يعلم وأهل اللغة أن مثل هذا الاستعمال باطل.

الشبهة الثالثة:

وجوابها من وجوه:

الأول: في الآية تفسيران ـ أحدهما ـ أن ذلك في عالم الوجود والمراد شهادتهم بأن الله خالقهم وربهم. والمراد من إشهادهم على أنفسهم هو فطرهم على ذلك وقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ جاءت بلسان الحال. وقولهم: ﴿بَلَىٰ﴾ على الحقيقة، أي يقولون: أنت ربنا. ويرجع هذا التفسير إلى اعتراف المؤمن والكافر بتوحيد الربوبية، والتفسير الثاني أن يكون ذلك كله وقع في عالم الذر، أي إن الله مسح ظهر آدم فأخرج جميع ذريته من صلبه، وأشهدهم الإشهاد المذكور وشهدوا له به، هذان تفسيران مشهوران، للسلف والخلف وعلى الأول تكون الآية نقضاً عليهم. وتدل على أن الناس ـ حتى المشركين ـ يقرون بأن الله خالقهم، والشبهة مبنية على التفسير الأخير، وهو لم يذكر أنه الحق المتعين؛ وعندي أن الأول هو اللازم المصير إليه؛ لأن الآية تقول أخرجهم من ظهور بني آدم، واللائق بالثاني أن تقول من ظهر آدم، وأيضاً لا فائدة بهذا الإشهاد والشهادة على الثاني ولا أحد يذكره وينتفع به، ولا يصلح أن يكون حجة قاطعة لمعاذيرهم، وعلى الأول يكون لذلك كله فائدة، فإن القوم إذا اعترفوا أنه القاهر ثم عبدوا غيره كانوا محجوجين باطلي العذر؛ ثم على الثاني كيف يحسن قوله: ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾[1] فإن ذلك على الرأي الثاني ـ لا يكون مانعاً من الغفلة، فالناس جميعاً غافلون عنه، وكيف يكون ذلك الإشهاد مانعاً من تقليد الآباء واتباعهم إذا ضلوا على الرأي الأخير، وأيضاً عليه يكون الله خاطب الناس جميعاً

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

وأماتهم ثلاث موتات وأحياهم كذلك، هذه أشياء تنأى بهذا التفسير عن القبول.

الجواب الثاني:

لو تدبرت المجلة قليلاً لرأت أن الله سألهم عن التوحيدين فقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ سؤال عن الربوبية والرب، وقوله: ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾[1] نهي عن اتباع الآباء في الشرك وأمر بعبادته وحده، فالتوحيدان متغايران بصريح الآية.

الجواب الثالث:

هذا الإيراد لا يرد علينا إلا إذا ذكروا: أن السؤال كان عن جميع الدين، أو عن جميع ما هو شرط في قبول الإيمان؛ وإلا فلا يرد علينا يقيناً، فإن لنا أن نقول: سألهم الله عن الربوبية وقررهم عليها وإقرارهم بها يهديهم إلى الألوهية لو عقلوا ولم ينقادوا للشيطان، فإن من يعقل لا يعبد إلا من له الأمر والنهي والنفع والضر، ولو خلى الناس وفطرهم لما عبدوا إلا الله، ولولا مشيخة الأزهر وضلال المسترزقين لما وجدت من يستغيث الأولياء ويطوف بهم، لهذا يقول الله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2] وفي البخاري وغيره عن رسول الله عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» وفي كتاب مسلم عنه عليه السلام عن الله سبحانه: «قال خلقت عبادي حنفاء»، وفي رواية: (حنفاء مسلمين فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم) الحديث ألا ترى المجلة أن هذه الشبه تفتح عليها أن يقال: الآية لم تذكر غير توحيد الله ولم تذكر الإيمان بالكتب، والرسل والملائكة والبعث وسائر أركان الإيمان، فليست هذه الأشياء مما يلزم الإيمان به لأن الآية لم تذكره المجلة تقول لنا إذا كان توحيد الربوبية غير توحيد الألوهية فلماذا لم تذكر الآية توحيد الألوهية فإذا أردنا أن نسألها كسؤالها قلنا: الآية أيضاً لم تذكر كلّ ما يجب الإيمان به فيجب أن

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٣.
(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

نقول إنه لا يجب الإيمان إلا بالله، أما ملائكته وكتبه إلى آخره فلا يلزم الإيمان بهم؛ هذا سؤال لا محيص لهم عنه، وتحرير هذا الجواب أن يقال: الآية لم تلتزم أن تذكر جميع أبواب الإيمان فلا يصلح أن تسألونا السؤال المذكور، هذا أمر واضح.

الرابع: نقول ليس تنازعنا على الألفاظ فهبوا الرب يطلق على الإِله لغة فهل يدل هذا أن توحيد الألوهية ـ الذي يراد منه إفراده بالعبادة ـ هو توحيد الربوبية ـ الذي يراد منه الإيمان بأن الله خالق كل شيء، بيده كل شيء يا ليت هؤلاء يهدون إلى محل النزاع.

الخامس: لولا رفقنا بالشيخ لقلنا من أنبأك أن القرآن ذكر جميع ما سألهم عنه وما أشهدهم عليه ومن أخبرك أنه لم يشهدهم على توحيد الألوهية؟ ما معك من شبهة على ذلك غير أن القرآن لم يذكره على ما تفهم، ومن قال إن القرآن حدَّث بكل ما حصل وما كان في الأزمان الذاهبة.

الشبهة الرابعة:

وهي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[1] ليس لهذه الشبهة وجه يصح؛ والإِله هنا هو المعبود بلا شك؛ أي هو معبود في الأرض وفي السماء وهؤلاء أبوا أن يكون ذلك هو المعنى، لأنه سوف يجيء زمن ـ كما يقولون ـ لا يعبد الله في الأرض أحد، فلا يكون فيها إلهاً أي معبوداً. وفاتهم أن الآية لم تقل وفي الأرض إلٰه في كل وقت، ومثل هذا الاستعمال يصدق بأقل مدة يعبد الله فيها، وأيضاً الاعتراض لازم على كل حال إن كان صحيحاً، فهم يقولون الإِلٰه والرب معناهما واحد. فالرب هو الإِله، والإِلٰه هو الرب. لأنهم لا يفرقون بينهما فقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ أي رب ومعبود باعترافهم وسوف يجيء زمن ـ كما قالوا ـ لا يكون الله في الأرض معبوداً. فما المخلص ما أكثر ما يزلون، وأيضاً من قال لهم: إن زمناً من الأزمان لا يعبد الله فيه أحد؟ ألا يذكرون قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.

الساعة وهم على ذلك» وهبوا أنه لا يعبد الله من الناس أحد في ذلك الزمن فالكائنات الأخرى تعبده. والقرآن أخبر بأنها تسجد له وتسبحه، ولا يجسرون أن يقولوا: إن الكائنات كلها تكفر وترتد في الزمن الأخير، أو ليس هؤلاء يقولون: إن الأنبياء والأولياء أحياء في قبورهم؛ يعبدون الله ويعطون سائليهم، فالله معبود في الأرض إلى يوم القيامة ولو من الأموات على زعمكم فالشبهة مثل الضعف.

الشبهة الخامسة:

الجواب عنها من وجوه:

الأول: هؤلاء يحسبون ملائكة العذاب لجنة أزهرية تمتحن الميتين في العقائد السنوسية والنسفية!! ويسألونهم عن كل شيء فيها، ولهذا يقولون: ما تركوا السؤال عن الإله إلا لأن معناه الرب. وإلا لسألوا عنه كما سألوا عن الرب، وجدير بهم إذاً أن يقولوا: إنهم لم يسألوا عن العشرين الصفة لله، وعن أضدادها، ولم يسألوا عن تنزيه الله عن علوه وعن أن يكون له رحمة أو أن ينزل ويدنو، وعن كثير من الصفات التي يرى الأزهريون إثباتها لله ردة، معنى هذا أن نقول لهم: هل ملائكة القبر يسألون عن كل شيء مما هو شرط للإيمان أو لا يسألون عن ذلك كله؟ فإن قالوا: الأمر هو الأول. قلنا إن السؤال لم يكن إلا عن الإسلام وعن الرسول وعن الرب. فإذاً كل ما سوى ذلك ليس من الإيمان، فلا يلزم الإيمان بالرسل ولا بالكتب ولا بشيء فإذا قالوا: إن السؤال عن الرب وعن الرسول وعن الإسلام هو سؤال عن جميع الدين، قلنا كذلك نقول: إن السؤال عن ذلك هو سؤال عن الإله وعن الألوهية، وإن قالوا: الأمر هو الثاني، فالاعتراض حينئذٍ لا قيمة له. واستدلالهم على أن الرب هو الإله لأجل الاقتصار على الأول استدلال مردود.

الثاني: إن الملائكة تسأل الميت عن ثلاثة أشياء: عن الرب والرسول والدين؛ ولا شك أن السؤال عن الرسول والتصديق له هو سؤال عن كل شيء جاء به وتصديق به، ومنه توحيد الألوهية، وإن السؤال عن الدين والإقرار بالإسلام يشمل السؤال عن كل ما هو دين، ومنه أن لا إله غير الرب كما سيجيء، فالإيمان بذلك هو إيمان بذاك، فقولهم: إن السؤال كان عن الرب فقط

غلط.

الثالث: قد قدمنا أننا لا ننازع في الألفاظ، فهب الرب يطلق على الإله لغة، فهل يقضي ذلك بأن يكون توحيد الربوبية الذي هو الإيمان بأن الله خالق كل شيء هو توحيد الألوهية الذي هو إفراد الله بالعبادة.

الرابع: قد ورد في أحاديث سؤال الميت أنه يجيب ملائكة العذاب ويقول لا إله إلا الله ويشهد بذلك فلم يقتصر على الرب فقط ـ كما زعم هؤلاء لقصورهم في علم الحديث.

الخامس: من أنبأ هؤلاء أن الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر عن كل ما تقوله الملائكة لمن يسألون؟ وما المانع من أن يكونوا يسألون عن الإله وعن الرب وعن أشياء كثيرة، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام اقتصر لنا على ذلك واختصره اختصاراً. ليس ثم مانع يمنع من هذا فإن كان لديهم مانع فليبينوه، وهنا فرغنا من إبطال الشبهات ولننتقل إلى براهين الفرق بين التوحيدين.

الفرق بين توحيد الألوهية والربوبية

وعلى ذلك براهين:

البرهان الأول: لا ريب أن الألوهية - أي العبودية من الصلاة وسائر الطاعات - غير الربوبية - أي ملكية الله للعالم - ولا ريب أن توحيد أحد الأمرين المتباينين غير توحيد الأمر الآخر المباين، فلا يُدرى ماذا ينكرون ولا بين ماذا يسوون. وما كنا نظن أن مثل هذا يمتد إليه خلاف.

البرهان الثاني: متى قيل لا فرق بين هذا وذاك كان المعنى لا فرق بين حقيقتيهما لا اسميهما. فقولهم هنا: لا فرق بين الألوهية والربوبية، يريدون لا فرق بين معناهما وهذا يتناول ثلاثة معانٍ، أحدها أن يكون الشيئان شيئاً واحداً. والثاني: أن يكونا شيئين لكنهما متلازمان. والثالث: إنه ليس هناك توحيد عبادة وألوهية، ولا شيء يسمى بهذا الاسم، وإنما التوحيد هو توحيد الربوبية وهو الإيمان بأن الله هو خالق العالم؛ والاحتمالات الثلاثة باطلة. أما الأول فمأخوذ من قول النصارى وعقيدتهم في التثليث، وأما الثاني فمن يقول: إن عبادة الله وطاعته هي الإيمان بأن الله خالق العالم؟ وأما الثالث فباطل بالضرورة واتفاق المسلمين؛ فإنه لم يقل أحد من المسلمين: إن الإيمان بأن الله الخالق ينجي العبد من العذاب ويجعله مؤمناً.

البرهان الثالث: الألوهية من عمل العباد لأنها (من إلٰه إذا عبد) والعبادة للعبيد، والربوبية من فعل الحق سبحانه وهي ملكيته للوجود وزعامته عليه. فكيف يكون فعل الرب فعلاً للعبد وفعل العبد عملاً للرب؟ هذا قول أهل الاتحاد ووحدة الوجود؛ فهل هم منهم؟!

البرهان الرابع: قال في القاموس «أله إلاهة وألوهة وألوهية عبد عبادة ومنه

لفظ الجلالة وأصله إله أي مألوه» وفي مادة رب منه «الرب باللام لا يطلق لغير الله، والاسم الربابة بالكسر والربوبية بالضم ورب كل شيء مالكه ومستحقه وصاحبه ورب الشيء ملكه ورب الطفل أي رباه» ومثل ما ذكر القاموس ذكرت جميع كتب اللغة وجميع كتب التفسير، انظر تفسير النيسابوري والزمخشري وابن جرير والرازي وغيرهم في تفسير الفاتحة وغيرها، فقول مجلة الأزهر مخالف إجماع المفسرين واللغويين والأدباء، فعلى أي شيء يعتمدون وبأي لسان يتكلمون؟

البرهان الخامس: قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[1] تفسير الآية ـ على قول هؤلاء ـ اجعل لنا رباً خالقاً كما لهم أرباب خالقون يا سبحان الله! يخفى على المشيخة أنه لن يظن أجهل الجاهلين أن مخلوقاً ـ وإن جل ـ يستطيع أن يجعل رباً خالقاً؛ لأن جعل هنا معناها أوجد، وكيف يطلبون ذلك منه؟ فهم إن كانوا يعلمون أن الله الخالق لكل شيء كان طلبهم أن يكون غيره خالقاً محالاً لا يخفى على أحد، وإن كانوا يعلمون أن غيره رب خالق وجب عليهم أن يؤمنوا بذلك اجعل لهم موسى أم لم يجعل، أوافقهم أم خالفهم. وهذا مثل أن يطلبوا منه أن يجعل للسماء خالقاً غير الله وللشمس والقمر خالقاً غيره سبحانه وهذا لا يخفى على أحد امتناعه مهما كبر نصيبه من الجهل والغباوة، ثم الآلهة في الآية إما أن يكونوا هم المعبودين أو الخالقين، الأخير لا يجوز لأن القوم لا يريدون أن يجعل لهم موسى خالقاً كما لغيرهم خالقون؛ وهذا باطل بالضرورة لم يبق إلا المعنى الأول؛ وهو ما نريده فثبت ما قلنا وزهق باطلهم. ونظير الآية ما جاء أن أصحاب رسول الله مروا على قوم لهم شجرة يدعونها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم للبركة. فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال: الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ فالصحابة على قول هؤلاء يسألون أن يجعل لهم خالقاً! وافضيحة العلم.

البرهان السادس: قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾[(١)] ذكر الرب ثم المالك ثم الإله؛ فلو كان الرب والإله شيئاً واحداً لكان في الآية تكرار ينبو بها عن حد البلاغة؛ فلا بد أن يكون مدلول الإله غير مدلول الرب؛ وضع بدل الإله هنا الرب وقل: «أعُوذ بِرَبِّ النَّاس. مِلِكِ النَّاسِ. ربِ النَّاسِ» تعلم أن ذلك ركة لا يناسب بليغ القول. والتكرار يحسن في مواضع فمثلاً يجوز في جيد الكلام جاء زيد الكريم الكريم، ولا يجوز جاء زيد الكريم الشجاع الكريم، بل ولو غيرت الكريم الأخير بلفظ مرادف وقلت الكريم الشجاع الجواد. ومثل الآية على رأي هؤلاء قول القائل: (فلان ناصر إخوانه خاذل أعدائه ناصر إخوانه) وهذا لا يجوز أبداً فمن للقوم بالبلاغة وعلم البيان.

البرهان السابع: باتفاق أهل اللغة أن إلٰهاً بمعنى مألوه كفراش أي مفروش؛ وكتاب أي مكتوب، وبساط أي مبسوط، وأن رباً بمعنى راب أي اسم فاعل، لأنه يقال رب الناس أي ملكهم؛ ورب الشيء رباه؛ فرب يراد أنه راب كمالك وفاعل؛ وتفسير اسم الفاعل باسم المفعول من بدع كتاب مجلة الأزهر التي ابتدعوها في اللغة كما ابتدعوا في الدين والمعقولات.

البرهان الثامن: في الصحيحين أن رسول الله قال: «ما من عبد قال لا إلٰه إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» قيل له: وإن زنى وإن سرق قال: «وإن زنى وإن سرق» ورويا أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ما من عبد يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار» فإن كان معنى الإلٰه هو الرب كان بمقتضى هذه الأحاديث من آمن بأنه تعالى خالق العالمين نال الثواب المذكور وإن لم يفرده بالعبادة. وفي الصحيحين أنه عليه السلام قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» معنى هذا ـ عند المشيخة ـ حتى يقروا بأن الله تعالى الرب. وإن ظلوا يعبدون اللات والعزى ويستشفون بهما ويناديونهما! وفي البخاري عن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله من أحق الناس بشفاعتك يوم القيامة قال: «من قال لا إلٰه إلا الله خالصاً من قلبه» وفيه أيضاً أنه عليه السلام

(١) سورة الناس، الآيات: ١ ـ ٣.

قال لعمه أبي طالب: «قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» وجاء عنه عليه السلام أنه قال: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله» معنى هذا كله عند سادتنا هو الإقرار لله بالخالقية والرازقية، وهذا جهل لا ينادى وليده.

البرهان التاسع: نحن ذكرنا البراهين على أن المشركين كانوا يعترفون بالله وربوبيته، وكانوا يقرون بذلك إذا سئلوا عنه، كما في الآيات السابقة وكانوا مع هذا الاعتراف والإقرار يأبون أن يعترفوا أن لا إله إلا الله ويقولون: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾[1] فلا بد أن يكون الذي اعترفوا به غير الذي أنكروه.

البرهان العاشر: لو كان التوحيدان توحيداً واحداً لكان من جاء بتوحيد الربوبية مؤمناً ناجياً مهما عمل ومهما أتى بالمكفرات، ومعلوم بطلان هذا لكل أحد.

البرهان الحادي عشر: الألوهية والربوبية والإله والرب ألفاظ متغايرة ـ مادةً واشتقاقاً، والمستقرأ في كلام العرب أن يكون لكل كلمة معنى يخصها، والترادف ـ أي أن يكون الألفاظ واردة على معنى واحد ـ قليل، ولقلته ذهب كثير من العلماء إلى أنه ليس موجوداً، فمن زعم أن لفظين ـ أو أكثر ـ مترادفان وجب أن يذكر البرهان الذي لا يرد على قوله. وإلا كان مبطلاً وقد أبطلنا براهينهم على الترادف في هاتين المادتين.

البرهان الثاني عشر: قال مخالفنا في أول مقالة: «إن التفريق بين التوحيدين باطل لأنه لم يؤثر عن رسول الله ولا عن صحابته» فنحن حينئذٍ نقول: إذا كان ذلك النفي اللفظي حجة عندك على الإثبات فلتعلم أن رسول الله وصحابته لم يقل أحد منهم: إن الألوهية والربوبية لفظان مترادفان ومعناهما واحد، فلا بد أن يكونا مختلفي المعنى.

البرهان الثالث عشر: قرر مخالفنا أن القرآن جعل توحيد الألوهية مترتباً

(١) سورة صٓ، الآية: ٥.

على توحيد الربوبية، وقال إن أحدهما لازم للآخر؛ فهذا اعتراف منه بأنهما شيئان متغايران فلماذا ينازعنا في شيء هو معترف به؟ الحق أن مخالفنا طيب القلب سليمه.

البرهان الرابع عشر: أخبر القرآن أن الكفار كانوا يسمون أصنامهم آلهة قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾[1] ولم يخبر في آية أنهم قالوا لها: أرباب. فلو كان لا فرق بين اللفظتين لسموها أرباباً كما سموها آلهة، ولما اقتصروا على إطلاق آلهة اطراداً.

البرهان الخامس عشر: الذي يحقن دم المشرك أن ينطق بكلمة الإخلاص على - ألا يأتي بما ينقضها - وهذه الكلمة التي تحقن الدم هي لا إله إلا الله أو ما يفيد معناها باتفاق المسلمين ولا يعصمه أن يقول: لا خالق إلا الله بإجماع المذاهب، ولو كان معنى الإله والرب واحداً لما عصم دم أحد اللفظين دون الآخر.

البرهان السادس عشر: يقال: رب الدار لصاحبها، ورب الإبل لمالكها، ورب القبيلة لسيدها؛ فإن كان معنى الإله هو الرب - سواء - جاز أن يقال إله الدار لصاحبها، وإله الإبل لمالكها، وإله القبيلة لسيدها، وهذا منكر باتفاق الأولين والآخرين؛ إذاً بين الكلمتين اختلاف ولا شك.

البرهان السابع عشر: يقال للهوى المطاع: إله؛ - كما قال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[2] - ويقال للات صنم قريش - وكذا للعزى - إله فهل يقال للهوى رب وللات أو العزى أنهما ربا قريش؟ إن كان لا فرق بين الإله والرب - كما يزعم هؤلاء - جاز ذلك، وهو لا يجوز.

هذه سبعة عشر برهاناً تنبئك أن الألوهية والربوبية، والإله والرب متخالفات في المعنى ولتعلم: أنه لم يقل بالتسوية بينهما أحد من العلماء قبل مشيخة الأزهر ومجلتها.

(١) سورة هود، الآية: ٥٣.
(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

خاتمة الفضائح

وبعد أن كتبنا ما كتبنا طلع علينا الجزء الخامس (من المجلد الرابع نور الإسلام) يحمل مقالاً طويلاً بتوقيع صاحبنا الهمام الشيخ الدجوي عنوانه (توحيد الألوهية والربوبية) وهو مخالف لما يدل عليه العنوان، فالعنوان في جانب والمقال في آخر ـ كما أريك ذلك؛ إذ المقال هو تدليل أو محاولة تدليل على جواز التوسل الأزهري العامي الذي أبطلناه بكتابنا البروق، فالأدلة هي الأدلة، والدعاوى هي الدعاوى من غير زيادات في المجازفات؛ ومخالفة للضروريات؛ وغلو في الأولياء والتعلق بالمخلوقين. ولنشر إلى جملة من تلك المجازفات:

الفضيحة الأولى:

قالوا: عبادة غير الله لا تكون عبادة ما لم يعتقد عابد غيره أن معبوده رب خالق وهاك نص العبارة: «فإنهم إذا فهموا أن كل تعظيم عبادة أو كل طلب عبادة؛ فقد برهنوا على جهلهم، فإنّا رأينا إخوة يوسف قد سجدوا ليوسف. والملائكة سجدوا لآدم. وليس هناك شيء أبلغ في التعظيم من السجود، فإذاً ليس التعظيم شركاً لذاته مهما بلغ أمره، ولو كان ذلك وصفاً ذاتياً له لوجب ألا يفارقه، فالتعظيم لا يكون عبادة (وقد سبق في كلامه أن السجود أبلغه) إلا إذا كان معه اعتقاد الربوبية، وقد ذكر أصرح من هذه العبارة في أحد أعداد مجلة (الإسلام) والعدد لدينا. إذاً على كلام هذا الشيخ الجليل من سجد لسيدنا الحسين أو للبدوي أو اللات والعزى؛ بل أو للكنائس والبيع لم يكن مشركاً ما لم يعتقد لهم الربوبية؛ .فلو رأيناه أو رأينا شيخه الأجل الشيخ الظواهري يسجد لحجر أو شجر أو ملك أو وزير لم نقل: إنه أشرك لأننا مستيقنون أنه لا يمكن أن يعتقد في هؤلاء الربوبية أبداً، فماذا ترون في هذا؟ إننا لا نحتاج أن نذكر قول الله

تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾[(١)] ولا قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[(٢)] ولا قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾[(٣)] ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(٤)] ولا أن نذكره بالحديث الذي مر، وهو أن صحابة رسول الله لما رأوا المشركين يعلقون أسلحتهم بشجرة للبركة، قالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله: «قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة» ولا أن ننبهه أن الصحابة الذين قال لهم الرسول ذلك لم يكونوا يعتقدون في تلك الشجرة أنها خالقة أو قديمة أو رب مع الله؛ ولا نذكره أيضاً بقول عدي لما سمع الرسول عليه الصلاة والسلام يقرأ: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله إننا لم نعبدهم ولم نتخذهم أربابا» فأقره الرسول على قوله هذا ـ باعتراف الشيخ الدجوي، نعم لا نحتاج أن نذكرهم بذلك ولا بما هو أبلغ منه، وقد دخل حذيفة على رجل فوجده قد ربط على عضده حلقة فنزعها وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[(٥)] وروى أبو داود عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» وروى أحمد عن امرأة عبد الله بن مسعود قالت: (كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه وإنه جاء يوماً وعندي عجوز ترقيني فجلس إلى جانبي فرأى في عنقي خيطاً فقال ما هذا؟ قالت رقى لي فيه فقطعه ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك». وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عكيم، والنسائي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من تعلق شيئاً وكل إليه»؛ وروى أحمد عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «من علق تميمة فقد أشرك» وروي أيضاً عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك» وقال ابن جرير

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٧.
(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٤.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٣.
(٥) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾[1] عن عكرمة: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ «أي تقولوا لولا كلبنا لدخل علينا اللص الدار ولولا كلبنا صاح في الدار ونحو ذلك فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئاً وأن يعبدوا غيره» نعم، لا نريد أن نذكر لمولانا الشيخ ذلك، ولا أن نذكر له أن المسلمين مجمعون على أن من سجد لغير الله أو ركع له أو عظمه كتعظيم الله، أو أحبه كحبه الله أو خافه كخوفه الله أو رجاه كرجائه الله فهو كافر مخلد في النار أبداً ـ سواء اعتقد في ذلك أنه رب أم اعتقد أنه عبد مربوب، فالشيخ، يستطيع أن يخالف الإجماع وأن يرمي أهله بالجهل، أو يقول: إنهم وهابيون خارجيون يكفرون المسلمين ويستبيحون دماءهم لا نحتج عليه بشيء من ذلك كله؛ وإنما نعرض قوله هذا على علماء مصر ورجالها ونستفتيهم فيه وفيما يستحق، وقد قرىء قول الشيخ هذا في محفل حاشد فيه بعض تلامذته فأكبر الحاضرون ذلك، وهاجوا ورموا بالمجلة، وكادوا يحرقونها ويحرقون ما عندهم من أجزائها؛ أما تلامذته أو وقائذه فقد وافقوه؛ وقالوا ـ كما يقول: من سجد لولي من الأولياء أو حجر من الأحجار أو حيوان من الحيوانات لم يكن مشركاً ولا مذنباً إلا إذا اعتقد بأنه إله!! فصاح بهم الحاضرون وأخرجوهم من المجلس، نعم، هذه نتائج مقالات هذا الشيخ، وهذه ثمرتها وهذا ما يستفيده منه الطلاب! فماذا يقول علماء الأزهر في ذلك كله؟ إننا ننتظر منهم الجواب.

الفضيحة الثانية

زعم أن البشر قادرون على كل شيء حتى على أن يقلبوه فرساً أو سبعاً أو ما شاء من أنواع المخلوقات! وهاك عبارته بحروفها «على أن لنا أن نقول إن كل شيء مقدور للبشر بالدعاء فما لا يقدر عليه البشر بالذات يستطيعه بالدعاء»! الله أكبر هل رأيتم أعجب من ذلك؟ هل رأيتم أعجب من قوله: إن البشر على كل شيء قادرون؟! نعوذ بوجه الله أليست هذه صفة الرب الخالق القاهر؟ ألا تظنون الشيخ ممن يتألهون؟ أهو يستطيع أن يقلب السماء أرضاً والأرض سماء؟! أهو يدعي لنفسه أنه يقدر أن يحيي ميتاً أو يميت حياً؟! أترونه يظن أنه قادر على

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

إخراج الإنجليز من مصر! وفرنسا وسوريا، وإنقاذ جميع البلاد الإسلامية من ورطة الاستعمار لأن البشر على كل شيء قادرون وهو من البشر ولا شك. نعم من البشر على رغم أنف المخالفين، أبشروا أيها المسلمون. أبشروا أيها المظلومون. فمولانا الشيخ الدجوي على كل شيء قادر. قادر على أن ينجيكم وأن ينصفكم فاطمئنوا إلى ذلك!! نعوذ بالله، ما سمعنا أعجب من هذا وما سمعت القرون المظلمة أعجب منه، أنحن في القرن العشرين قرن العلم والنور والتفكير ـ كما يقولون؟ بل قرن القدرة على كل شيء فالبشر على كل شيء قادرون؛ أين (أوروبا) وأين مخترعوها؟ وأين قدرتها؟ فنحن عندنا معشر الشرقيين من يقدر على كل شيء ـ من يقدر على تخريبكم وتخريب مخترعاتكم وآلاتكم الحربية بشيء بسيط. بكلامه. بأن يدعو عليكم فقط!!

ما أقدر الله أن يخزي خليقته ولا يصدق قوماً في الذي زعموا

رضي الله عنك (يا سيدنا الشيخ) وبارك لنا فيك؛ فماذا يرى علماؤنا الكرام فيما قال شيخهم الأكبر؟ أيوافقونه على أن كل شيء مقدور للبشر! نرجو منهم الجواب ونستفتيهم فيمن اعتقد في مخلوق: البدوي أو غيره أنه على كل شيء قدير أيكفر أم لا.

الفضيحة الثالثة

زعم أن من ظن مخلوقاً قادراً على أمر من الأمور ـ وإن كان إعدام العالمين ـ وطلب ذلك الأمر منه ـ بناء على ظنه المخطىء ـ لم يكن ذلك السائل ضالاً؛ وهاك عبارته: «وإن كان طالباً من الولي نفسه فإنما يطلب منه على اعتقاد أن الله أعطاه قوة روحانية تشبه قوة الملائكة فهو يفعل بها بإذن الله، فهل في ذلك تأليه له؟ ولو فرضنا ـ جدلاً ـ أننا مخطئون في ذلك لم يكن فيه شرك ولا كفر بل نكون كمن طلب من المقعد المعونة معتقداً أنه صحيح غير مقعد» وقال أيضاً في نفس المقال: «أما قولكم إنهم يطلبون منهم ما لا يقدر عليه إلا الله فكلام لا تحقيق فيه، فإننا نقول أولاً: هب أن الأمر كذلك، وقد أخطأ ذلك السائل فظن غير الممكن ممكناً، وغير المقدور للبشر مقدوراً له أفيكفر بذلك أم يعذر بجهله وخطئه» هذا ما قاله في مقاله الطويل الذي كفر به أفضل المسلمين، فعلى

قوله هذا لو اعتقد المصريون في جبل (الهرم) أو (المقطم) أن بيدهما حياتهم وموتهم وكل ما يرجون، وما يخافون، فسألوهما ذلك ـ ضارعين خاشعين لكانوا معذورين غير ملومين!! بل لو ظنوا أن جثث الفراعنة في دار الآثار (الانتيك خانه) بيدها الضر والنفع فتوسلوا بها وسألوها ـ كما يتوسلون بالأولياء لكانوا معذورين على رأي مولانا الشيخ، ولو ظنوا أن الله قد أعطى السيد البدوي تصريف العالمين يعز من يشاء ويذل من يشاء، ويحيي ويميت لم يلاموا!! والعجب أن هذا الشيخ يكفر المعتزلة لأنهم اعتقدوا أن العباد الأحياء الفاعلين موجدون لأفعالهم، فلم يعذرهم إن اعتقدوا غير الموجد موجداً ـ خطأ ـ وعذر من اعتقد في حجر أو ميت أنه يستطيع كل شيء ـ حتى تخريب العالمين وإذاً لما لا يعذر الوهابيين ـ إذ أخطأوا فظنوا المسلم كافراً ـ كما يدعي الشيخ ـ حقه أن يعذرهم بجهلهم وخطئهم على قاعدته هذه.

الفضيحة الرابعة

زعم أن قدرة الأموات وتصرفهم أوسع من قدرة الأحياء وتصرفهم!! قال: «فإذا استغاث بهم (أي بالأموات) كان كمن يستغيث بالحي ـ سواء بسواء ـ لأنهم عندنا أحياء بل أعظم نفوذاً وأوسع تصرفاً من الأحياء» ولا زال يكرر هذا المعنى في نور الإسلام منذ خرجت، نحن لا نعلم أمة ـ وإن كانت مثال الضعف والهون ـ سوت أحياءها بأمواتها. ولا رضيت بالتسوية غير مولانا الشيخ الدجوي، فأين أنتم معشر المصريين؟ يرى أن تلك الرمم البالية التي تمشون عليها هي أقدر منكم وأوسع تصرفاً وأقوم بالواجبات وأكثر إعطاء لما يسأل!! فهل ترضون بهذا؟ وهل ترضون من مجلة الأزهر أن تفضل الأموات عليكم وتجعلهم أقوم منكم بأعباء الدولة ومصالحها؟ أليس هذا إغراء منها بأن تنقطع العامة إلى الأموات وتحملها الرغبات والرهبات وتدعكم؟ أين علماء الأزهر المثقفون النبهاء؟ أليس من العار ومن الفضيحة التي لا يساويها فضيحة أن ينشر في مجلتكم ـ عنوان نهضتكم ومجمع عصارة أفكاركم ـ مثل هذا الكلام ينشر فيها عالم من علماء الأزهر المعدودين: أن الأموات أقدر من الأحياء فيقول مثلاً: إن الشيخ أبا الفضل الجيزاوي شيخ الأزهر السابق هو أقدر وأوسع تصرفاً، وأقوم

بالمهمات من مولانا الأستاذ الأكبر الشيخ الظواهري. نعوذ بالله، كيف يرضى بذلك مولانا، وكيف ترضونه منه؟ غاروا أيها العلماء على سمعتكم، فالحر غيور، ولا تنسوا أنكم في القرن العشرين، ثم عبارته هذه تبرأ منها اللغة؛ فقوله: (سواء بسواء) ليس من كلام العرب، بل من كلام العامة، وقوله فيها: «كان كمن يستغيث بالأحياء لأنهم عندنا أحياء» تركيب لا يصح، لأنهم إذا كانوا عنده أحياء لم يكن الطالب منهم كالطالب من الأحياء، بل يكون ممن طلب الأحياء، وصحة العبارة أن يقال: «فإذا استغاث بهم كان ممن استغاث بالأحياء ـ سواء ـ لأنهم عندنا أحياء» فهل يعترف مولانا الشيخ بغلطه؟ وهو يقول: «من علامات الراسخين في العلم ألا يصروا على غلط قالوه» وأسلوب الشيخ زائف، فهو يقول في أساليبه: (أضاليل) وهذا الجمع لا يوجد في كلام العرب، ويقول: (نفكهك تفكهة) وتفكهة لا تصح ويثبت الياء إذا نسب إلى (طبيعة) والصواب حذفها، ويقول: (أحس بهذا الشيء) والصواب أحس هذا الشيء، وأمثال هذا في كلامه كثير، ولا سيما (حتى) فإنه يؤذيها كثيراً في استعمالاته.

الفضيحة الخامسة

زعم أن ملك الموت واحد مالئ الدنيا! فهو في المشرق يقبض أرواحاً وفي المغرب يقبض أخرى، لا يشغله قبض عن قبض. ويبدو لي أن الشيخ لا يحفظ القرآن، فمن ذا يحسن فيقرأ عليه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[1] ويفهمه أن الرسل في الآية هم الملائكة؛ وأنه جمع لا مفرد وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾[2] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[3] ويبين له أن الملائكة جمع ليس مفرداً. وظني أن الذي رمى شيخنا في هذا الغلط قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[4] لأنه ـ فيما يظهر ـ لم يعلم

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦١.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ٩٧.
(٤) سورة السجدة، الآية: ١١.

أن مثل هذا الاستعمال للعموم كقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[١] المراد نعمه وقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[٢] أي ليالي الصيام. وكقول فضيلته قبضنا جرايتنا أو جراية الأزهر، والمراد جرايات الأزهر، وهذا أمر لا يخفى على تلامذة الشيخ، فهل يعلن رجوعه إلى الصواب؟ فيعرف قراءه أنه من الراسخين في العلم الذين لا يتكبرون على الحق، ولا يقدسون أنفسهم ـ كما يرجو منا أن نكون ـ هذا هو حسباننا بفضيلته؛ ونحن لرجوعه مرتقبون، وكيف سهل على عقله الذي وسع العالمين أن يصدق مثل هذا. أن يصدق أن مخلوقاً متحيز في كل مكان، ولله في خلقه شؤون.

الفضيحة السادسة

زعم الآيات الناهية عن دعاء غير الله، الآمرة بدعائه وحده خاصة بالمشركين الذاهبين مثل قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[٣] وقوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾[٤] وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[٥] ألا أبعد الله الهوى ومن تبع الهوى أين أنتم يا علماء الأزهر؟ وأين كتب الأصول التي تدرسون؟ أوليست تقول ـ بالإجماع ـ : (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) تقرأون هذه المسألة الأصولية قروناً لا تجدون فيها مخالفة ولا خطأ، ما هكذا يا قومنا يكون الإنصاف، ولا هكذا تكون حال العلماء إذاً قولوا: إن قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾[٦] خاص بالصحابة؛ وأن قوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓا أَيْدِيَهُمَا﴾[٧] وقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾[٨] خاص

(١) سورة النحل، الآية: ١٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٣) سورة الجن، الآية: ١٨.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧١.
(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٥.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٤٣.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٣٨.
(٨) سورة النور، الآية: ٢.

بالمعاصرين نزول القرآن. بل قولوا: إن جميع الأوامر والنواهي في القرآن والسنة خاص بالذين ذهبوا لا ينالنا منه أمر ولا نهي، واخرجوا من ذلك سالمين، ولا تتناقضوا، هذا لازم قولكم يا قومنا، ليقل لنا علّامتنا لماذا نهى الله المشركين عن دعاء غيره ألأنه قبيح أم لأنه حسن، فإن كان للأول وجب أن يكون منهياً عنه أبداً، وأما الثاني فلا ينهى الله عن الحسن أبداً، وليقل لنا لماذا نهى المشركين عن دعاء المخلوق وأجاز لك أن تدعوه، هل فرق الله بينك وبينهم؟ يا ضيعة الدين.

الفضيحة السابعة

زعم أن الولي الميت في كل مكان، واحتج بقول المتنبي يمدح إنساناً:

وكالبدر من حيث التفت رأيته يهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا

هكذا أنشد البيت، وقد أفسد وزنه ـ لأنه فيما أظن جاهل بعلم العروض ـ وصحة البيت حذف الواو من أوله. أليس كذلك (يا سيدنا الشيخ) أي والله إنه لكذلك، ولا يحتج بكلام المتنبي على إيمانه إلا من يصدقه في ادعائه أنه رسول الله؛ وإلا فأي إنسان يستدل بقول شاعر فاسق متهور متناقض على عقيدته. اعتبروا يا قوم وانصفونا؛ هذا يكفرنا إذا احتججنا بكتاب الله، وبكلام رسوله على ألا يدعى إلا الله؛ وهو يحتج بشعر رجل يتصلصل الإلحاد والفسق في شعره تصلصلاً، يكفرنا إذا آمنا بكتاب ربنا واحتججنا به على صفاته، وهو يستدل بكلام الشعراء، اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون، ولماذا يحتج بقوله هذا ولا يحتج بقوله:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

ينكر أن يكون الميت يتألم أو يشعر ضد قول الشيخ، ولماذا لا يحتج بقوله أيضاً:

نويبية لم تدر أن بنيها النـ ـويبي دون الله يعبد في مصر

لما جاء إلى مصر ورآهم يعظمون كافوراً؛ ويخضعون لأوامره جعلهم عابدين له؛ وهم لا يعتقدون أنه رب ولا إله بالضرورة؛ فالمتنبي ـ في بيته هذا ـ لم

يشترط في العبادة أن تقترن باعتقاد الألوهية في المعبود، والشيخ لا يرضى ذلك ويشاقه فيه ونحن نعلم والناس أجمعون أن الأستاذ وشيخه الأكبر يعظمون رؤساءهم تعظيماً لو جعلوا بعضه لله لطاروا مع الملائكة المقربين بأجنحة من نور، وينقادون لأوامرهم انقياد الحادثات للأقدار، يركعون وينحنون أمامهم ـ خاشعين خاضعين ـ لا يرفعون طرفاً ولا يحركون عضواً ولا يرجعون لهم قولاً، وهذا لا يكون بعضه منهم إذا وقفوا بين يدي الله. وشيخه الأكبر يحدث عن الله وعن رسوله وعن سادتنا أئمة الإسلام ـ غير حافل ولا مبال؛ فإذا حدَّث عن رئيسه انتصب قائماً ورفع صوته كما يستطيع، حتى أنه أنكرَ عليه ذلك مراراً، فهم على رأي المتنبي عابدون لهم ولا شك، كما جعل أسلافهم عابدين لكافور. فماذا يرون؟

الفضيحة السابعة

زعم أن المنكر لا يجب إنكاره إلا إذا أجمعَ المسلمون على أنه منكر! وقد كرر هذا في مقاله هذا، ولكن الله يقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[1] ولم يشرط ذلك بالإجماع ـ كما يقول؛ ويقول رسوله: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه قال وذلك أضعف الإيمان» ولم يقيد ذلك بأن يكون مجمعاً عليه، والمنكر ينكر لأنه شيء منكر أي قبيح؛ لا لأنه أجمع الناس على نكارته، وزعمه هذا خلاف إجماع المسلمين ـ إن كان يقيم للإجماع وزناً، فإن كل مسلم ينكر كل عمل يراه منكراً، وما كانوا يتوقفون في النهي عنه: يقولون لعل فيه خلافاً، والخلاف آتٍ على كل شيء؛ ألا يعلم هذا أن المعتزلة يخالفون أهل السنة ـ عنده ـ في أشياء كثيرة. يقولون: العباد خالقون أفعالهم، ويقولون: القرآن مخلوق. ويقولون: إن الله لا يرى بالأبصار. ويقولون واجب على الله أن يفعل ما هو الأصلح لعباده. ويقولون: العقل يحسن ويقبح. ويقولون أشياء كثيرة يخالفون بها أهل السنة الذين منهم الشيخ ـ كما يدعي، فهل يرى أنه لا يجب الإنكار ـ ولا يجوز ـ على المعتزلة أهل هذه المخالفات لأن المسلمين لم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

يجمعوا على أنها منكر؟ إذاً يخالف كتب الأزهر فإنها تقذف المعتزلة لذلك، وتفسقهم وقد تكفرهم فماذا يرى في ذلك؟ وما رأيه في كتب الأزهر؟

الفضيحة الثامنة

زعم أنه لم يقل أحد غير ابن تيمية وابن عبد الوهاب: إن المشركين كانوا موحدين الله توحيد الربوبية!!!

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

نحن والله لا نعرف أمر هذا الشيخ! أهو يتعمد التلبيس والكذب وهضم الحقائق الماثلة في كل كتاب، لأنه لا يحتفل بقرائه؛ ولا يخشى أن يعلموا ذلك فيه. أم هو لم يطلع ولم يقرأ ما يعصمه من أن يتردى في هذه المخالفات والمجازفات هو أحد الرجلين بلا شك، نحن قد قدمنا لك في البراهين على إيمان المشركين أن المسلمين جميعاً موافقون ابن تيمية وابن عبد الوهاب بلا شذوذ. وذكرنا لك أقوال المفسرين من صحابة وتابعين ومتأخرين. فارجع إلى ذلك أو اقرأ ما تشاء من كتب التفسير: الرازي أو النيسابوري أو ابن جرير أو ابن كثير أو ما تشاء كما أسلفنا بعد الآيات التي تذكر عقيدة المشركين.

هذه ثمان فضائح نسجلها على الشيخ، ونبسطها أمام رجال مصر، الذين يغارون على سمعتها، ليقولوا فيها ما يشاؤون، وقد تركنا الرد عليها ليتولوه هم؛ ولأنها لا تستحق الرد في نظرنا، وليعلم علماء مصر أن التاريخ من ورائهم، فليحافظوا على تاريخهم، وليطهروه من هذه السيئات، وليعلموا أنهم في القرن العشرين ـ قرن الانتقاد والإنكار.

إبطال التوسل الأزهري إبطالاً إجمالياً

قد أبطلنا في كتابنا البروق شبهاتهم عليه إبطالاً تفصيلياً؛ وها نحن الآن نأتي بأمور عامة تبطله أيما إبطال، يشترك في فهمها العالم والجاهل.

البرهان الأول

إما أن يقولوا: من دعاء المخلوق ما هو شرك وحرام؛ أو يقولوا: ليس في دعائه ما هو كذلك، لا محيص لهم من أحد التقديرين؛ فإن قالوا: الأول. قيل لهم قد بطل اعتراضكم على مخالفيكم أن قالوا: من دعاء المخلوق ما يكون شركاً، وبطل اعتراضكم أيضاً بدعوة الأحياء، وصار هذا الاعتراض مشتركاً بينكم وبينهم ويذهب الخلاف حينئذٍ إلى تعيين ذلك الدعاء، ولا بد أن يتحقق في الخارج، ولا نزاع بينكم وبينهم إن سؤال الأحياء ما يقدرون عليه ـ عادة ـ ليس محرماً بل جائز مباح، فلم يبق إلا دعاء الأموات؛ وهو المطلوب، فدعوة الأموات محرمة؛ وهذا قول مخالفيكم، وإن قالوا: الثاني، قيل لهم إذاً فدعاء اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ـ وكذا سائر أصنام الجاهلية ـ ليس شركاً ولا حراماً!! وإذاً لو قال إنسان يا عيسى ابن مريم أعطني كذا، ويا مريم أعطيني كذا ويا لات اشفيني واقضي كيت وكيت لم يشرك ولم يجرم!! بل لو دعا فرعون وجنوده وجعلهم له وسائط ـ كما يفعل هؤلاء ـ لم يكن مخطئاً! هذا ما يلزم هذا القول وهو خلاف قول المسلمين والعقلاء عامة، وهذا ـ وإن كان الشيخ يستحله ويقوله ـ فلن يوافقه عليه إنسان ونحن نكتب لغيره؛ وقد سمعت بعض تلامذته يقول: جائز أن ندعو اللات والعزى وسائر أصنام الجاهلية توسلاً بهم على شرط أن نعتقد أنهم وسائط بيننا وبين الله وأنهم ليسوا آلهة ولا أرباباً. وهل بعد هذا زيغ ومروق من الدين؟!

البرهان الثاني

هم يزعمون أن الأموات يعطون ما يسألون!! فيدعونهم ـ بناء على ذلك الزعم ـ ويستدلون عليه بالظنون والأحلام. وبالأشعار والروايات المكذوبة أو الضعيفة، على عدول بها عن وجهها الواضح؛ والناس يخالفونهم في ذلك، ويستدلون بالمشاهدة والاستقراء، فإنهم يرون الشيخ وإخوانه ما زالوا ينادون الموتى وينزلون بأبوابهم حاجاتهم ما رأوهم أجابوا لهم طلباً ولا قضوا لهم سؤلاً. والخصوم لا ينازعونهم في هذا، فإن نازعوا فليثبتوا ما يقولون وليدعوا من شاؤوا من الأولياء والصالحين وليسألوهم ما أرادوا من حاجة، فإن قضوها فهم الصادقون وإلا فهم عكسهم؛ وهذا شيء واضح؛ هبوا أننا رأينا في البخاري حديثاً يقول: هذا الحجر أو هذه الشجرة تعطي ما نسأل، فهل نصدق هذا الحديث؟ إننا ـ لا شك ـ سوف نكذبه أو نؤوله لمعاندته المشاهدة والضرورة. والقرآن قد أخبرنا أن كل شيء يسجد له ويسبحه ويدعوه، فلو قال لنا قائل: إن هذه الأشياء لا تصدر إلا من حي فالجمادات وسائر المخلوقات حية؛ والأحياء يسألون ويقضون ما يسألون، فأخذ يسألهم ويتوسل بهم، فهل نصوبه في هذا أو نصدقه؟ أم نجهله ونكذبه؟ فقول هذا القائل واستنباطه من تلك الآيات كفعل أستاذنا الدجوي ولا فرق، هو أن حكماء هذا العصر أجمعوا على أن دواءً معيناً يشفي من داءٍ عينوه، فتناول هذا الدواء كل من أصابه ذلك الداء قروناً كثيرة فلم يشف منهم أحد؛ ألا نستيقن غلط الأطباء؟ إننا سوف نستيقنه، فكذلك قول هؤلاء: إن الأموات يقدرون على قضاء الحاجات خطأ لأن الناس دعوهم قروناً فلم يقضوا لهم حاجة، أليس كذلك يا مولانا الشيخ؟

البرهان الثالث

القرآن مملوء ـ وكذا السنّة ـ من النهي عن دعاء غير الله، والوعيد لمن دعا مخلوقاً، قال في سورة الجن: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾[1]

(١) سورة الجن، الآيات: ١٨ ـ ٢٠.

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ بمنزلة لا أدعو إلا ربي: لا نبياً ولا ولياً، وقال في سورة فاطر: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝﴾(1) وتفطن لقوله: ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ بعد أن ذكر الدعاء ليدل على أن دعاء غيره شرك وقال في السورة: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾(2) الآية وهذا نهاية الزراية بمن دعا مخلوقاً، وقد علمت من الآنف أن المشركين لم يكونوا يرون لأصنامهم شركاً في السماء ولا غيرها؛ وقال في سورة سبأ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾(3) وفي الأحقاف: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾(4) والناس جميعاً يشهدون ـ بحق ـ أن الأموات لا يستجيبون لمن دعاهم، فلا أضل ممن دعاهم بصريح الآية، وهذا الشيخ يقول: «لو فرضنا أن أحداً ظن من لا يستجيب مستجيباً فدعاه بناء على ظنه الخاطىء لم يكن ضالاً ولا مجرماً بل يكون معذوراً كمن يدعو مقعداً يظنه سليماً» والمقعد هو مثاله في هذه المسألة وقد كرره، وهو يظهر لا يذكر غيره، ومن ذا يحسن إلى الشيخ فيدله على مثال أظرف من هذا وأحسن في الذوق؛ وأنا والله لم أر أسمج من هذا المثال، فلعل الشيخ يتركه، ولعل محسناً برشده إلى أجمل منه؛ ومن يدري؟ لعل في بيته مقعداً! وما أقطع قوله: ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ لقول هؤلاء المخالفين، فإن الآية لم يذكر في صدرها غير الدعاء، وقد ذكر في آخرها أنهم عبدوا غيره ـ أي بدعائهم، وفي سورة المؤمنون: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(5) أي فالداعي كافر ولا يفلح الكافرون، وكل من دعا مع الله إلهاً فلا برهان له به

---

(1) سورة فاطر، الآيتان: ١٣ ـ ١٤.
(2) سورة فاطر، الآية: ٤٠.
(3) سورة سبأ، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣.
(4) سورة الأحقاف، الآيتان: ٥ ـ ٦.
(5) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

بلا ريب. وهؤلاء المشايخ لا يخالفون أن المسيح إله، وأن اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى آلهة، لأنهم معبودون، وكل معبود فهو إله لدى عابده، فإذاً من دعا أحد هؤلاء فقد وقع في الكفر الصريح بنص الآية، وإذا كانت دعوة المسيح كفراً فدعوة غيره كذلك ولا جرم؛ وخليق بالقارىء أن يتذكر هذا جيداً، وأن يقف عنده برهة، وفي سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾[1] وآيات هذا الباب فائتة الحصر، وما نهى الله في كتابه العزيز عن شيء محرم مثل ما نهى عن دعاء غيره ـ على ما أحسب، وقد أريناك من ذلك جملة. وقل أن توجد سورة من القرآن ليس فيها النهي عن دعاء غيره في مواضع، ومثل هذا لا يصلح المنازعة في منعه بعد هذه الآيات الصرائح لولا الهوى، فبماذا يعتذر عن هذه النصوص من ظل عمره يدعو المخلوقين ويرغب في دعائهم؟! وبأي شيء يحتج إذ خالف هذه الآيات بين يدي الله؟ وهي قاطعة كل منازعة وحجة. فمخالفونا يقولون ـ كما أريتك ـ إنها خاصة بالمشركين الذين انقرضوا، أي إن زمنها قد انقضى ولا فائدة فيها الآن إلا تلاوتها فهذا اعتذارهم في مجلتهم عن الآيات، وقد ذكرت لك سابقاً أن هذا القول يتطرق إلى جميع الأوامر والنواهي، وأنه يمكن أن يقول قائل ـ كما قالوا ـ إن كل أمر ونهي في القرآن خاص بالذين عاصروا نزوله؛ فلا يتوجه إلينا أمر ولا نهي وذكرت لك أيضاً أن علماء الأصول ـ بل جميع العلماء ـ يقولون: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) وعرفتك أن الله لم ينه المشركين عن دعوة غيره لأمر قام بهم، بل لأمر قام بالدعاء نفسه، فلا نجد لهؤلاء المخالفين عذراً تقول لعله ينفعهم عند الله، وهناك اعتذار ثانٍ لهم قالوا: إن ظاهر الآيات يمنع دعوة الأحياء أيضاً وهذا لا يقول به أحد. ونحن نشهد الله وملائكته أن الأمر ليس كما قالوا؛ وإنه لا يمكن أن يسمع إنسان الآيات الناهية عن دعاء المخلوقين فيظن أنها تمنع دعاء الحي القادر مهما جمدت طبيعته وفسد مزاجه. فلو أننا قمنا أمام عوام بله وقلنا لا تدعوا إلا الله وادعوا الله وحده. ولا أضل ممن يدعو من لا يقدر على إجابته لما فهموا أننا ننهاهم عن دعاء الأحياء القادرين على أن يجيبوا؛ فكيف يعترض عالم على آيات الكتاب

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧١.

العزيز بأن ظاهرها الفساد والباطل، ويمكننا أن نخاطب هؤلاء بلسانهم لأنه أدنى إلى الإقناع، فنقول لهم أما نهى القرآن عن دعاء غير الله؟ فهم قائلون ولا بد: بلى. فنقول: ألستم مخاطبين بالقرآن فلا بد من: بلى، فنقول ما لكم إذاً تدعون غيره؟ فإن ذكروا اعتراضهم بدعوة الأحياء، وقالوا لو أخذنا الظواهر لمنعا دعوة الأحياء قلنا: إما أن تقولوا: ظاهر القرآن النهي عن دعوة الأحياء أم تقولوا ليس كذلك. فإن قالوا: الثاني. فقد بطل الاعتراض، وإن قالوا الأول قلنا: الاشكال - إن كان صحيحاً - فهو وارد علينا وعليكم؛ والجواب حينئذٍ يكون مشتركاً ونحن على إجماع أن دعوة الحي جائزة فيما يقدر عليه؛ فإن وفقهم الله ففهموا هذا رجعوا عن جميع خرافاتهم إن لم يكونوا معاندين؛ وتجويز هؤلاء دعوة الأموات والأحجار والأشجار يجرد الآيات المذكورة من أن تفيد شيئاً بل تكون على قولهم - لغواً، لأنهم جوزوا دعوة كل شيء، فعلى ماذا إذاً تدل لو تدبروا؟ وهنالك اعتراض لهم آخر على الآيات، وهو: (لو كان الدعاء عبادة لما جاز أن يدعى الأحياء؛ لأن العبادة لا تكون لغير الله حياً كان أم ميتاً) وقد جاوبنا الشيخ عن هذا الاعتراض في كتاب البروق من وجوه؛ ومن عجيب أمره أنه أعاد هذا الاعتراض مرات - كأننا لم ننقضه - لبساً على العامة وتحيراً في الخلاص منه، وهذا شأنه في كل ما كتب ورددنا عليه. ولكن ذلك لا يمنع من أن نجاوب هذه الشبهة هنا فنقول: إن القرآن قد أخبر أن يعقوب وأولاده قد سجدوا ليوسف، وأن الملائكة سجدوا لآدم؛ وقد اعترف هو بأن ذلك سجود حقيقي، فهل يقول إن السجود ليس عبادة لأنه جعل لغير الله؛ فمن سجد لغير الله لم يكن عابداً له ولا مشركاً بالله، هو يمكنه أن يلتزم هذا ولكن ذلك لا يهمنا، وإنما يهمنا أن نحمي المسلمين منه. ولن يوافقه على ذلك مسلم إن شاء الله؛ وكذلك يقضي بألا يكون التعظيم، والقيام في الصلاة، والسير للحج، والطاعة والرغبة والرهبة والحب عبادة؛ لأن ذلك كله يجوز لغير الله أحياناً.

وثانياً: هذا الاعتراض يقضي بألا يكون هنالك دعاء حرام، لجواز أن يدعى غير الله في بعض الحالات، فلا يكون دعاء اللات والعزى وسائر الأصنام، ولا دعاء الأحجار والأشجار وسائر الجمادات حراماً، فمن استغاث بالكنائس والصور والتماثيل لم يكن آتياً حراماً ولا شركاً، ونحن نسأله هنا - بصراحة: هل

يجوز التوسل بهؤلاء واستغاثتهم والسجود لهم إذا ما اعتقد الساجد أو المستغيث أنهم مخلوقون؟! نرجو منه أن يجاوبنا على ذلك ـ صراحة؛ فقد عهدناه في مثل هذا صريحاً.

وثالثاً: ومن يسوي دعوة الأحياء بدعوة الأموات، فدعوة الأموات يستتبعها الذل والخضوع، وليست كذلك دعوة الأحياء، وإن لزمها شيء من ذلك فشيء ظاهر، ونفاق غالباً؛ وأما الخشوع اللازم لدعوة الأموات فظاهر وباطن بأكمل معانيه. وأفضل معاني العبادة هو الخضوع، بل هو أعظم مظاهرها، ونحن رأينا الموتى عبدوا باعتراف الشيخ ولكن الأحياء لم يعبدوا إلا أن يكونوا دجالين ضالين، فلا يسوي بين الأحياء والأموات إلا ضعيف التميز.

ورابعاً: دعوة الأحياء من ضرورات الحياة لا يمكن منعها، فلو أنها كانت في الأصل شركاً وحراماً لأباحتها الضرورة؛ ولعل الشيخ يعرف أن الضرورات تبيح الحرام بل تبيح الشرك، ولا أظن هؤلاء ينازعوننا في أنه ليس ثم ضرورة تضطرنا إلى دعوة الأموات.

وخامساً: هذا يقضي بأن دعاء الله ليس عبادة له، وهو باطل بإجماع اللغويين والشرعيين؛ فإن من دعا الله فقد عبده؛ ولا خلاف.

وسادساً: قول هؤلاء كمن قال ليست دعوة الجمادات والحيوانات واستعانتها والتوسل بها حراماً ولا غلطاً، لأن الدعوة قد أجيزت، والحرام لا يجاز مطلقاً، هذا القول كقول هذا الشيخ، فإن صح صح وإلا فلا، وهو لا يصح عند أحد.

وسابعاً: هذا خارج عن قواعدهم؛ لأن الحاكم عند الأشعرية ـ وهم منهم ـ هو الله، والعقل لا يحسن ولا يقبح!! فيجوز أن يجعل الله أحد الأمرين المتماثلين شركاً؛ والآخر إيماناً ولا شيء في ذلك لدى العقل!! أليس هكذا يا مولانا الشيخ؟ هذه سبعة أجوبة عن الشبهة.

البرهان الرابع

معلوم من أوليات الدين أن الدعاء داخل في مادة (عبد) و (دان) وأن من

دعا الله فقد عبده ودان له؛ وفي الحديث الصحيح أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: «الدعاء هو العبادة» وفي رواية: (الدعاء مخ العبادة)، وفي حديث آخر صحيح أن رسول الله عليه السلام قال: «الدعاء هو العبادة ثم تلا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[1] ففسر عليه السلام العبادة بالدعاء، ولا أخال أحداً يمانع أن دعاء الله عبادة له، ومعلوم بعد ذلك من أوليات الدين أن العبادة كلها لله؛ وأن الدين كله لله، وأن صرف شيء منهما لغير الله مفارقة للإسلام، وهذا شيء لا يحتاج أن نذكر له قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[2] وقوله: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[3] ولقوله: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[4] وبعد هذين الأمرين لا يبقى شك في أن من دعا غير الله فقد عبده، ومن عبد غيره فهو من المشركين. ولا يقولن قائل: الدعاء إذا كان لله كان عبادة، وإن كان لمخلوق لم يكن عبادة، فإنه يقضي بألا يكون السجود والركوع والصلاة والصيام والحج عبادة، إذا كانت لغير الله، فمن صرف هذه الأمور لمخلوق لم يكن عابداً له ولا مشركاً بالله، فما رأى مولانا في هذا البرهان.

البرهان الخامس

هؤلاء يدعون الأموات بناء على أنهم يسمعون دعاءهم؛ ولكن القرآن أكذب ذلك في آيات كثيرة؛ قال في سورة الروم: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾[5] والأولياء يموتون، والقرآن مملوء من الدلائل على موتهم. والمخالفون يسلمون لنا ذلك. فإن قال لنا قائل: الموتى في الآية هم الكفار؛ قلنا هذا باطل بثلاثة أمور:

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.
(٣) سورة الزمر، الآيتان: ٢ ـ ٣.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٤٠.
(٥) سورة الروم، الآيتان: ٥٢ ـ ٥٣.

الأول: قد ذكر في الآية الكفار. وذلك قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾(١) ولو كان الموتى في الآية هم الكافرون لكان في الآية تكرار.

الثاني: الشأن في لسان العرب أن الميت هو فاقد الحياة، ودلالته على فاقد الإيمان غير المطرد.

الثالث: روى البخاري وغيره عن عائشة أنها قالت ـ لما قيل: إن الميت يسمع ـ وهل القائل، فإن الله يقول: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ففسرت عائشة الموتى بفاقدي الحياة، ولم ينكر الصحابة عليها ذلك التفسير. ومن ذا يسمو على الصحابة في فهم كلام الله وما يراد منه؛ ولا سيما من الوجهة اللغوية، فإنهم هم أهل اللسان. ولو حملنا الموتى على الكفار لكانت الآية دالة على ما نقول من وجه آخر. وذلك أن المعنى يكون حينئذٍ (فإنك يا محمد لا تسمع الكفرة كما لا تسمع الأموات؛ فالأموات والكفار سواء لا يسمعونك ولا يجيبونك إلى خير تدعوهم إليه) وعلى هذا تكون دلالة الآية على ما نريد أظهر. وقال في سورة فاطر ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾(٢) والقول في الآية كالقول في الآية قبلها. وفي سورة الأعراف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾(٣) أي قد انقطعت أعمالهم، وبطلت وظائف أعضائهم، كما في صحيح مسلم أنه عليه السلام قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له» فكيف يؤملون أن يقضوا حاجة وهم لا يقدرون على التحرك. فلا يستطيعون أن يمشوا ولا أن يبطشوا ولا أن يبصروا ولا أن يسمعوا ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾(٤) والآية غاية في توبيخهم وتجهيلهم وليت المخالفين يتدبرون قوله: ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيعلمون أن من ظن الموتى يستجيبون ودعاهم ولم

---

(١) سورة الروم، الآية: ٥٣.
(٢) سورة فاطر، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣.
(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ١٩٤ ـ ١٩٥.
(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٥.

يستجيبوا له فليس بصادق، والآية مكذبة ظنه، ولا ندري أين يعزب هؤلاء عن القرآن وعن عقولهم ولا كيف يصرفون عنه؟ وقوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ دال على أن المشركين كانوا يدعون أصنامهم حاسبين أنها تسمع دعاءهم. فأكذب الله ذلك الحسبان ببرهانين واضحين:

الأول: أنهم قد فقدوا حركاتهم وأعمالهم - من بطش ومشي، فإذا فقدوا ذلك فكيف يدعون لقضاء حاجة؟

الثاني: المشاهدة. فهو يقول أنتم تزعمون أنهم يستجيبون لكم ولكنكم غالطون في ذلك، وإن ادعيتم أنكم صادقون فادعوهم واسألوهم ما تشاؤون، فإن أجابوكم فقد صدقتكم وإلا فما أنتم صادقين؛ وهذا تحدٍ لهم وتعجيز؛ وكذلك نقول الآن لداعي السيدة والسيد: ادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين، وأين هم من الاستجابة؟ الله يشهد أن الأمر واضح، وأن الهادي هو الله. لا يقولن قائل: إن الآية تعني الجمادات، لا الأولياء، فإنه يقال: كان المشركون يعبدون مع الله الأنبياء والصالحين والجماد، فردت الآية على هذه المعبودات، غير مفرقة بينها، ولا خاصة معبوداً دون معبود، فحق التعميم. وقوله: ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ - وكذا الضمائر المذكورة في الآية والاسم الموصول - صرائح في إرادة العقلاء، وأيضاً لو كانت تعني الجمادات لاقتصرت على أن تقول: (ألهم أرجل أم لهم أيد أم لهم أعين أم لهم آذان) ولم تذكر ما بعده لأن ذلك أبلغ في الرد والتوبيخ. وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ برهان على أن من دعا غير الله يظنه قادراً من الموتى وهو عاجز - ولا بد - يكون مشركاً برب العالمين، فهل يتذكر ذلك سيدنا الشيخ صاحب المقعد، أو مثال المقعد؟!! وقال في سورة فاطر: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝﴾[1] ما اقطع الآية لقول هؤلاء المفترين، أثبات (أولاً) أن الموتى لا يملكون شيئاً مطلقاً، لأن أموالهم بعد موتهم تقتسم؛ ثم أخبرت أنهم سلبوا حواسهم، ثم أخبرت أنهم لا يقدرون على شيء فلا يستطيعون إجابة أحد، ثم أخبرت إنهم يوم يحييهم الله

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٣.

ويجمعهم وعابديهم يتبرأون من عابديهم، ثم أخبرت أن داعيهم مشركون. حقاً إن القرآن صالح لكل زمان ومكان. المتوسلون يدعون الصالحين؛ ويدّعون أنهم يرضون ذلك منهم، فيشفعون لهم عند الله؛ ويدافعون عنهم فأكذبهم الله، وقال ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾(١) فأين ذهب هؤلاء عن عقولهم وعن كتاب ربهم؛ اللهم دلهم على صوابهم. هذه الآيات بعض ما في القرآن من الدلائل على أن الأموات منقطعو الأعمال فاقدو الحواس، والسنة مملوءة من ذلك، والروايات عن العلماء كثيرة، والضرورة والمشاهدة بعد ذلك، وما كنا نحسب أن يصل الخلاف إلى هذا وما ظننا أن مجلة الأزهر تكتب بصراحة: تقول: إن الأموات كالأحياء، ولا فرق، بل الأموات أوفر قدرة وأوسع تصرفاً. ومن زعم أن للأموات ذلك، أو زعم أنه لا مانع منه فله أن يزعم مثله في الجمادات. فيزعم مثلاً أن الحجر والشجر والأرض والسماء تسمع الداعين؛ وتجيب الطالبين؛ ولا يجد هؤلاء بين الزعمين فرقاً. وقد قلنا لهذا الشيخ في كتاب البروق: أنت تزعم أن الأموات يعملون ويعطون ما يسألون استدلالاً بما جاء أن الأعمال تعرض عليهم وأنهم يردون السلام وأن الملائكة تمتحنهم في قبورهم، وأنهم يشعرون بآلام القبر ونعيمه؛ فلك أن تستدل على فهم الأرض والسماء والجمادات وحياتها. وصحة التوسل بها بقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾(٢) وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾(٣) وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(٤) وبإخباره عن سجود كل شيء له، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله عليه السلام قال: (إني لأعرف حجراً في مكة كان يسلم عليّ) رواه مسلم؛ وفي البخاري وغيره أن الجذع الذي كان يخطب عليه عليه السلام حنّ حتى ضمه عليه السلام وأسكته، وكذا في البخاري أنه قال عليه السلام لجبل أحد

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٦.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.
(٣) سورة فصلت، الآية: ١١.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

لما اضطرب (اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) وقال في أُحد (إنه جبل يحبنا ونحبه) والروايات في الباب كثيرة، نعم قلنا له: هناك استدل بهذه النصوص على حياة الجمادات، وجواز التوسل بها والدعاء لها، فلم يجب على قولنا هذا، ولم يذكره بمدح ولا قدح. ولا ندري هل يمشي على نسق مطرد فيجوز الوسيلة بكل شيء، أم يتناقض فيخصص الأموات بها!! ونحن نسأله - ملحين ملحفين - أن يجاوبنا على هذا، ولا يجد أبد فرقاً بين دعوة الأموات ودعوة الكواكب والأفلاك والشمس والقمر فهل يجوزه بها؟ وقد ألف منذ أيام كتاب زعم مؤلفه أن للأرض وغيرها من الأفلاك آلهة، لكل فلك إله يخصه ولكنها آلهة مخلوقة كلها لله. ولعل صاحب هذا الكتاب استقى من مشرب مولانا الدجوي، فإنني لا أجد فرقاً بين القولين إلا بالاسماء ثم قول صاحب الكتاب لا شيء فيه على رأي الشيخ؛ لأن الشيخ لا يخاف إلا من اعتقاد الربوبية في غير الله، وصاحب الكتاب يرى الله سبحانه هو الرب المالك لكل شيء، فما رأى الشيخ في ذلك. وإذ علمت أن الأموات لا يجيبون ولا يسمعون فاسمع ما يقول الله فيمن يدعو غير مستجيب ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ (١) ولا ريب أن أضل الناس يكون أشدهم عذاباً. وقال في سورة يونس: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦﴾ (٢) وفي سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧١﴾ (٣) وليس في وسع الناطقين أن يأتوا بعبارة وعيد لمن دعا مخلوقاً - لا ينفعه - مثل هذه الآية، فقد بالغت في الإيعاد، وعظمت الجريمة أي تعظيم. وعلى رغم ذلك كله يقول مولانا الشيخ الدجوي: «من ظن عاجزاً قادراً فدعاه لم يكن مجرماً ولا آثماً؛ بل يكون كمن دعا مقعداً» اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت.

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٦.
(٢) سورة يونس، الآية: ١٠٦.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧١.

البرهان السادس

قد نهى القرآن كثيراً عن اتخاذ الأولياء، وبالغ في الزراية بمن فعل ذلك، قال في سورة الأعراف: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[1] وفي سورة العنكبوت: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[2] وهذه الآية عجيبة في الرد على اللاجئين إلى الأولياء. وعجيب أن يتخذ من كتاب منه هذه الآية الشبهات على دعوة الصالحين! وعجيب أن يقرأها مؤمن بالله وبكتابه ثم ينادي الأولياء ويستغيث!! وعجيب أن تكون هذه الآية في كتاب الله ثم يقبل مسلم ناصح لنفسه قول هؤلاء الأمرين باتخاذ الأولياء؛ الحاضين على دعائهم والاستنجاد بهم، ما أفصح كلام الله! وما أبلغه وما أظهر حجته! وما أقطعه للمعاذير! بمثل هذه الآيات كان أبو بكر الصديق ﷺ وإخوانه من خيار الصحابة يخافون على أنفسهم الشرك؛ والوقوع فيه، من حيث لا يشعرون لا كما يأمن هؤلاء المخالفون على كل من قال لا إله إلا الله بلسانه من الفلاحين والحمالين الذين لا يعرفون من كلمة لا إله إلا الله إلا النطق بها! وفي سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾[3] قولوا أيها المسلمون لهؤلاء أغير الله نتخذ ولياً فاطر السموات والأرض. قولوا لهم ذلك ولا تكونوا مغرورين، فإن الأمر جلل، وإن حجة الله واضحة، وإن المعاذير لديه باطلة، وهذا كتاب الله ينطق عليكم بالحق، فهل أنتم متبعوه؟

البرهان السابع

لا خلاف بين العرب أن أصل معنى العبادة هو الذل والتمسك والطاعة قال ابن جرير في تفسير ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ «وتأويل قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لك اللهم نخشع ونذل ونستكين، لأن العبودية ـ عند جميع العرب ـ أصلها الذلة، وإنها

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤.

تسمى الطريق المذلل؛ الذي وطئته الأقدام وذللته السابلة معبداً، ومن ذلك قول طرفة:

تباري عتاقاً ناجيات وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد

يعنى بالمور الطريق؛ وبالمعبد المذل الموطوء، ومن ذلك قيل للبعير المذلل بالركوب في الحوائج معبد، سمي العبد عبداً لذلته لمولاه؛ والشواهد من أشعار العرب وكلامهم على ذلك أكثر من أن تحصى» قال الراغب في غريب القرآن «العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله» ثم قال: «والثالث عبد بالخدمة والناس في هذا ضربان عبد لله مخلصاً، وهو المقصود بقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾(١) وعبد للدنيا وأغراضها، وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها، وإياه قصد النبي ﷺ بقوله: «تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار» وعلى هذا يصح أن يقال ليس كل إنسان عبداً لله» ثم قال: «ويقال طريق معبد أي مذلل بالوطء وبعير معبد أي مذلل بالقطران وعبدت فلاناً إذا ذللته وإذا اتخذته عبداً قال أن عبدت بني إسرائيل» ومثل ما قال ابن جرير والراغب قال جميع المفسرين واللغويين، وعلى هذا فأكثر هؤلاء هم عباد للماهيات والوظائف، لأنهم لا يخدمون إلا إياها؛ ولا يراعون غيرها، فبها ينطقون، ولها يصمتون فهم عباد الدنيا بشهادة حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ وبشهادة الراغب وشهادة كل لغوي؛ وإذ بان أن العبادة تدور على الذل والخشوع، فلا شك أن دعوة الأولياء الميتين منطوية على أكمل الذل والاستكانة، فهؤلاء المتوسلون بالبدوي والسيد الحسين، وغيرهم يهبونهم من التعظيم والإكبار ما لا يسمحون ببعضه لله في عباداتهم وصلواتهم، فهم لا يجرأون أن يرفعوا طرفهم أمامهم إجلالاً لهم، ولا يعصون ولا يكذبون، ويقفون أمامهم ـ باكين متمسكنين ملحفين بالدعوة، صادقين في النية، وهذا لا يقع منهم بين يدي الله؛ أليس هكذا يا مولانا الشيخ؟ وتراهم يقسمون بالله الإيمان المغلظة فاجرين، ولا يستطيعون أن يقسموا بأحد هؤلاء الأولياء كاذبين. فإذاً من دعا إلى التوسل فقد دعا إلى عبادة غير الله وإعطائه حق الله، أليس كذلك أيها الهمام الفاضل؟

(١) سورة ص، الآية: ٤١.

البرهان الثامن

علينا أن ننظر هل هنالك فرق بين عبادة المشركين أصنامهم. وبين توسل هؤلاء بالأموات الصالحين، فإن وجدنا التوسل هو ما كان يصنعه المشركون، أو وجدناه سبباً إليه، فلا معنى للنزاع في منعه، قال ابن هشام في سيرته المشهورة تحت عنوان: (قصة عمرو بن لحي، وذكر أصنام العرب): «حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام فلما قدم مآب من أرض البلقاء رأى بها قوماً يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي تعبدون؟ قالوا هذه أصنام نعبدها: فنستمطرها فتمطرنا؛ ونستنصرها فتنصرنا؛ قال أفلا تعطونني صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه؛ فأعطوه صنماً يقال له: «هبل»، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه؛ قال ابن إسحاق: ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم، والتمسوا الفسح في البلاد إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم؛ فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ بهم ذلك إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة؛ حتى خلفت الخلوف، ونسوا ما كانوا عليه؛ واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم، من الضلالات، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها: من تعظيم البيت والطواف؛ والحج؛ والعمرة، والوقوف على عرفة؛ والمزدلفة، وهدي البدن؛ والإهلال بالحج والعمرة؛ مع إدخالهم فيه ما ليس منه، فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا: «لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك» فيوحدونه بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده، يقول الله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ أي ما يوحدونني لمعرفة حقي، إلا جعلوا معي شريكاً من خلقي، وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عكفوا عليها، قصّ الله خبرهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾[1] الآية، فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم وسموا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل، قال ابن إسحاق واتخذ بطن من همدان يعوق في أرض اليمن؛ وقال أحدهم فيه:

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢٣.

يربش الله في الدنيا ويبري ولا يبري يعوق ولا يريش

ثم قال ابن إسحاق واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره. وإذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله، فلما بعث الله رسوله بالتوحيد قالت قريش: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾[1] وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب، وتهدي إليها كما تهدي إلى الكعبة؛ وتطوف بها كطوافها بها. وتنحر عندها؛ وهي تعرف فضل الكعبة عليها لأنها تعرف أنها بيت إبراهيم ومسجده، وكانت لقريش وبني كنانة (العزى) وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان، واللات لثقيف، وكانت سدنتها وحجابها بني معتب من ثقيف، وكانت مناة للأوس والخزرج، ومن دان بدينهم من أهل يثرب، فبعث رسول الله ﷺ إليها من هدمها. وكان ذو الخلصة لدوس، قتل رجل من العرب، فأراد ابنه الطلب بثأره، فأتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالأزلام، فخرج السهم بنهيه عن ذلك فقال:

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلي وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

فبعث إليه رسول الله فهدم، وكان لخولان صنم يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حق صنمهم من حق الله الذي سموه له تركوه، وما دخل في حق الله من حق صنمهم ردوه عليه، وفيهم أنزل الله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾[2] الآية» وقال أيضاً ابن هشام (في غزوة حنين) «عن أبي واقد الليثي أن الحارث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، فسرنا معه وكانت لكفار قريش وغيرهم من العرب شجرة عظيمة؛ يقال لها ذات أنواط؛ يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها؛ ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوماً، فرأينا ونحن نسير مع رسول الله شجرة؛ فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال: «قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ

(١) سورة ص، الآية: ٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٦.

﴿إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾[(١)]» وقال أيضاً تحت عنوان (مسيرة خالد بن الوليد ليهدم العزى): «ثم بعث رسول الله خالد بن الوليد للعزى؛ وكانت بيتاً يعظمه هذا الحي من قريش وكنانة ومضر؛ وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان، فلما سمع صاحبها بمسير خالد علق عليها سيفه وتنحى عنها وهو يقول:

أيا عز شدي شدة لا شوى لها ... على خالد ألقي القناع وشمري

أيا عز إن لم تقتل المرء خالداً ... فبوئي بإثم عاجل وتنصري

فهدمها خالد ثم رجع إلى رسول الله ﷺ».

هذا بعض ما ذكره ابن هشام في سيرته من عبادة المشركين لأصنامهم؛ وقد اشتمل على أشياء: الطواف بها، والتمسح، والذبح عندها، وتعظيمها؛ والعكوف عليها، وإرصاد الحجاب والسدنة لديها؛ وتقريب القرابين إليها، وقسمة ما ذرأ الله بينه وبينها، وشد الرحال إليها؛ والغضب لها، والتعظيم. وهذه الأشياء قد اشتمل التوسل عليها كلها. فإن المتوسلين يطوفون بالقبور؛ ويعكفون عليها، ويسافرون إليها من كل مكان، ويعظمونها؛ ويبنون فوقها، ويرصدون لها الحجاب والسدنة، ويقسمون لها مما خلق الله، ويكبرونها غاية الإكبار، ويستقبلونها؛ ويذبحون لديها الجواميس والبقر؛ ويقسمون بها، ويستقبلونها في صلواتهم وعباداتهم. كل ذلك واقع مشهود، وقد ذكر الله في القرآن عن المشركين أنهم قالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[(٢)] ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[(٣)] كما يقول المتوسلون سواء، ثم انظر إلى كلام ابن هشام في عقيدة المشركين وإيمانهم بالله واعترافهم بتوحيده توحيد الربوبية، وإيمانهم أنه خالق كل شيء، ثم انظر إلى قول الشيخ الدجوي في مجلة الأزهر «إنه لم يقل أحد غير ابن تيمية وابن عبد الوهاب: إن المشركين موحدون الله توحيد الربوبية» ثم اسأل الله السلامة.

فإذ بان أنه لا فرق بين التوسل، وبين عبادة المشركين أصنامهم إلا في تسميته، فلا معنى للنزاع في تحريم التوسل، وإلحاقه بعقيدة المشركين، فإن الحكم للمعاني لا للألفاظ.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٨.

البرهان التاسع

لا بد أن يكون للعبادة التي طالب الله بها عبيده معنى غير أن يؤمنوا أنه خالق كل شيء، فإن ذلك ليس هو معنى العبادة بلا خلاف بين أهل اللغة والشرع، وهذا القدر لا يكفي أن يكون المرء عابداً لله؛ فإن من آمن بأن الله خالق العالمين ولم يزد على ذلك لم يكن مسلماً؛ وما مثل ذلك إلا كمملوك علم أن مالكه هو القائم بأمره. الواهب له جميع النعم البدنية والروحية، ثم هو مع ذلك يعظم عبيد مالكه ويستغيثهم، ويخشع لهم ويسألهم تلك النعم التي لا يقدر عليها إلا مالكه، ولا يهبها له إلا مالكه! ألا يستحق ذلك العبد الطرد والحرمان والعقاب، هذا مثل التوحيد الذي تدعو إليه نور الإسلام. وهذا مثل المسلمين الموحدين على فهم الفيلسوف الدجوي ولا خلاف بين أهل القبلة من أنْ لم يزد على إيمانه بأن الله الخالق لم يكن مسلماً، فإذاً لا بد أن تكون العبادة غير ذلك. فنرجع إلى لسان الشرع؛ وإلى كلام أهل اللسان، فنجد أن العبادة هي اسم جامع للتعظيم والتذلل والانقياد؛ وما ينبيء عن ذلك من قريب أو بعيد، وقد أمر الدين ألا يخاف ولا يرجى ولا يدعى ولا يستعان ولا يعظم إلا الله، والنصوص على ذلك متظاهرة؛ وقد أحل لغير الله من ذلك جزء قليل لأجل الضرورة وبقدرها، والأصل في ذلك كله أن يكون لله، وألا يجعل شيء منه لغيره. إذاً فالعبادة أن نخص الله بتعظيمنا، ودعائنا، وخوفنا ورجائنا، وطاعتنا، وخشوعنا؛ وكل ما يضمن الذل والمسكنة. وألا نجعل شيئاً من ذلك لغير الله إلا بمقدار الحاجة بلا تجاوز لها، ولا شك أن أولئك المتوسلين قد جاوزوا ذلك الحد وفارقوه، وأنهم منحوا الأولياء أكثر ذلك وأشرفه؛ وذلك لازم لدعوة الموتى كما كان بلا تخلف، وليت هؤلاء يحسنون إلى أنفسهم، وإلى قرائهم فيقرأون ما كتب اللغويون والشرعيون في حروف العبادة، فيعلمون أن ذلك التوسل الذي يحامون عنه هو خلاصة العبادة التي ساد أوائلنا أن خصوا الله بها. إننا إذا قرأنا ما أمامنا من معاجم اللغة وكتب الأدب العربي، وجدنا العبادة؛ وما تصرف من حروفها يدور على ما ذكرنا. وهذا أمر من ضروريات اللغة التي يحسب المخالف فيها من المكابرين أو الجاهلين، ولا ريب أن نصوص الدين متظافرة الأوامر بألا يعبد إلا الله، وأن من عبد مخلوقاً فهو من المشركين. ولا ريب بعد ذلك أن عند

المتوسلين قسماً كبيراً من تأليه الأولياء؛ وإن لم يسموه باسمه العربي فهم إنما نازعوا في الاسماء، وليست العبرة بها، بل الشأن للحقائق.

البرهان العاشر

الناس يعلمون جميعاً أن الصحابة والتابعين وأئمة الهدى ومن بعدهم اتقى لله، وأحرص على الطاعات؛ واعلم بما يحسن وما يقبح من هؤلاء المخالفين؛ ويعلمون مع ذلك أن التوسل الذي يريده هؤلاء ـ من توسل الصبيان والعوام والنسوة الجاهلات ـ لم يكن في عصر الصحابة، ولا عصر التابعين، ولا عصر الأئمة الأربعة، ولا عصر من بعدهم من فضلاء الأمة وعلمائها، بل يعلمون ذلك بالضرورة والتواتر ـ كما يعلمون أن الزنى والخمر واللواط والربا والفواحش لم تكن مباحة في عصر أولئك الأخيار كما هي مباحة اليوم، وهؤلاء المشايخ لا ينازعوننا في إحدى المقدمتين، ونحن نطلب إليهم ونسألهم ـ معلنين ـ أن يأتوا بدليل صحيح أو ضعيف أن أبا بكر الصديق، أو عمر أو غيرهما من الصحابة، أو الزهري أو الحسن البصري أو مجاهداً أو أحداً غيرهم من التابعين أو الإمام مالكاً أو الشافعي أو أحمد أو أبا حنيفة أو غيرهم من علماء الدين، أو البخاري أو مسلماً أو من يشاؤون من المحدثين: ـ سأل ميتاً: نبياً أو ولياً شفاءه أو إزالة كربته أو حاجة من حوائجه، أو قبّل عتبة، أو ضم ضريحاً على صدره، أو سافر من بلد إلى بلد من أجل زيارة ولي، كما يفعل المتوسلون المعاصرون، أو نذر لميت عجلاً أو جاموساً، إن هؤلاء لا يقدرون أن يرووا لنا في ذلك سنداً؛ فلينتهوا، وإلا فإن أهل الحق من ورائهم؛ نحن لا نعقل أبداً أن يكون ذلك التوسل نافعاً في الدين، أو الدنيا فتجمع القرون الإسلامية الأول ومن تبعهم من الأئمة على تركه، الله يشهد أن ذلك لا يعقل، وأن من عقله أو رضيه فقد قدح في خيار الأمة، وأزرى بصحابة رسول الله أي إزراء.

البرهان الحادي عشر

إن التوسل الحالي قد اشتمل على أشياء محرمة بالإجماع؛ وما اشتمل على محرم فهو محرم بلا نزاع؛ فهؤلاء المدافعون عن التوسل يأكلون أموال الفقراء؛

ويجمعونها من جيوبهم على حساب التوسل، وحساب المشايخ، وهذا حرام وظلم، فكم يدفع هؤلاء الفلاحون كل عام لصندوق البدوي، وقد حزر في بعض السنين فجاء تسعين ألف جنيه؛ فقال في ذلك حافظ الأبيات السالفة، وكذا لصندوق الإمام الشافعي والإمام الحسين وغيرهم، ومن يتمتع بهذه الأموال غير الأغنياء الدجالين، واللصوص على حساب الدين؛ وهم من شر اللصوص وما أحسن أن يوضع لمثل هؤلاء عقاب يردع أمثالهم عن نهب أموال الفقراء بتلك الحيلة وقد كان علماء الأمم الماضية يحتالون ـ كما يحتال هؤلاء؛ فقال القرآن محذراً ما صنعوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1] وكذا اشتمل هذا التوسل على البناء فوق القبور؛ وإسراجها؛ ووضع الشموع فيها، وهذا إسراف محرم بالإجماع، والأحاديث الناهية عنه كثيرة، وكذا اشتمل على التوجه إلى المقبورين في الصلاة وفي العبادة، وعلى التمسح بالأحجار وتقبيلها، ولا خلاف بين الأئمة في أن ذلك من إرث المشركين النابي عن الذوق الصحيح؛ وكذا اشتمل على العهر والفسق: يختلط الرجال بالنساء وبالغلمان، ويترتب على ذلك طلاقهن، أو منازعتهن لأزواجهن، وكم في ضمن ذلك من المصائب الدنيوية والدينية، ونحن نعرف كثيرين طلقوا نساءهم لكثرة تعلقهن بالمقامات، وذهابهن إليها، وذلك كله منكر. وكذا اشتمل على اجتياب البلاد وتجشم الأسفار من البلاد البعيدة، لأجل الزيارة ـ كما يقولون، فالفلاحون يسافرون لزيارة الأولياء من بلادهم، وينفقون قوت عيالهم في سفرهم، ويدعون من يعولون يتضاغون جوعاً؛ وكثير منهم يقترض أجرة القطار إلى البدوي وغيره ويهتم لذلك أكثر من اهتمامه لحج بيت الله الحرام، الذي لا يتم الإسلام إلا به وهؤلاء يحثونهم على السفر إلى الأولياء، ولا يشيرون عليهم أن يحجوا ولا ينبهونهم إلى ذلك؛ وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجد المدينة» وهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز السفر لزيارة الأولياء من وجهين: الأول: ـ من لفظه، فإنه يدل أنه لا يجوز السفر إلى بقعة ما، إلا إلى البقع المذكورة، والثاني: ـ من معناه، فإنه إذا منع

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

السفر إلى المساجد ـ خلا المساجد المذكورة ـ دل على منع السفر إلى القبور، ولا يتوقف عاقل ـ ترك الهوى ـ أنه إذا امتنع السفر لأجل الصلاة في بيوت الله امتنع السفر لزيارة قبر، فإن المساجد ـ لا شك ـ أفضل من القبور: قبور الأنبياء وغيرهم. وهنالك دليل آخر غير هذا الحديث، وهو إجماع السلف الصالح على ترك ذلك، فلم يؤثر عن أحد منهم أنه سافر إلى زيارة ولي ولا نبي، فإن نازعتنا مجلة الأزهر فعليها الإثبات. فإجماع السلف على ترك ذلك ـ وهم المتقون المحرزون كل خير ـ برهان قاطع على أن ذلك ليس هدى ولا ديناً. بل هو من أعمال الأمم الغابرة التي تغلو في صالحيها وعبادها، قالت مجلة الأزهر (المجلد الرابع الجزء الثالث صفحة ١٧٧ بتوقيع الشيخ الدجوي: «إن ابن تيمية منع من شدّ الرحال لزيارة قبر الرسول ﷺ وجعل السفر للزيارة سفر معصية لا يصح فيه قصر الصلاة، خارقاً بذلك إجماع المسلمين، غير مستح من سيد المرسلين. ودليله الذي استند إليه واستنبط منه ما لم يستنبطه أحد من الأولين والآخرين، هو منعه ﷺ من شد الرحال إلا لأحد المساجد الثلاثة، ففهم من ذلك النهي أن الرحال لا تشد للزيارة ـ بناء على خيال قام برأسه أن القصر حقيقي لا إضافي. ولو كان كما فهم ذلك المجتهد الكبير، لكان شد الرحال لصلة الرحم، أو لزيارة الإخوان، أو التجارة، أو غير ذلك محرماً. فإذاً تقف مصالح العالم. وتتعطل أمور الدين والدنيا، ولو تبصر قليلاً لعلم ما أراد ﷺ من أن المساجد متساوية في الفضل، فكلها سواء إلا هذه المساجد الثلاثة، فإن الأصل أن الشيء يستثنى من جنسه القريب! فإذا قلنا: ما مات إلا زيد كان معناه ما مات إنسان إلا زيد، وليس معناه ما مات حيوان إلا زيد؛ ومن فهم ذلك كان من الحيوان لا من الإنسان. على أننا لو جعلنا القصر حقيقياً لفسدت أمور العالم!! والشريعة إنما جاءت بالصلاح لا بالفساد» ونحن نغضي عما في هذه القطعة من السخرية الشديدة، والتهكم الشنيع بهذا العالم الكبير الذي ملأ الدنيا علماً، ونصر الإسلام بقلمه وسيفه. وشهد له بذلك مخالفوه، وقد اشتمل كلامه هذا على جملة غلطات:

الغلطة الأولى: زعمه أن المسلمين أجمعوا على مخالفة ابن تيمية في ذلك! وهذا المزعم كاذب، قال في فتح الباري الجزء الثالث طبعة الخشاب صفحة ٤٣: «واختلف في شد الرحال إلى غيرها (أي إلى غير المساجد الثلاثة)

كالذهاب إلى زيارة الصالحين أحياء وأمواتاً. وإلى المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها، والصلاة فيها، فقال الشيخ أبو محمد الجويني «يحرم شد الرحال إلى غيرها عملاً بظاهر هذا الحديث» وأشار القاضي حسين إلى اختياره، وبه قال عياض وطائفة؛ ويدل عليه ما رواه أصحاب السنن من انكار نضرة الغفاري على أبي هريرة خروجه إلى الطور. وقال له: (لو أدركتك قبل أن تخرج ما خرجت) واستدل بهذا الحديث، فدل على أنه يرى حمل الحديث على عمومه ووافقه أبو هريرة» هذا ما قاله الحافظ ابن حجر، فما يرى مولانا الشيخ فيما قاله ابن حجر؟ يراه كذاباً على هؤلاء العلماء، وهابياً يؤول الأحاديث على حسب هواه؟ أم ماذا يرى في ذلك؟ وافضيحة العلماء!! الله يشهد أنني رحمت هذا الشيخ لكثرة ما يوقع نفسه، وقد نقل ابن تيمية في كتابه (التوسل والوسيلة) أن السفر لزيارة قبور الصالحين محرم إجماعاً، وذكر أيضاً فيه أن مالكاً سئل عن رجل نذر أن يأتي قبر النبي ﷺ فقال مالك إن كان أراد القبر فلا يأته، وإن أراد المسجد فليأته وذكر قوله ﷺ: «لا تشد الرحال الخ» قال: رواه القاضي إسماعيل في كتابه (المبسوط) فهل يستطيع هذا الشيخ أن يكذب هذا النقل بالعلم؟ هذا ما نطالبه به ونرجوه منه!! وهذه الرواية تدل على أن مالكاً يفهم من الحديث العموم كما فهم ابن تيمية، وكما فهم الصحابيان والعلماء الذين روى عنهم ذلك ابن حجر، فيتوجه إليهم ما وجه هذا الشيخ إلى ابن تيمية من السخرية والعيب، فمن الطاعن في العلماء؟! القادح بالصحابة يا ترى؟

<u>**الغلطة الثانية:**</u> «قوله غير مستح من سيد المرسلين» قول شنيع لا يصدر ممن يحاسب نفسه، ويقيم للعلماء وزناً، فإن من لم يستح من الرسول فهو فاجر أو كافر وقد رمى ابن تيمية ـ ذلك الإمام المفرد، الذي تزن حسنات ساعة من ساعاته ما ألف هؤلاء من حسنات كل حياتهم ـ إن كانت لهم حسنات: ـ بذلك؛ ونحن إذا فرضنا أنه غلط في ذلك اجتهاداً ـ فهل نقول: إنه لا يستحي من الرسول؟ وهل يكون كذلك لا يستحي منه؟ وهل إذا أخطأ عالم في قول ـ ومن لا يخطىء خلا رسل الله ﷺ ـ يقول: إن هذا العالم لا يستحي من الله ولا من رسوله؟! نعوذ بالله من البغي في الخصومة؛ وهل نقول لهؤلاء ـ لأنهم قد أخطأوا ولا شك ـ في مسائل كثيرة باعترافهم ـ : إنكم لا تستحيون من رسول الله؟ وماذا

يقول مولانا الشيخ في ابن حجر وفي الصحابة والعلماء الذين سلف ذكرهم؟ أيقول ـ غير مستح ـ إنهم لا يستحيون من سيد المرسلين؟ روى البخاري وغيره قال: قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا خاصم فجر، وإذا اؤتمن خان» اللهم احفظ مولانا من ذلك.

الغلطة الثالثة: زعمه أن أحداً من الأولين والآخرين لم يفهم الحديث كما فهم ابن تيمية. ولقد ذكرنا لك في فتح الباري أن الصحابة والعلماء فهموا ذلك واستدلوا بالحديث على امتناع السفر إلى غير المساجد الثلاثة، فهؤلاء عند هذا الشيخ ليسوا من الأولين ولا الآخرين!!

الغلطة الرابعة: قوله: «إن الاستثناء لا يكون إلا من الجنس القريب» قول مخالف لكلام العرب: إذا قلنا دخل شاعر على الملك فمدحه، فما أجازه إلا مائة جنيه فإن السامعين ـ ما خلا مولانا الشيخ ـ يفهمون أنه لم يجزه غير المائة شيئاً من الأشياء: لا نقوداً ولا غيرها، وإذا قالوا: مات فلان، فما ترك غير بنت، علموا أنه لم يترك وارثاً غيرها ـ من الذكور والإناث؛ وكذا إذا قالوا: مات فما ترك إلا ألف فدان، علموا أن الألف هو كل ما ترك. لم يترك شيئاً يورث غيره. وإذا قالوا: فلان لا يملك غير ما على جلده؛ فهموا أنه لا يملك ديناراً ولا درهماً سوى ما لبس، هذا كلام العرب، لا يمكن غيره، ولا يعدل عنه إلا بقرائن، فما زعم أن الاستثناء لا يكون إلا من الجنس القريب، محادة لكلام العرب كما رأيت، وأما مثاله (ما مات إلا زيد) فمثال لا يجوز في عقل. كيف يقال: ما مات إنسان إلا زيد؟ وهل هذا القول صحيح؟ والعجب أن الشيخ لا يوفق ولا في الأمثال!! نعم. قد يجوز المثال المذكور إذا كان الحديث عن قوم مخصوصين فيهم زيد. فيقال: ما مات إلا زيد ـ أي ما مات من الجماعة إلا زيد. فإذا قامت القرينة على أن التحديث عن جماعة سقط الاستدلال بالمثال، بل يكون المستثنى منه مذكوراً ـ تقديراً.

الغلطة الخامسة: قوله: إن حمل الحديث على ما حمله ابن تيمية يقضي على المصالح قول عجيب!! فليس يلزم حمل الحديث ضياع مصلحة ما؛ إنما ضياع المصالح، وضياع العقول والدين، في الفتنة بأهل القبور؛ حتى وقع المسلمون بالشرك الأكبر، وعبدوا الخلق ونسوا الخالق، والله المستعان. هل

الذين حملوا الحديث ـ وهم كثيرون ـ كما أريتك ـ ضيعوا مصلحة؟ أو أهملوا شيئاً من الواجبات؟ اللهم، لا؛ إلا في نظر مجلة الأزهر!! إن ابن تيمية وسائر العلماء يحملون الحديث على أنه لا يصلح السفر لمكان ما تعبداً إلا لأجل المساجد المذكورة. لا يسافر إلى قبر ليدعي الله عنده، أو ليدعي صاحبه، ولا ليصلي فيه؛ ولا يتبرك به، ولا يتمسح بحجارته وعتبته؛ فهل يستتبع هذا التأويل ضياع مصلحة؛ إن الذهاب لزيارة صديق أو صلة رحم، أو لجهاد ونحوه، ليس ذهاباً لمكان؛ بل لأجل الأشياء التي تقع في المكان، والمكان ليس مقصوداً أبداً، بخلاف المساجد الثلاثة؛ فإن قيل: كذلك من ذهب لقبر ولي ولم يذهب للمكان، وإنما ذهب لنفس الولي، قلنا: ليس الأمر كما تفهم، فالذهاب لنفس الميت لا يستطاع، وإنما يستطاع الذهاب إلى قبره، ولهذا يقول ﷺ في أحاديث زيارة القبور: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» وقال: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي» ويقول الصحابة: (كان الرسول يعلمنا إذا زرنا القبور أن نقول السلام عليكم) الحديث؛ وقالت السيدة عائشة: (أذن لنا في زيارة القبور) فالأحاديث تعبر بزيارة القبور لا المقبور، لأن الذهاب في الحقيقة ذهاب للقبور، والحاصل أن من ذهب إلى قبر قيل: ذهب إلى قبر فلان، ولم يقل ذهب إلى فلان؛ وبيان هذا أن ابن تيمية والعلماء يقولون: قوله: «لا تشد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة» يمنع من السفر إلى كل مكان لأجل الطاعة فيه؛ فلا يذهب إلى غير المساجد الثلاثة لأجل صلاة، أو دعاء أو عكوف، وكذا يمنع الذهاب إلى قبر لأجل دعاء القبر، أو الصلاة عنده أو التمسح به، أو العكوف عليه، فهل في ذلك ضياع مصلحة يا قومنا؟ ما فيه غير ضياع النقود والعيش الذي يحتال عليه هؤلاء بهذه الحيلة. يا أمة محمد كيف استحللتم أن تمثلوا قبور الأولياء ببيت الله الحرام: تحجون لها من كل فج عميق، وتنفقون في ذلك ما لا تسمحون ببعضه في سبل الخير، وتمسحون بها؛ وتقبّلونها كما تقبلون الحجر الأسود؛ وقد قال عمر بن الخطاب عندما قبله: (والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) يقول عمر ذلك في الحجر الأسود الذي هو يمين الله، كما جاء في الحديث، ويحكم يا أمة محمد بأي برهان؟ أو بأي عقل؟ استجزتم ذلك الحج

والزحام على زيارة البدوي، حتى جعلتموه أعظم من بيت الله!! أترون الإسلام يجازيكم على ذلك؟ لا والله. روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً» أي لا تجعلوا قبري كالعيد تعظمونه. وتعتادون الذهاب إليه، وقد جاوزتم هذا القول؛ وجعلتم كل قبور الصالحين ـ بل وغير الصالحين ـ أعياداً؛ وروى سعيد بن منصور أن عبد الله سبط علي بن أبي طالب رأى رجلاً يكثر الذهاب إلى قبر الرسول ﷺ فقال له إن رسول الله قال: «لا تتخذوا قبري عيداً؛ وصلوا علي حيث ما كنتم؛ فإن صلاتكم تبلغني؛ فما أنت ورجل بالأندلس إلا سواء» وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك» يعني لا تصلوا فيها، ولا حواليها، ولا تكثروا الذهاب إليها، كما تفعلون في المساجد، وقد خالفتم رسول الله وأتيتم ذلك كله!! فبماذا تعتذرون في يوم يجعل الولدان شيباً؟ وفي البخاري ومسلم عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت عائشة: (يحذر ما صنعوا ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ قبره مسجداً). وروى مسلم عن أبي مرثد الغنوي أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجلسوا على القبور. ولا تصلوا إليها». وفي الترمذي وصححه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» انظروا يا قومنا، نحدثكم عن الله وعن رسوله ﷺ بالأسانيد الصحيحة، ولكن المخالفين إذا حدثوكم ـ وأحسنوا ـ حدثوا عن حاشية بالية. أو عن منام أو رواية لا يعرف لها أصل، إنه لا حجة لكم على هذه البدع غير أن رأيتم علماءكم يمدحونها لكم، ويعلمونها، ولكن رسول الله ﷺ حذر العلماء المضلين وقال: «أخوف ما أخاف عليكم الأئمة المضلون» وقال: «يأتي زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه؛ ولا من القرآن إلا رسمه، علماؤهم شر من تحت أديم السماء، من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود» وقال: «اتقوا فتنة العالم الفاجر» وقال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(١) وها أنتم ترون كثيراً من علمائكم الذين تدعون من أجلهم كتاب ربكم

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

يلبسون الحرير ويتختمون بالذهب، ويجرون أثوابهم خيلاء؛ وكبراً، ويتهاونون في الحج، والزكاة؛ والصلاة؛ والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. اذكروا أيها المؤمنون قول قوم أطاعوا علماءهم فقالوا لما رأوا عذاب الله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾(١) الآية، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾(٢)، وقال: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾(٣).

فإذا بان لك أن عقيدة التوسل جمعت هذا الشر والمحرمات فلا ريب في أنها ليست ديناً يرضاه الله. هذه أحد عشر برهاناً، تبطل التوسل الحالي أيما إبطال، وتنقض على مجلة الأزهر شبهاتها عليه نقضاً لا يبرم، والحمد لله أولاً وآخراً.

من هم الخوارج؟!!

ترمي مجلة الأزهر السلفيين الموسومين عندهم (بالوهابيين) بتوقيع الشيخ الدجوي بأنهم هم الخوارج الذي قال فيهم رسول الله ﷺ: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» لأمر ما رمتهم بذلك. وحملت عليهم أوصاف الخوارج. واجتهدت في أن تصورهم صورة الثائر على المسلمين. العطشان إلى دمائهم. ولأمر ما كررت ذلك على صفحات مجلتها عدة مرات، ونحن الآن نبين أنهم أحق بأوصاف الخوارج التي ذكروها بالبراهين، وأن الوهابيين هم أبعد الناس عنها. ذكروا من صفاتهم أشياء:

الأول: (يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم) يعني بذلك قلة فهمهم للقرآن وقلة عملهم به.

الثاني: (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية) يعني أنهم يكفرون بعد إيمان.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٣١.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢١.

الثالث: (يقاتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان).

الرابع: (يحسنون المقال ويسيئون الفعال).

الخامس: (يدعون إلى القرآن وليسوا منه في شيء).

السادس: (أنهم شرار الخلق).

السابع: (حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام).

الثامن: (يخرجون في آخر الزمان).

التاسع: (يأتون بما لم يعرف الأولون من المسلمين).

العاشر: (دجالون كذابون).

الحادي عشر: (أنهم أصحاب أهواء).

هذا جملة ما كتبوه من أوصاف الخوارج وحملوها على السعوديين. ولو كان للحق أو القراء لديهم حرمة لما ذكروا هذه الصفات وجعلوها من نصيب أمة تقيدت بكتاب الله، وسنّة رسول الله ﷺ حينما قيد الناس - إلا ما شاء الله - أنفسهم بقيود القوانين الوضعية البشرية.

أما الأولى: - وهو أنهم يقرأون القرآن ولا يجاوز حناجرهم، فالمراد من ذلك أنهم يكثرون تلاوته وهم لا يفهمونه ولا يعملون به. والناس يعلمون بأن الأزهر أكثر العالم الإسلامي قراءة للقرآن وأعمله بقواعده اللفظية، وأضبطه لمخارجه وأحفظه لألفاظه؛ والمثل يضرب بمصر وبالأزهر إذا أريد حفظ القرآن، وتجويد مخارجه؛ وطلاب الأزهر ملزمون بحفظ القرآن؛ ولا كذلك المعاهد في الأقطار الأخرى، وأما من جهة العمل به، فالناس يعلمون أيضاً أنه لا يوجد اليوم تحت الشمس أعمل من الوهابيين بالقرآن، ولا أتقى لله منهم، ويعلمون أيضاً أن الحكومة العربية تستضيء بنور القرآن في جميع ما تأتي وما تذر، في حين أن مصر - وأكثر البلاد الإسلامية - تتخبط بظلمات القوانين الأوروبية، ويعلمون أيضاً أن الوهابيين - من ملكهم إلى مملوكهم - إذا تكلموا قالوا: قال الله، وقال رسوله وقال أبو بكر وعمر، وأن رؤساء من يدافع عنهم هذا الطعان إذا تكلموا قالوا: قالت (أوروبا) قال المستر فلان (واللورد فلان) فمن العامل

بالقرآن إذاً؟ وأما من جهة الفهم له فالشيخ يعرف ـ بعد الناس ـ أنه هو وإخوانه مقلدون لما كتب الأسلاف في الحواشي، مكتفون بفهم من سبق عن أن يكلفوا أنفسهم فهم آية من كتاب الله، أو حديث عن رسوله، والمقلد لا يمكن أن يفهم؛ ولا يريد أن يفهم، بل يرى أن الأخذ في الفهم جريمة. بل يقولون: إن الذين يريدون أن يفهموا من القرآن والسنّة ملحدون. وإذاً كيف تجاوز معاني القرآن حناجر المقلدين؟ وقد ذكرنا لك فهم مولانا الدجوي ـ وهو من أشهر علمائهم ـ وأريناك كيف يفسر القرآن. وأما الوهابيون فانظر فيما تشاء من كتبهم تلق العجب العجاب: تلق الفهم والعلم؛ انظر في منهاج السنة لابن تيمية أو كتاب العقل والنقل له؛ أو ما شئت، أليس قد بان لمولانا الشيخ أن الوهابيين أبعد الناس عن هذه الخصلة، وأنه هو وإخوانه أقرب الناس إليها.

وأما الثانية: ـ وهي أنهم يمرقون من الإسلام ـ فيقال: إن أمرق الناس من دين الله هم الذين ضيعوا أركانه وتجاوزوا حدوده. هم الذين ضيعوا الحج، والصلاة، والزكاة، والأمر بالمعروف؛ والنهي عن المنكر. وهم الذين يوالون أعداء الدين؛ ويولونهم عليهم، وعلى دين الله. وهم الذين يحتفلون بمناوىء الإسلام؛ ويكبرونهم. وهم الذين يحاربون الحركات الإسلامية ـ كالمؤتمر القدسي وجماعة الدفاع عن الإسلام. وهم الذين لا يغضبون لغضب الإسلام ولا يرضون لرضاه؛ وهم الذين يخونون ما ائتمنوا عليه ويبنون بأموال الخيانات لهم بيوتاً، وهم الذين يكذبون على الله وعلى دينه، وعلى علماء الإسلام، وهم الذين يدعون إلى دعاء الأولياء والسجود والركوع لهم؛ والحج إلى قبورهم، وهم الذين يعادون العاملين بالكتاب والسنة، وهم الذين يقولون لا يصح النظر في القرآن؛ فمن هؤلاء غير هذا الطاعن وإخوانه؟!

وأما الثالثة: ـ وهي أنهم يقاتلون أهل الإسلام، ويتركون أهل الأوثان، فالشيخ يعلم ـ كما الناس ـ أنه ما كان هو ـ ولا أحد ممن يدافع عنه ـ صاحب وثن، ولا قاتل مشركاً بلسان ولا سنان، بل يعرفون أنه هو وهم ما زالوا يقاتلون أهل الإيمان؛ ويقدحون في علماء المسلمين، ويسبونهم، كابن تيمية وابن حزم وابن القيم والشوكاني؛ والمشركون والملحدون يختالون بين أيديهم، ولم يسؤوهم يوماً! أليس الشيخ يعرف أنه منذ صدرت مجلته وهي تقدح في الحكومة

العربية، وتحض الناس على عدائهم ـ واليهود والنصارى يعيثون فساداً في مصر وفي فلسطين وفي كل بلد إسلامي، فلم تستطع أن تكتب ضدهم مقالة؛ أليست مجلة الأزهر ما زالت تكفر العلماء الماضين في حين أنها لا تستطيع أن تكتب في ملحد مقالة واحدة، أليس هذا عين مقاتلة أهل الإسلام، وترك أهل الأوثان، وأما (الوهابيون) فقد قاتلوا دسائس الاستعمار؛ وطهروا الجزيرة العربية منها، وقضوا على البغي والعدوان والخرافات والشرك؛ وليت الشيخ يقرأ شيئاً من التواريخ الخاصة أو العامة ليعرف ماذا قاتل الوهابيون، وماذا فعلوا. إن الجزيرة العربية قبل الدعوة الوهابية كانت غاصة بالفسوق والعدوان؛ لا يقام فيها حد، ولا يحافظ على فرض، يعبدون الأشجار والأحجار والموتى والشياطين!! فجاء السيف الوهابي، واللسان الوهابي، فأبدلا ذلك توحيداً، وعدلاً؛ وصلاحاً؛ أما بان لهذا الشيخ أنه هو ومن يدافع عنه أخلق الناس بهذه الخصلة؟!

وأما الرابعة: ـ وهي أنهم يحسنون القول ويسيئون الفعل ـ فلا أظن عاقلاً ينازع أن هذه الصفة هي ألصق بالأزهريين منها بالوهابيين، والأزهريون يعترفون بذلك أنفسهم. إنك إذا سمعت واعظاً أزهرياً ظننته يشتمل على أبا بكر، أو عمر؛ وإذا نظرت إلى فعله ظننت أنه ينطوي على الشيطان الرجيم.

وأما الخصلة الخامسة: ـ وهي أنهم يدعون إلى القرآن وليسوا منه في شيء ـ فالمراد أنهم لا يعملون به، فيقال الذين ليسوا منه في شيء هم الذين لم يرضوه حكماً. بل حكّموا (أوروبا) في دينهم؛ وأخلاقهم؛ ومعاملاتهم، وشؤونهم الاقتصادية والسياسية، وقلدوهم في شرب الخمور، وإباحة الزنى، والربا، واللواط؛ والفواحش الظاهرة والباطنة، وأكلوا أموال الناس بالباطل. وما هؤلاء غير من تدافع عنهم وتفضلهم على الوهابيين. الذين رضوا بكتاب الله قانوناً، وبرسول الله ﷺ هادياً؛ وبصحابته وأئمة الهدى أئمة ومؤدبين، والذين ليسوا من كتاب الله في شيء هم الذين ينهون عنه وعن العمل به. ويعادون العامل به. وهم الذين يدعون إلى عبادة الأموات، والحج إلى قبورهم، بدل الحج إلى بيت الله، إن هذا الطعان لا يمكنه أن يقدح في الوهابيين إلا لأجل التوسل والوسيلة؛ فهبهم مخطئين في ذلك. فكيف يقال: إنهم ليسوا من كتاب الله في شيء لأجل هذه المسألة؛ وقد قاموا بالشرع كله، وكيف لا يكونون أحسن الناس

اليوم؟ وإن كانوا مخطئين فيما يدعي!! وكيف لا تكفر حسناتهم الكثيرة هذه السيئة الواحدة ـ إن كانت سيئة ـ بل هي من أكبر حسناتهم في نظر العاقلين. ولأي أمر أغضبته هذه السيئة منهم، ولم تغضبه سيئات غيرهم التي لا تحصى؟! إنه لا يوجد عاقل في الشرق أو الغرب لا يسلم أن هؤلاء الذين يطعن عليهم هذا الشيخ. هم أعمل المسلمين بكتاب الله، وأتبعهم لرسوله ﷺ.

وأما الخصلة السادسة: ـ وهي أنهم شرار الخلق والخليقة ـ فيقال: شرار الخلق هم أكثرهم شراً؛ وأقلهم خيراً. وقد بيّنا من هم أولئك.

وأما الخصلة السابعة: ـ وهي أنهم سفهاء الأحلام ـ فيقال السفيه هو الذي أوغل في السفاهات، وقد أريناك في كتابنا هذا. وفي كتاب البروق والشيوخ ـ من هؤلاء، أوليس السفه ـ الذي ليس فوقه سفه ـ الادعاء بأن البشر على كل شيء مقتدرون! وبأن الأموات أقدر من الأحياء، وبأنهم يوجدون في كل مكان. والادعاء بأن السجود لهم قرب يثاب عليها.

وأما الخصلة الثامنة: ـ وهي أنهم يخرجون في آخر الزمان، فيقال هؤلاء هم أهل البدع؛ وأهل القبور؛ فإنه لم يكن في زمن الإسلام الأول شيء من ذلك.

وأما الخصلة التاسعة: ـ وهي أنهم يحدثون بما لم يعرف المسلمون ـ فنقول ليس هؤلاء سوى المبتدعين الذين طمسوا معالم الإسلام. والذين جاؤوا بما لم يعرفه خير القرون الإسلامية، وهل يعرف الصحابة والتابعون التفاني في أهل القبور وعبادتهم؟!

وأما الخصلة العاشرة: ـ وهي أنهم كذابون ـ فنقول قد بينا في كتابنا هذا وفي الكتابين الآخرين من هم الكذابون، ومن الذين يعزون إلى رسول الله وإلى أئمة الإسلام ما هم منه بريئون.

وأما الخصلة الحادية عشرة: ـ وهي أنهم أصحاب أهواء ـ فنقول: أصحاب الأهواء هم الذين يفترون على الله وعلى رسوله ﷺ لنصرة خطأ قالوه، وهم الذين لا يتورعون أن يأتوا ما يأتون إذا لاحت لهم وظيفة أو منصب حتى الاحتفال بأضداد الإسلام ومولانا الشيخ يعرف من هؤلاء؛ أنحن أم هم، وهم

الذين لا يقيدون أحكامهم وأقوالهم بالقسط والعدل، حتى أنهم ليسقطون أذكى الطلاب، وأورعهم في امتحانه إذا لم يرضهم بدعوة أو نحوها، وينجحون أغباهم وأنآهم عن ورع إذا دعاهم لأكلة أو نحوها. والطلبة يعرفون ذلك فيتحدثون به. وفضيلة مولانا الشيخ يعرف من هؤلاء!! ويعرف أنهم ليسوا منا، وحدثني طالب في رواق الحرمين أنه كان منذ أعوام يدعو مولانا الشيخ الدجوي إلى حجرته في الرواق فيحتفل به ويرضيه بكوب شاي ثم يقرأ عليه كلام ابن حزم؛ وقوله في الاجتهاد، وفي تخطئة الأئمة بلهجته المعروفة. وكذا يسمعه كلام ابن تيمية وتلميذه في الوسيلة وفي علو الله، فيسمع مولانا ذلك ويظهر قبوله والمدح له، ولو شئت لسميت لمولانا هذا الطالب. وحدثني عالم من علماء الأزهر: أنه ذهب إلى مولانا أيضاً وألبسه من أثواب التعظيم وألقاب الفلسفة ما يشاؤه، ثم سأله عن التوسل وأظهر له الميل إلى ألا توسل، فأظهر مولانا الشيخ لذلك العالم الشك في التوسل الحالي، وفي صحته ولو شاء الشيخ لسميت له ذلك العالم، ولا تسألني لماذا أظهر هنا الشك في التوسل وهو هنا يناصره، فإنك تعرف السر في ذلك. ونحن والله نحب أن الشيخ ومجلته لم يرميا خير شعب بشيء لعله ألصق بهم؛ ولعلهم أولى به بالإجماع. وما كنا ـ علم الله ـ لنتعرض لذلك لولا أنهم ألجأونا إليه، وأما الوهابيون فقد اتفقت الكلمة على وفرة دينهم وتغاليهم في التمسك بآداب الإسلام؛ وأحكام القرآن، والذين ينقمون منهم لا ينقمون غير الوسيلة أظن أنه قد بان للقارىء الكريم من هم الخوارج الذين حضّ رسول الله ﷺ على قتلهم؟؟ ومن أقرب الناس إليهم؟ وإذاً سوف يقول القارىء ما أطيب قلب الشيخ!! ولولا طيبه الكثير، وتجافيه عن الدهاء؛ لما رمى هؤلاء المسلمين بهذه الأخلاق؛ ولولا التطويل لذكرت لك شيئاً من سيرة الوهابيين الذين اتخذ الشيخ الوقيعة في أعراضهم ديناً له!!

علو الله على خلقه ومناظرتنا الشيخ فيه

بقي مما ينقمه من الوهابيين، ويكفرهم من جرائه مسألة (علو الله على خلقه)، وقد كتب في ذلك مقالات كثيرة؛ في نور الإسلام وفي مجلة الإسلام وفي بعض الجرائد اليومية، وكل هذه المقالات تعبر عن معنى واحد. عن شبهات اختطفها من كتب الشيخ الرازي. وقد ألفت رسالة في هذا، وبينت ما في شبهاته وشبهات الرازي وغيرهما، وجمعت البراهين العقلية والنقلية على أن الله فوق العالمين، فحال بيني وبين طبع هذه الرسالة حائل، ونسأل الله أن يوفق لطبعها. ونحن هنا نذكر مناظرة بيننا وبين الشيخ الدجوي في هذه المسألة؛ تأتي على جميع معارضاتهم وتزيفها - إن شاء الله - وإذا أبطلت المعارضات التي يدعونها ثبت علو الله، لأنهم لا ينازعوننا في أن ظواهر النصوص مجتمعة على أن الله فوق، ويقولون: إنه لم يمنعهم من الإيمان بعلوه إلا الشبهات التي سوف تراها هنا، وسوف ترى الجواب عنها. قلنا للشيخ الدجوي: ألا تعلم أن الأخبار متظافرة على علو الله؟ فقال: بلى، قلنا له: ألا تعلم أنه لا يجوز ترك الظواهر الدينية إلا إذا استحال ظاهرها، قال: بلى، قلنا: فما المحال في أن تؤمن بها؟ وتصدق أن الله على عرشه؟ قال: إن العقل يصادم ذلك، قلنا: فما العقل الذي يصادمه؟ قال: لو كان في السماء لكان حادثاً، قلنا: ولِمَ قلت إذا كان في السماء كان حادثاً؟ وما هذا التلازم؟؛ قال: لأن العلو قد اتصف به المخلوق؛ والله لا يوصف بصفة مخلوق؛ قلنا له: فإذاً يجب ألا يكون له علو معنوي. ولا يكون له وجود ولا حياة ولا حقيقة ولا إرادة ولا علم ولا رحمة ولا أمر ثبوتي فإن المخلوق قد وصف بذلك كله، فحق عليك أن تطرد قولك، فلا تصف الله بصفة. ولزم أيضاً أن تنكر الذات، فإن المخلوقات لها ذوات، قال: إن الأشياء

التي ذكرت لا يوصف بها مخلوق. وإنما هي فيه مجازات، وليست حقيقة إلا في الله. فليس لحادث ـ في الحقيقة ـ حياة ـ بلا رحمة ولا قدرة إلى آخره، قلنا له: ـ مع أن هذا القول مخالف كلام المسلمين جميعاً، وكلام العقلاء، ومخالف الحس والمشاهدة ـ يمكن أن يقال في صفة العلو كذلك إنه حقيقة لله؛ وفي غيره مجاز، وحينئذ يجب عليك أن تسوي بين العلو وما ذكرت من الصفات نفياً وإثباتاً. والبابان سواء؛ فقال: لو كان الله في السماء لكان جسماً لأن كل ما هو في جهة فهو جسم؛ والأجسام حادثة، قلنا: قولك هذا كقول القائل: لو كان موجوداً لكان جوهراً أو عرضاً، والجواهر والأعراض حادثة: أو لو كان له حياة وعلم وصفة لكان جسماً محلاً للأعراض، والأجسام مخلوقة، ومن قامت به الأعراض فهو حادث؛ ولن تجد فرقاً يقبل بين قولك هذا، وبين هذا القول؛ وهو لا يقبل فقولك مثله، وليس في يدك دليل على أنه يلزم علوه أن يكون جسماً إلا قياسك إياه تعالى على المخلوقات، ولله المثل الأعلى. فإنك ما رأيت عالياً قائماً بنفسه إلا جسماً؛ فقلت: كل ما هو عالٍ فهو جسم؛ فنقول لك وأنت ما رأيت موجوداً إلا جوهراً أو عرضاً، ولا ذا صفة إلا حادثاً مؤلفاً ولا موجوداً إلا في جهة فقل إنه كذلك، ثم ليس معك برهان على أن جميع الأجسام مخلوقة ـ ولتعلم أننا لا نقول إن الله جسم لأننا سلفيون، لا نزيد على الوارد، ولكن نخاطبك على قواعدك ـ ودليلك على أن الأجسام حادثة، هو من قياس الغائب على الشاهد، فإنك رأيت الأجسام قدامك مخلوقة فقلت: إن الأجسام كلها كذلك، ولو سألناك البرهان لكان عزيزاً عليك بل مفقوداً، فدع القياس الذي يرمي في التهافت والتناقض، ولا تقس الله على ما أمامك لتستريح وتريح مناظرك، فقال: لا ريب أن من هو في جهة خاصة فهو محدود ـ أي له مقاطع ـ ومن كان كذلك فلا ريب في أنه حادث فإن المحدود اسم مفعول فلا بد أن يكون له فاعل، ولا ريب أن ما له مقاطع يجوز العقل أن تكون حدوده على خلاف ما كانت، وأن تزيد وتنقص، فلا يكون ذلك واجب الوجود، قلنا: كلامك شمل بحثين: الأول، لو كان في جهة لكان محدوداً، والثاني، والمحدود مخلوق، أما البحث الأول فلم تذكر له دليلاً، وأظنك تحسب ذلك ضرورياً لا يحتاج إلى الاستدلال؛ ولكن قال كثير من المتقدمين والمتأخرين: إن الله تعالى فوق العرش وليس محدوداً، وقلتم

أنتم: موجود وليس في جهة يشار إليها، وليس قولهم أكثر تجافياً عن المنطق الصحيح من قولكم، وقلتم: لا جوهر ولا عرض؛ ومتكلم بغير حرف وصوت، وليس صغير الذات ولا كبيرها، وعندي أنكم لا تقدرون أن تحكموا على قولهم هذا بمخالفة النظر الصائب؛ وأنتم قائلون هذه الأقوال، وزاعمون موافقتها العقل الصحيح، ولا يستطيع عاقل منصف أن ينكر قولهم ويقبل قولكم، بل هما سواء إن لم يكن قولكم أكثر بعداً، وأما الثاني فذكرت له دليلين: الأول: أن المحدود اسم مفعول وهو ما أوقع عليه الفعل غيره، والثاني أنه يجوز عقلاً أن يزيد على الحد المفروض أو ينقص عنه ومثل ذلك لا يكون رباً قديماً، والجواب عن الأول، أن لفظة محدود يراد منها معنيان: أحدهما: أن أحداً أوجده له بعد أن لم يكن موجوداً وسواه له. وثانيهما أن يراد أنه وجد كذلك ـ أي وجد له حد ـ لا أزيد ولا أنقص؛ إن أردت الأول فلا نسلم أنه إذا كان في جهة كان محدوداً بهذا التفسير؛ وإن أردت الثاني فلا يضرنا، وليس الشأن في الألفاظ وأي عقل يقول: من كان له حد فلا بد أن يكون أوجده له غيره، وأنه كان بلا حد فأوجد بعد عدم، وهذا مثل أن يقال: الموجود هو من حدث له الوجود. والكائن هو من حدث له الكون. والراحم والحي والقادر والعادل والفاعل هو من حدثت له تلك الصفات وهذا باطل قطعاً كالأول، ولا فرق بينهما. فقال: محدود اسم مفعول يقيناً، واسم المفعول هو من أوجد فيه المصدر المشتق منه بعد وجوده هو ـ أي بعد وجود ذاته ـ كالمضروب مثلاً، قلنا له هذا باطل ولا شك، لأننا نقول: الله موجود فهل معناه أن أحداً أوجد فيه الوجود بعد أن لم يكن، ولئن كان اسم المفعول في اللغة كما ذكرت فلن نسلم أن الله محدود؛ ولا نجوز عليه هذا الإطلاق، وإنما نسلم ذلك إذا وافقتنا على تفسيرنا، بل نقول: أنت تقول إن اسم المفعول هو من أوجد له المصدر المشتق منه بعد وجود ذاته، فإذاً لا يجوز أن نقول: إن الله محدود حتى نعلم أن الله كان معدوم الحد فأوجد له الحد، وأما الألفاظ فلا تثبت بها المعقولات، وليس عندك نص شرعي على أن الله محدود، والثاني ـ أي قولك يلزم أن نجوز زيادة حده ونقصه ـ فنقول: إن أردت أن كل ما له حد ـ سواء أكان قديماً أم حادثاً ـ تجوز عليه الزيادة والنقصان وتغير حده مانعناك، ومن قال إن كل من له حد فليس بلازم له؟! وهذا كأن تقول: كل من

له صفة وحالة فهي جائزة التبدل والتغير، وجائزة الزيادة والنقصان، وجائزة الفنى والاختلال؛ وما الحد إلا حالة من الحالات؛ وصفة من الصفات، فلئن صح قولك: كل حد يجوز زيادته ونقصه ليصحن قولك: كل ذات وكل حقيقة وكل صفة وكل حي يجوز عليها التبدل والتغير والفناء، وأنت لا ترضى ذلك ولا غيرك، وإن أردت أن من المحدودات ما هو كذلك؛ فلا يضرنا ولا ننازعك عليه؛ وهو كأن يقال من الموصوفات ما يجوز أن يفقد صفاته ووجوده؛ فهل يقضي أن ننفي عن الله تعالى الصفات والوجود، قال نعلم ـ بالضرورة ـ أن كل ذي حد يصح أن يكون حده خلاف ما هو من الكم والكيف؛ قلنا له لن تظفر بفرق بين قولك هذا وبين أن نقول نعلم ـ ضرورة ـ إن كل ذي وجود يجوز عدمه؛ وكل ذي حياة يجوز موته، وكل ذي صفة يجوز سلبه إياها، وكل ذي علم يجوز أن يعود جاهلاً؛ وهكذا، وإن كنت تجد فرقاً فاذكره، فأبلس برهة، ثم قال للمستوي والمستوى عليه ثلاث حالات؛ إما أن يكون المستوي أكبر، أو أصغر، وإما أن أن يكونا مستويين فلو كان الله مستوياً على العرش لناله أحد الفروض وهي باطلة في حقه، أما الثاني والثالث فبالبداهة؛ فإنّا لا نعلم عاقلاً يجوز على ربه أن يكون أصغر من العرش أو مساوياً له؛ وهذا لا يتطلب الحجج، وأما الأول فباطل أيضاً فإنه لو كان الله تعالى أكبر من العرش لكان القدر الزائد على العرش غير القدر المساوي له، فكان الحق مركباً من القدرين: الزائد والمساوي، والمركب لا بد أن يكون له مركب تعالى الله، قلنا في كلامك ضعفان:

الأول: قولك إما أن يكون أصغر أو أكبر الخ، ليس وارداً عليه من جهة أنه فوق العرش؛ بل يرد عليه من جهة الوجود إن صح الورود، فإنه يقال: والله والعرش موجودان؛ والموجودان إما متساويان أو مختلفان، فالله مساوٍ للعرش أو أكبر أو أصغر، وهو باطل؛ أو يقال الله والعالم موجودان، والموجودان إما متساويان، وأحدهما أكبر ويتعالى الله عن الفروض الثلاثة، فإما أن يكون الله غير موجود؛ أو يكون العالم غير موجود وهذا لازم كلامك لزوماً لا محيد عنه، والثاني قولك لو كان أكبر من العرش لكان مركباً ضعيف جداً، فإنه لو صح لصح أن يقال: لو كان لله علم ورحمة وحياة وحقيقة ووجود لكان مركباً من أعراض وجواهر؛ أو لكانت صفاته مركبة، والله يتعالى عن التركيب، فالله ليس له صفة؛

ولا جرم أن العلم غير القدرة؛ وغير الحياة، فالصفات أمور مختلفة متعددة، فيكون في ذات الله تركيب وأظن أنه قد خفي على فضيلتكم الفرق بين التركيب المنطقي الاصطلاحي، والتركيب اللغوي المعنوي، فالتركيب في اللغة هو أن يؤتى بأشياء متفرقة فتجمع كتركيب الساعة من آلاتها مثلاً كما قال تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾[1] أي جمعك من العناصر المختلفة المتفرقة، وأما التركيب المنطقي فهو تركيب اصطلاحي وليس معناه أن يكون المركب مفرقاً فجمع؛ فهم ـ مثلاً يقولون: الإنسان مركب من الحيوانية والناطقية، والفرس مركب من الحيوانية والصاهلية، ولا يعنون أن الحيوانية والناطقية، والحيوانية والصاهلية، كانت أموراً مفرقة فجمعت، ووضوح هذا لا يخفى، قال: أنتم ـ وإن دفعتم كل ما تقدم ـ فلن تدفعوا أنه لو كان فوق العرش لكان العرش حاملاً له!! وهذا من أبين المحالات، قلنا: لا يدل قولنا فوق العرش على أن العرش حامل له لا لغةً ولا عقلاً ولا عرفاً. بل نقول: إنه فوق العرش وهو الحامل له، ألسنا ترى السحاب ـ مثلاً ـ فوق الجبال ـ ولله المثل الأعلى ـ وليست الجبال حاملة السحاب، وكذا الشمس والقمر والنجوم فوقنا، ولسنا حامليها؛ ومثل ذلك كثير؛ فإذا كان لا يلزم استواء مخلوق على مخلوق أن يكونا متحاملين، فأنى يلزم علو الله على بعض خلقه أن يكون محمولاً له؟! وما أتاك هذا الزعم إلا من تمثيل الخالق بأضعف خلقه، فإنك لما أن رأيت الحيوان حاملاً من فوقه ظننت الله يكون كذلك إذا ما استوى على عرشه! وغاب عنك قوله: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧٤﴾[2] قال: ألا تذكرون أنه لو كان في جهة لكان محتاجاً إلى تلك الجهة؛ والله غني عن العالمين؟ قلنا له: خلق الله الخلق، وطالب العباد أن يعبدوه وعاقب وأثاب، وأعطى ومنع، وضر ونفع بغير فقر إلى شيء مما صنع؛ فكذلك استوى على العرش ولم يكن فقيراً إلى عرشه؛ ولا إلى أحد من خلقه، وما أجدرك إذاً أن تقول: قد أرسل الأنبياء وطالب العباد بإنفاق أموالهم ونفوسهم في سبيله، فهو فقير إلى ذلك؛ ما أضر أن يقاس الله على خلقه، قال: استقراره على العرش إما قديم، وإما حادث؛ الأول لا يمكن لأن

(١) سورة الانفطار، الآية: ٨٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٤.

العرش حادث والاستقرار على الحادث حادث. والثاني - أيضاً - لا يصح، لأن استقراره على العرش حينئذٍ يكون انتقالاً وحركة، قلنا بل نقول: إن استقراره على العرش - أي علوه - حادث كما قال في الكتاب العزيز: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[1] فالاستواء على العرش بعد خلق السمٰوات والأرض؛ واعتراضك المذكور باطل من وجوه:

الأول: لا يلزم ذلك استواءه، إذ يجوز أن يقال: كان على حالة واحدة وفي فضاء محض، فخلق العرش تحته، فكان مستوياً عليه استواء حادثاً بغير نقلة ولا حركة، ومثل ذلك لو فرضنا السماء قديمة في مكانها الآن، وكانت الأرض حادثة؛ كان استقرار السماء على الأرض حادثاً بلا انتقال ولا حركة، بل كانت السماء في الخلاء الذي هي فيه الآن، فخلق الأرض فكانت السماء فوقها.

الثاني: هب ذلك يدل على انتقاله، فما المانع من ذلك؟ وما الانتقال إلا كسائر الصفات التي تسلمونها له تعالى، له ما لها وعليه وما عليها؛ وقد صرحت النصوص بذلك في مواضع كثيرة، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[2] إلى آخر الآيات، وفي الحديث المتواتر (إن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا) وأخبار إتيانه للقضاء يوم القيامة متواترة الألفاظ، يقينية المعنى، ليس بين السلف في ذلك خلاف، وما في إثبات ذلك لله نقصان، فإن النزول والإتيان صفتا كمال ومدح وهما خير من السكون، وإذا كان عدم النزول عندك غير نقصان فالنزول أحرى ألا يكون نقصاناً، ووصف الخلق بالنزول والانتقال لا يقضي بألا يكون الله متصفاً به، وقد أسلفنا أن أغلب ما تعترفون به من صفات الله موصوف بها غيره؛ ولم تروا في ذلك بأساً؛ قال: لا ينتقل ولا يتحرك غير الأجسام. قلنا: أنت تصفه بالرحمة وبالحياة، وبالسمع والبصر؛ بل وبالرؤية؛ ولم تر ذلك موجباً أن يكون جسماً، فكذا صفة بالانتقال والحركة، ولو كلفنا العقول أن تفرق بين صفة الانتقال والحركة، وبين صفة الرحمة والإرادة من جهة جوازها على الله وامتناعها لما جادت بفرق، ثم قولك، لا ينتقل غير الأجسام غلط مبين، فإن

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.
(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

الكلام ينتقل ـ وكذا الأعمال ـ كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾(١) وليست الأعمال والكلام أجساماً، والأنوار تنتقل وليست عندكم أجساماً، وكذا الأمراض وغيرها؛ فالانتقال ليس من خصائص الأجسام، قال: استواؤه على العرش إما على سبيل الوجوب أو الجواز، على الأول تكون الجهة قديمة وتشارك الله في القدم، وما سوى الله حادث بالإجماع، وعلى الثاني يكون في الأزل بلا جهة، فيجب أن يكون على ما كان عليه أزلاً، وقد ثبت أنه في الأزل بغير جهة فهو الآن كذلك، وإذاً ليس في جهة لا وجوباً ولا جوازاً، قلنا له: قولك هذا يقضي بألا يخلق الله العالم، وألا يفعل شيئاً، إذ يقال ـ كما قلت ـ خلق العالم إما على سبيل الوجوب، أو الجواز، على الأول يجب أن يكون العالم قديماً، وأن يكون الله موجباً بالذات، وألا يكون مختاراً، وعلى الثاني يجب أن يكون على ما كان عليه أزلاً، وقد كان في الأزل بلا خلق فهو الآن كذلك، فالعالم ليس مخلوقاً لله، ولن يخلق ـ بعد ـ شيئاً، وهذا باطل بالاتفاق؛ وأيضاً قولك: لو كان في الأزل في جهة وجب أن يكون معه قدماء ضعيف للغاية، لأن المراد من أنه ـ أزلاً ـ في جهة أنه كان في فضاء محض، والفضاء المحض ليس مخلوقاً، لأنه أمر عدمي، فهو قديم، كما يقال عدم العالم قديم، وعدم الشريك لله قديم، وهلم جرا، فهل تقول في مثل هذا: إن مع الله قدماء؟! ولا يقول أحد من العقلاء إن الفضاء مخلوق، وإذا لم يكن مخلوقاً فهو قديم، قال: وأين كان قبل استوائه على العرش، قلنا: ليس من حقنا أن نجاوب هذا السؤال لأنا لا نقول: إننا نعلم كل شيء، ولكن نقول: إن الله الآن على العرش، وإنه استوى عليه بعد خلقه السمٰوات والأرض، على أننا نتبرع ونجيب السؤال، جاء في الحديث أن الصحابة قالوا للرسول: (أين كان ربنا قبل أن يخلق السمٰوات والأرض؟ قال: كان في عماء، ما فوقه هواء وما تحته هواء) قال: وأين كان قبل أن يخلق العماء والهواء؟ قلنا: كان حيث شاء ولا تظنن أننا نريد من قولنا حيث شاء أنه كان في شيء مخلوق مظروف فيه فيتوجه إلينا الاعتراض، بل نريد أنه كان في فضاء قبل أن يخلق شيئاً، والفضاء ليس شيئاً مخلوقاً، بل هو

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.

قديم كما سلف، وسؤالك المذكور شبيه بمن يعترض على خلق السمٰوات والأرض؛ فيقول: وماذا كان يخلق قبل خلقه السمٰوات والأرض؟ فيقال خلق العرش، والدخان، والماء الذي تحت العرش، فيقول: وماذا كان يخلق قبل ذلك؟ فسؤالك مثل هذا السؤال، وليس هذا سؤال علماء، وأنت على تفسيرك: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[1] باستولى يوجه إليك السؤال المذكور، فيقال: وعلى ماذا كان مستولياً قبل استيلائه على العرش؟ فالسؤال ـ إن كان صحيحاً ـ ورد على الجميع، وإن كان فاسداً انفردت به، قال: من قال إن ربنا في السماء فقد جعل له ظرفاً يحويه، ومن جعله كذلك فقد شبهه بخلقه ومن شبهه بخلقه فقد كفر، قلنا له: في كلامك مغامز:

الأول: كأنك تفهم من قولنا: هو في السماء إنه مظروف في الجسم المرئي لنا الذي نسميه سماء، وأن بعضه فوقه تعالى، وهذا خطأ، فالله فوق السمٰوات، وفوق كل شيء، وليس تحت شيء، ولا تخدعنك لفظة السماء، فالسماء في اللغة هو كل ما علاك ـ كما تقول كتب اللغة، فقولنا: إنه في السماء نريد أنه في الجهة العليا، ولا تحسبن الجهة التي نقول هو فيها شيئاً مخلوقاً، بل هي فضاء محض، فإن المخلوقات لها نهايات بالضرورة والإجماع، وهو تعالى حيث انتهت الخلائق ـ أي فوقها، قال: الجهة مكان، وكل مكان مخلوق، قلنا: ألست ترى أن كل مخلوق لا بد أن يكون في مكان؟ قال: بلى، قلنا: فالجهات على ـ قولك ـ مخلوقات، فلا بد أن تكون في مكان والمكان في مكان، إلى غير نهاية، وهذا يصادم المعقول، بل المكان الذي يعنى به الفضاء غني عن أن يكون في فضاء، قال: في هذا خفاء، قلنا له: نسألك سؤالاً يقرب المسألة: ألست ترى العالم ـ أي الخلق منتهياً ـ أي له حدود من جميع نواحيه ـ قال: بلى، قلنا: فالخلق منته من جهة العلو، قال: نعم، قلنا: فالله تعالى فوق هذا المخلوق المنتهي فوجم عند ذلك وهزّ رأسه.

الثاني: قولك فقد شبهه بخلقه، ومن شبهه بخلقه فقد كفر، هو إكفار بلازم المذهب على فهم المكفر، وهو غلط، فلو كان المرء يكفر بلازم مذهبه ـ وإن لم

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

يكن قائلاً باللازم، ولا فاهماً أنه لازم ما قال ـ للزم إكفار أغلب الأمة، فمثلاً إذا اطلع مسلم على حديث عن الرسول بسند ضعيف أو موضوع عنده فاعتقد أنه موضوع، وكان في الواقع صحيحاً؛ من كلامه عليه السلام، فقال هذا الحديث كذب يجب أن نكفر به، ولا يصح أن يقوله الرسول لأن معناه جهل لزم أن يكون هذا القائل كافراً بلازم قوله، لأن لازم هذا القول أن الرسول ﷺ يقول جهلاً وكفراً، إذا اختلف العلماء في مسألة فقال كل فريق يجب المصير إلى قولي؛ وقول الفريق المخالف ضلال؛ لزم تكفير أحد الفريقين، لأنه قد جعل الحق الذي هو حكم الله ضلالاً؛ وضلل الرسول ﷺ لزوماً، وهكذا يلزم تكفير كل من أخطأ في مسألة اجتهادية!! لأنه يتضمن اختيار مخالفة الحق واختيار مخالفة الرسول ﷺ فالتكفير باللازم اطراداً شنيع.

الثالث: أكثر العوام ـ بل كلهم ـ مؤمنون بأن الله في السماء؛ ولا سيما النساء، ولعل في منزل الشيخ من هو كذلك، إن لم يكن صدفهم عنه، لأن علو الله عقيدة فطرية، ومن نازع في ذلك فليسأل العوام الخلص، فإنه واجد ما أقول، فقولك هذا يقضي بكفر أغلب المسلمين!!

الرابع: قضيت بأن من آمن أن ربه في السماء فقد شبهه بخلقه، وهذا مبني على أن من وصف الله بصفة ثبتت لمخلوق فقد شبهه بخلقه؛ فمن قال: الله في السماء فقد وصفه بالعلو الحسي وللمخلوق علو كذلك فهو تشبيه، ولو كان هذا القول صحيحاً كان كل الناس مشبهاً؛ وكنت أنت أولهم أو آخرهم، لأنهم يصفون الله جميعاً بصفات وصف بها المخلوقون، فهم مشبهون على قولك هذا فما ترى؟

الخامس: قولك هذا ليس أصح من أن يقال من قال: الله لا في السماء ولا في غيرها فقد شبهه بالمعدوم، أو فقد جعله معدوماً، ومن جعله كذلك فهو جاحد ربه، وهل تقدر على ترجيح قولك على هذا، قال: إن العلو من لوازم الأجسام، ومتى ثبت لازم من لوازمها لشيء ثبت له كلها، فصار جسماً، ونحن لا نعلم جسماً غير مخلوق، قلنا في ذلك أمور:

الأول: لم يقل عاقل: إن العلو لا يكون إلا للأجسام، فإن الأعراض جميعها

تعلو تبعاً لما قامت به، وقد أسلفنا أن الكلام والأعمال ترفع إلى الله، وفي الأخبار الكثيرة عن رسول الله ﷺ أن الصلاة، والدعاء، والصيام تعرج إلى الله، وفي الحديث الصحيح: (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء) وإذا أنزل جاز ارتفاعه، والأرواح تصعد إلى السماء بالاتفاق - وهي عند طوائف من أهل العلم أعراض وهذا كثير.

الثاني: قد جعلت العلو من لوازم الأجسام ولم تجعل العلم والحياة وسائر الصفات من لوازمها، ولا فرق بينهما، فإما أن تبطلها جميعاً، أو تقرها جميعاً، وإلا ارتطمت في التناقض؛ والتفريق بين صفة العلو والصفات التي تسلمونها لله من جهة جوازها على الله ومنعها غلط لا حيلة فيه، وليس بقادر أحذق الناس أن يرينا فرقاً.

الثالث: قلت: ونحن لا نعرف جسماً إلا مخلوقاً، فالأجسام كلها مخلوقة إذاً، وهذا غير جيد، لأنه يقال لك وكذا لم تعرف موجوداً إلا جوهراً أو عرضاً، فقل: إن الله أحدهما ولا تعرف موجوداً إلا في جهة فقل: إن الله في جهة، ومقالتك هذه من قياس الله الغائب على خلقه الشاهد، وإذا اتبعت ذلك القياس لم يستقم لك عقيدة ولا دين، فهل تعلم فاعلاً إلا يرجو فائدة في فعله، أو دفع مضرة إلا أن يكون سفيهاً؟! والله فاعل، فهل هو كذلك؟ ولو شئت لأكثرت لك الأمثال، قال: لو كان فوق العرش لكان الجانب الذي يلي جانب العرش الأيمن غير الجانب الذي يلي جانبه الأيسر، وكذا جانبا الخلف والأمام. وإذا كان كذلك كان مركباً قلنا ليس هذا أصح من أن نقول: لو لم يكن في السماء ولا غيرها لكان معدوماً، ولو كان فاعلاً كان محلاً للأعراض، ولكان مركباً من الفاعل - أي الذات، ومن الفعل - أي المصدر، ولو كان له رحمة وصفة لكان مركباً من تلك الصفة ومن الذات، فالاعتراض الذي ذكرت ليس وارداً على علوه فحسب، بل على الصفات كلها، بل على الإيمان بوجوده تعالى. إذ يقال: لو كان موجوداً لكان يمين نفسه غير شمالها، فهو مركب، أو يقال هو موجود، فإما صغير وإما كبير، وفي البداهة هو كبير، وإذاً هو مركب من الأجزاء التي تحقق بها الكبر، فاتق الله ودع الاعتراضات التي تؤدي باليقين، ولعمر الله لو صدق ما ذكرت لبطل الدين، وقولك إنه يكون مركباً إذا كان له جوانب إما أن تريد أنه

يكون هنالك من ركبه بعد أن كان مفرقاً، وإما أن تريد أنه يكون له جوانب فقط إن أردت.

الأول: كان باطلاً ولا شك؛ ومن أين وصل إليك أنه إذا كان له يمين ويسار فلا بد أن تكون قد جمعت بعد أن كانت مفرقة؟ لا فرق بين هذا الزعم، وبين أن تزعم أن الموجود لا بد أن يكون بعد أن كان معدوماً، فأنت تقول لا بد أن تكون اليسار واليمين معدومتين فأوجدتا، وصاحب هذا المزعم يقول: لا بد أن يكون الموجود معدوماً فأوجد، والقولان فاسدان، على أنهما سواء، وإن أردت.

الثاني: كانت المقدمة هي النتيجة، ورجع تعليل الكلام إلى: إذا كان لله جوانب فله جوانب؛ وهو كلام لا فائدة فيه، ومع هذا وما سبق كله لا عليك أن تزعم لنفسك السبق في المنطق وفن الجدل، ثم قال: إنه لم يقل أحد من المسلمين: إن الله على العرش أو في السماء غير ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والوهابيين، وإلا فالمسلمون قبل خروج هؤلاء مجمعون على تنزيه الله عن الجهة، قلت له: لقد جرت جوراً بيّناً؛ وكأن فضيلتكم ليس لكم إلمام بما كتب الأولون، ولم تقرأ غير كتب الأزهر وحواشيها، وإلا لم تصادم هذه الحقيقة الجلية، إن المسلمين كانوا مجمعين على أن الله في السماء قبل ظهور أهل البدع من المعتزلة والأشعرية، وهاك شهادات علماء المسلمين الذين سبقوا ابن تيمية بأزمان، قال ابن رشد في كتابه الموسوم: (بفلسفة ابن رشد) وهو كتاب مشهور مطبوع «القول في الجهة؛ وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية، وظواهر الشرع كلها تقضي بإثبات الجهة» فذكر بعض النصوص في ذلك ثم قال: «إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولاً، وإن قيل فيها إنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابهاً، لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء، وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ وجميع الحكماء قد اتفقوا أن الله والملائكة في السماء، كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك، والشبهة التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، وإثبات المكان

يوجب إثبات الجسمية، ونحن نقول إن هذا كله غير لازم» فنقض الشبهة وذكر كلاماً قال بعده: «فقد ظهر لك من هذا إن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل، وأنه الذي جاء به الشرع وانبنى عليه، وإن إبطال هذه القاعدة إبطال للشرائع» هذا بعض ما ذكره عالم المغرب قاضي القضاة في عصره، الإمام المالكي محمد بن رشد، وهو متوفى قبل أن يولد ابن تيمية وتلميذه وقبل أن يعرف الوهابيون، وقال أبو الحسن الأشعري الذي تزعم أنت وإخوانك أتباعه في العقيدة، في كتابه المعروف (بمقالات الإسلاميين) «ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة» فذكر شيئاً من أقوالهم إلى أن قال: «وإن الله على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى» وقال في نفس الكتاب المذكور تحت عنوان: (هل الباري في مكان) «قال أهل السنة وأصحاب الحديث: إنه ليس بجسم ولا يشبه الأشياء، وإنه على العرش كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝﴾ ولا نتقدم بين يدي الله بالقول بل نقول استوى بلا كيف، وقالت المعتزلة استوى على العرش بمعنى استولى» وقد بيَّن هذه المسألة تمام البيان ورد على المنكرين ذلك في كتابه المعروف (بالإبانة ـ في أصول الديانة) وهذا الكتاب مطبوع. قال في باب الاستواء منه: «فإن قال قائل ما تقولون في الاستواء قيل نقول: إن الله مستو على عرشه» وذكر الآيات في ذلك، قال: «ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله مستو على العرش الذي هو فوق السمٰوات؛ فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، وقال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى استوى استولى وملك وقهر؛ وجحدوا أن يكون على عرشه؛ كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان كما قالوا لكان لا فرق بين العرش وبين الأرض السابعة، لأنه قادر على كل شيء، فالله قادر عليها وعلى الحشوش، وكذا لو كان الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز أن يقال: هو مستو على الأشياء كلها؛ ولم يجز عند أي أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستو على الأخلية والحشوش؛ فبطل أن يكون الاستواء الاستيلاء» فما رأى مولانا في الإمام الأشعري؟ وفيما قال؟! وكيف يجسر بعد هذا أن يدعي أنه أشعري؟! وكيف يقول: إنه لم يعتقد هذه العقيدة أحد قبل ابن تيمية؟! وقال الإمام القرطبي المفسر المشهور في تفسيره عند قوله

تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[(١)] «قد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله كما نطق كتابه، وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أن استواءه على العرش حقيقة» قال أبو عيسى الترمذي في سننه المشهورة عند حديث لو أدليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله ـ والحديث ضعيف «قال أهل العلم أراد لهبط على علم الله، وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه» وروى الإمام البيهقي في كتاب الصفات له وهو كتاب مطبوع «أن الإمام أبا حنيفة سئل أين إلٰهك الذي تعبد فوضع كتاباً قال فيه: إن الله عز وجل في السماء دون الأرض؛ فقال له رجل أرأيت قول الله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ قال هو كما تكتب إلى الرجل إني معك وأنت غائب عنه» قال البيهقي بعد أن روى ذلك «لقد أصاب أبو حنيفة وتبع مطلق السمع بأن الله في السماء» وروى الإمام الذهبي أن أبا حنيفة قال: من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾[(٢)] قال الذهبي روى هذا عنه صاحب الفاروق؛ وروى أيضاً الذهبي في كتاب العلو له عن أبي حنيفة: (أنه قال من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر)، وقال ابن عبد البر إمام الأندلس في عصره في شرحه لموطأ الإمام مالك لما ذكر حديث النزول «وفيه دليل أن الله في السماء على العرش، فوق سبع سمٰوات؛ كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة وهذا أعرف من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم»؛ وقال أيضاً: «أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[(٣)] هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله» وقال الإمام ابن جرير في تفسير قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[(٤)] من سورة البقرة «والاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه، منها العلو والارتفاع، كقول القائل: استوى فلان

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة طه، الآية: ٥.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

على سريره، يعني به علوه عليه، وأولى المعاني بقوله الله ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ علا عليهن وارتفع، قد برهن بقدرته، والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الذي هو بمعنى العلو والارتفاع، هرباً من عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إذا تأوله بمعناه المفهوم» الخ ما قال؛ وقد روي في تفسير الآية عن الربيع بن أنس أنها بمعنى ارتفع، وذكر في آية: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في جميع المواضع أنها بمعنى علا وارتفع، وقال الإمام البغوي في تفسيره عند قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ «قال الكلبي ومقاتل استقر؛ وقال أبو عبيدة صعد؛ وأول المعتزلة الاستواء بالاستيلاء وأما أهل السنّة فيقولون صفة لله بلا تكييف يجب الإيمان به» وقال في قوله ثم ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ «قال ابن عباس وغيره ارتفع إلى السماء» هذا ما قاله بعض أئمة الإسلام، وكل هؤلاء قبل ابن تيمية ولو شئت لذكرت لك الشيء الكثير، وقد ألف في ذلك الذهبي كتاباً خاصاً سماه «العلو للعلي الغفار» وكذا ابن القيم كتاباً سماه (اجتماع الجيوش الإسلامية) نقلاً عن جميع الأئمة المتبعين وأكثر علماء الإسلام الذين اجتمعت الكلمة على مدحهم أن هؤلاء كلهم مؤمنون بأن الله فوق عرشه؛ فكيف صح لك أن تدعي أنه لم يسبق ابن تيمية أحد من المسلمين بذلك؟! قال أنتم إما أن تعتمدوا كل النصوص فتؤمنوا بأن الله في كل مكان كما تواردت على ذلك النصوص، مثل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[1] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾[2] وقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[3] وأما ألا تعتمدوا من ذلك شيئاً. فلا تأخذوا من قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[4] وأمثالها أن الله في السماء، وإلا وقعتم في التناقض، قلنا له جواب هذا من وجوه:

الأول: إما أن تدل الأخبار التي ذكرت على أنه في كل مكان أم لا تدل، فإن لم تدل بطلت الشبهة رأساً، وإن دلت، فإما أن يأتي برهان عقلي أو نقلي

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٥.
(٤) سورة طه، الآية: ٥.

يدل على فساد ظاهرها أم لا يأتي، إن كان الأول: ـ فهذا البرهان هو الذي صرفنا عن أن نؤمن أنه تعالى في كل مكان، ونحن تبع البرهان؛ وأما إن كان الثاني: ـ بألا برهان يمنع من ذلك، قلنا وجب عليكم أن تؤمنوا بمقتضى ذلك. فتؤمنوا أنه في كل الأماكن، وإن لم تفعلوا كنتم مخطئين، ونحن إذا لم نؤمن بذلك لم يبرر عدم إيمانكم؛ ونحن أقل منكم خطأ ومخالفة حينئذٍ إذ نكون قد غلطنا في مسألة واحدة وهو أنه في الجهات غير السماء بل قلنا: إنه في السماء فقط؛ والواقع أنه في السماء وغيرها، وأنتم غلطتم في مسألتين، أو نقول: نحن سلمنا أخبار العلو وأولنا غيرها ـ والواجب ألا يؤول شيء، وأنتم أولتم الجميع فأنتم أكثر خطأ. ولا يحل أن تنكروا علينا فيما آمنا به من الحق. بل أنكروا علينا ما رددناه منه، وهذا برهان آتٍ على الشبهة من أساسها وقد خاطبت به كثيراً فنفع.

الثاني: يقال هذا غير نافع في المطلوب الذي هو إبطال علوه؛ وإنما غايته أن نكون مخطئين إذ لم نقل: إنه في كل الأماكن وهو لا يدل على خطئنا إن قلنا: إنه على عرشه؛ ومن أخطأ في مسألة وأصاب في أخرى، لم يقل له أخطأت في الذي أصاب فيه، وإنما يقال له أخطأت حيث أخطأ، وأصبت حيث أصاب.

الثالث: قام الإجماع بيننا على أنه ليس في كل الأماكن، وأن الأخبار في ذلك مؤولة فاتبعنا الإجماع، واختلفنا في أخبار علوه على عرشه ولم نجد برهاناً يدفعنا على تأويلها فاتبعناها وقلنا: إنه في السماء.

الرابع: أجمع السلف والخلف على أن الله منزه عن الاستقرار في الأحياز جميعها إلا شراذم من اتباع الجهم بن صفوان، وقد أجمع السلف على تضليله، فوجب تأويل النصوص احتراماً لإجماع المسلمين، فهم لا يجمعون على ضلالة، وأما أخبار علوه فليس ما يدفع إلى ترك ظاهرها، بل قد أجمع السلف ـ قاطبة ـ على الإيمان بظاهرها وتغليط من لم يؤمن بها كما أسلفنا.

الخامس: بالضرورة من الدين والعقل أنه لا يمكن أن يكون الله في جميع الأماكن من المآخير وبيوت الفساد والدناءة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

وتقدس، فإن كان ثم نصوص يومئ ظاهرها إلى ذلك وجب تأويلها، ولا شك.

السادس: غاية الأمر أن هذه الأخبار معارضة أخبار علوه فتحتم الترجيح، فنظرنا فوجدنا الأقوى الأحق بألا يؤول أخبار العلو لعدة أسباب: كثرتها وظهورها في ذلك، وموافقتها الإجماع، وموافقتها العقل، وموافقتها رفعة الرب.

السابع: الإخبار على أنه في جميع الأماكن غير بينة فيما ادعيتم، وخذ مثلاً قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ فإله ـ على وزن فعال ـ بمعنى مألوه على وزن مفعول، ككتاب أي مكتوب، والمألوه هو المعبود فيعود معنى الآية إلى أنه معبود في السماء وفي الأرض، ومثل هذا لا يدل على أن الله موجود في السماء وفي الأرض، وغايته أن يفيد أنه معبود فيهما ـ كما إذا قيل مطاع في كل مكان؛ أو محبوب في كل مكان؛ مثل قولك: الأمير مطاع في كل بلاده، ومعظَّم في أنحاء مملكته، وسره أن فعالاً ـ أي مفعولاً ـ دال على ثلاثة أشياء: فعل وفاعل ومفعول، والمكان يكون ظرفاً للثلاثة ـ سواء أكان بالنظر إلى تعلقه بالفاعل، كقولنا رأينا الشمس في الغرفة؛أم بالنظر إلى تعلقه بالمفعول كقولنا رأينا الشمس في السماء، أم بالنظر إلى الاثنين، كقوله عليه السلام دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً أي رأيت وأنا في الجنة قصراً في الجنة. وخذ مثلاً آخر قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ يقول المخالفون ظاهر الآية استقراره في كل مكان، وليس كذلك فإنها على تسليم أن الوجه هو وجه الله لا قبلته ـ كما قاله بعض السلف والخلف ـ لا تدل على ما قالوا؛ وأفهم ذلك من قول القائل أينما تلتفت تبصر السماء أمامك، فمثل هذا لا يدل على أن السماء في كل مكان وإنما يدل على أنها محيطة بالرأي وليست الإحاطة استقراراً في كل حيز؛ وأقصى ما يؤخذ من الآية أن يكون محيطاً بالخليقة؛ هو لا يلزمه الحلول؛ فالسماء والعرش والكرسي محيطات بالأرض وليست في كل حيز، وليس محالاً أن يكون الرب محيطاً بالعالمين كما قال ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾[1] وانظر إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ لا تدل دلالة

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٦.

ظاهرة على أن الله مستقر في السماء والأرض؛ لأنه يجوز أن يكون الظرف ـ أي في السمٰوات وفي الأرض ـ معمولاً لقوله ـ يعلم ـ وتكون الجملة خبراً عن (هو) أو عن (الله) أو استئنافاً، والمعنى أنه يعلم سركم وجهركم في كل مكان لا إنه في كل مكان، وحينئذ يعود الكلام إلى الكلام في الآية الأولى، هذا نموذج تقيس عليه ما لم تسمع، ثم أي عربي يفهم من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[1] وقوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[2] وأمثال ذلك أنه في جميع الجهات؟! اللهم أنه لا يفهم أحد ذلك أبداً، بل هو كما جرت عادة العرب في مخاطباتها يقول الرجل لرجل يريد مناصرته وهو عنه ناءٍ بعيد: أنا معك؛ نظير قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[3] وقوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾[4] ولا قيمة لمن يلهج ويقول: حقيقة ومجاز، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز، فذلك كلام باطل في الدين وفي أساليب الكلام؛ والذي يلزم مراعاته في الخطاب هو ما يبدر إلى أذهان المخاطبين به.

الثامن: هب هذه الأخبار تدل على ما قلتم، وهبنا وافقنا ظاهرها، وقد قال ذلك الجهمية من قبل؛ فليس بالإمكان في الخطأ من قولكم لا فوق ولا تحت، ولئن كان هذا القول فاسداً لا يكونن قولكم أعظم فساداً، ولن تستطيعوا أن تفسدوه بدليل صحيح وأنتم على عقيدتكم إنه لا يشار إليه في جهة فتبين أن نفي علوه بالقرآن الكريم واهن جداً. قال: قد أخبر القرآن في غير ما آية أنه تعالى لا يشبهه شيء كما قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾[5] وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[6] فلو كان فوق العرش لكان مثل المخلوقات في صفة الاستواء والكون في الحيز، قلنا له هذه الشبهة فاسدة لأوجه:

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٢) سورة طه، الآية: ٤٦.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢.
(٦) سورة الشورى، الآية: ١١.

الأول: تنتج ألا يوصف الله بصفة ما: لا علم ولا حياة ولا وجود ولا غيرها، لأن هذه الصفات قد وصف بها المخلوق؛ فلو وصف الله بها لكان مثلها، وإذاً الشبهة باطلة لإنتاجها هذه الأباطيل.

الثاني: ولو كان يلزم اجتماع الموجودين في وصف تساويهما بحيث لا يصح أن نقول: ليس هذا كذاك، للزم استواء المخلوقات كلها، وكذب أن يقال: ليس هذا المخلوق كذاك المخلوق. فيكذب قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾[1] وقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[2] ولما صح أن نقول: ليست النملة كالجبل، وليست البعوضة كالأسد؛ والفيل؛ بل صح أن تقولوا: إن الذرة الصغيرة المريضة مثل جميع المخلوقات وأن أبا بكر الصديق كأبي جهل وأبي لهب، وأن موسى كفرعون وقارون، لأن هذه الأشياء قد اجتمعت في وصف ما: ولا أظن عاقلاً يصحح قولاً يصحح هذه الأكاذيب.

الثالث: قول القائل هذا الشيء ليس كذاك الشيء لا يلزمه إنهما لا يجتمعان على صفة، وبيننا وبينكم لسان العرب؛ قال النابغة يمدح النعمان:

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه

وقال امرىء القيس يمدح نفسه:

عليها فتى لم تحمل الأرض مثله

وقالت الخنساء:

وما يبكون مثل أخي ولكن

وقال الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملكا

إلى غير ذلك من كلام العرب، فهل هم يرون أن من يمدحون لا يجتمع هو والعالم في صفة ما؟!

الرابع: إذا رجع بكم الاستدلال إلى القرآن فقد قرب بعدكم؛ فإن الأخبار

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٨.

التي ظاهرها علوه تعالى أكثر وأبين من الأخبار التي جعلتموها دليلاً على سلبه هذه الصفة، ووجب المصير إلى الأكثر الأبين.

الخامس: لئن لزم علوه مماثلته لمخلوق ليلزمن من نفيه أشنع من ذلك. وهو أن يماثل المعدوم الذي لا يكون، وليلزمن مشابهته الحقائق الكلية كالإنسانية والحيوانية، فهي لديكم موجودة في الأذهان لا في الأعيان، ولا يمكن أن يشار إليها في جهة، فقد فررتم من شنيع - بزعمكم - إلى أشنع.

السادس: زلت أقدامكم حينما جعلتم نفي التماثل ينفي التوافق في أصل المعاني، أو في بعض المعاني؛ وهذا خطأ بلا مرية فتماثل الأشياء - في اللغة - هو تساويها - في الأصل - من جميع الوجوه، ولا يكون التماثل موجوداً - حقيقة - بدون ذلك، فإذا كان زيد موجوداً وعمرو كذلك، لم يكونا متساويين؛ بل يصح أن يقال زيد ليس كمثل عمرو؛ هذا شيء لا يعلق به خلاف، كما أنه لم يلزم من وجود الله مع وجود خلقه أن يكون مثلاً له.

السابع: لو صح ما قالوا وبطل كل ما قلنا لوجب تخصيص علوه تعالى من نفي المماثلة بالأخبار في ذلك، وبإجماع السلف، فهم أعلم بما يجب لله وبما يجوز له منا، وقد ذكرنا إجماعهم، قال: قد ثبت بالبراهين أن الأرض كروية؛ بل العالم كله كروي، وإذا كان كذلك لم يكن هناك علو مطلق، بل يكون العلو والسفل والجهات كلها إضافية - فما كان عالياً - بالنسبة إلى شيء - كان سافلاً - أو في جهة أخرى - بالنسبة إلى شيء آخر، فلا يمكن أن يكون الله فوق كل شيء! إذاً، بل لا بد أن يكون تحت بعض خلقه، وإذا كان سبحانه فوقنا كان تحت الذين تحتنا من الجهة الأرضية الأخرى المقابلة لنا، وأنتم لا تقولون - ولا غيركم - إن الله تحت شيء، أو أنه فوق شيء دون شيء؛ وإذا لا يمكن أن يكون فوق للزوم هذا الباطل، قلنا له هذه شبهة ضعيفة، وأظن أنكم قلدتم الرازي فيها فقد ذكرها في بعض كتبه، وجوابها من وجوه:

الأول: علمنا أن الموجود لا بد أن يكون في جهة من الموجود الآخر أقوى وأظهر من علمنا بما تقول - من أن الجهات إضافية - وأن العالم كروي، وأن ما كان أعلى بالنسبة إلى شيء فهو أسفل بالنسبة إلى شيء آخر مع ما يلزمه من

الفساد؛ والأمر لا يبطل بأضعف منه؛ فالعقلاء يعرفون معرفة ضرورية أن من لا يشار إليه في إحدى الجهات ليس موجوداً وإن كل موجود لا ينفك عن أن يكون في إحداها، وأما كروية العالم وما يستتبعه من الباطل الذي ذكرتم فعلمهم إياه علم نظري اكتسابي؛ ومن ينقض العلم الضروري بالنظري؟!

الثاني: أن يكون فوق، ويمين، وشمال ـ على الصفة المذكورة ـ أقرب إلى المعقول والمنقول من أن لا يكون في جهة، فإنه ليس في ذلك نقص ولا مخالفة نص، وقد أخبر القرآن الكريم أنه تعالى محيط بكل شيء قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾(١) وقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾(٢) وأما قولكم فليس عليه إثارة من نقل أو عقل، ولا تقولن: كيف يجوز أن يكون محيطاً بخلقه ذاهباً خيالك في ذلك مذاهب، مقدراً أنه يلزمه أن يكون كذا وكذا فالله ليس كمثله شيء، وما أضل الناس مثل تمثيلهم الخالق بالمخلوق! وإنك ـ إن جريت خلف الوساوس ـ لم يبق معك علم ولا دين، وقال لك خيالك: لو كان الله موجوداً لكان كيت وكيت، ولو كان له صفة لكان جسماً ولو كان جسماً، لكان ذا حدوده ولكان مؤلفاً من الجواهر، وقد قال الله ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾(٣).

الثالث: ليس النزاع على الألفاظ؛ والذي نزعمه أن الله فوق عرشه كما قال؛ فإن كان يلزمه أن يكون تحت بعض خلقه؛ أو ألا يكون فوق كل الخليقة فلا يضرنا ذلك، ولا ينفي أن يكون مستوياً على العرش كما صرح به كتاب الله وما لزم الحق فهو حق مرضي.

الرابع: الإلزامات في حق الله باطلة ـ على مذهبك ومذهب إخوانك؛ فكيف تلزمنا بها لندع النصوص؛ أنتم تقولون: إن الله ليس بجوهر ولا عرض، ولا يخلو موجود من أحد الأمرين ـ ما خلا الله؛ وتقولون: العلم والرحمة وسائر صفات الله ليست أعراضاً ـ ولا تكون في غيره إلا إعراضاً باعترافكم؛ وتقولون: ليس بمتصل ولا بمنفصل من العالم؛ ولا مركب ولا بسيط، ولم تروا هذا محالاً، ولا دالاً على نفيه، فكذا يمكن أن نقول إن الله فوق العالمين؛ وليس فوقه منهم شيء، وإن كان

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٥.
(٣) سورة النحل، الآية: ٧٤.

العالم كروياً، ولو كان ذلك لا يتأتى لغيره، وتدبر هذا جيداً.

الخامس: العلو ما ضاد الجذب؛ والسفل هو ما وافقه، فما كان حيث يكون الجذب فهو أسفل؛ وما كان عكسه فهو أعلى، فإذا كان شيء ضد الجذب ـ بالإضافة للعالم كله ـ فهو فوق العالم كله؛ وليس تحت شيء من العالم؛ واعتبر ذلك بطبقات البيت. فالطبقة الأخيرة من جانب السماء فوق جميع الطبقات وليس فوقها شيء منه؛ والسماء فوقنا، والأرض تحتنا، لأجل السبب الذي ذكرت؛ ولو أن شيئين نزلا من جانبي الأرض المتقابلين، والتقيا في المركز الأرضي لم يكن أحدهما فوق الآخر ولا تحته لفقد التجاذب أو لتعادله؛ فالأرض تحتنا إلى حيث ينقطع الجذب، وما بعد الجذب من الجانب الآخر فوقنا، أي إن طبقات الأرض تحتنا إلى المركز الأرضي، وما بعد المركز من الطبقات هو فوقنا، فالسماء والشمس والقمر والكواكب كلها فوقنا لهذا السبب، وهذا لا خفاء عليه، فقولك: كل ما هو فوق فهو تحت غلط؛ فإذاً لا يتوجه الاعتراض الذي ذكرت على علوه.

السادس: هذا معارض بالأجرام العلوية؛ فإن هذه كلها فوقنا بإطلاقات الشارع؛ وإطلاعات العرب والفلاسفة، وجميع الناطقين، ولم يقل أحد منهم إن شيئاً منها تحتنا ـ مع أن الاعتراض المذكور جار عليها، فالذين يعلمون أن السماء محيطة بالأرض يقولون إن السماء فوق الأرض، ولا يقول أحد منهم خلافه، فهذا يدل على أن مثل ذلك لا يقضي بأن يكون تحت؛ بل هو فوق وإن كان القول المذكور وارداً عليه بدليل كلام العرب، وخطاب من برهنوا على أن العالم كروي.

السابع: أخبر القرآن والحديث وجميع كتب الله بأن الله فوق عباده، والله ورسله يعلمون ما تقولون من صفة العالم وما يلزمها، ولم تخبر أنه تعالى تحت شيء من ذلك، وكلام الله ورسله حجة على كلامكم وكلام العرب.

الثامن: هذا الاعتراض المذكور وارد على الموجود من حيث هو، فإنه يقال: الله موجود، والعالم موجود، فإما أن يكون في كل جهة أو في بعض الجهات إلى آخر الاعتراض فما قلت إن كان صحيحاً ورد على الجميع والله أعلم، وهنا انتهت المناظرة بيننا وبين الشيخ المحترم.

البراهين على علوه تعالى

البرهان الأول: الأقوال في هذا المسألة أربعة، أو القسمة العقلية رباعية: إما أن يقال إنه تعالى في كل مكان، أو ليس في مكان، أو في جهة العلو فقط، أو في جهة غير العلو، والأقسام ـ ما عدا الثالث ـ باطلة ـ كما ترى. أما الأول ـ وهو أن يكون في كل مكان ـ فبطلانه من وجوه:

الأول: المنازع مسلم أنه ليس كذلك. فلا خلاف بيننا وبينه أنه ليس في كل مكان.

الثاني: هذا خلاف إجماع العلماء المهتدين، وإجماع الرعيل الأول، بل خلاف إجماع المسلمين قاطبة، لم يقله إلا الجهم بن صفوان وأتباعه؛ وقد اتفق المعاصرون لهم ـ من محدثين وفقهاء ـ على أنهم زائغون. نقل هذا الحكم عليهم أئمة المحدثين مثل البخاري كما في كتابه: (خلق أفعال العباد) وابن الإمام أحمد في كتاب (السنّة) والبيهقي في كتاب (الصفات) له والإمام أحمد في رده على الجهمية، وابن خزيمة وغير هؤلاء من أئمة الحديث والسنّة، وإجماع المسلمين لا تصح مخالفته بحال ما؛ فإن الأمة الإسلامية لا تجتمع على ضلالة، ولا يجوز أبداً أن تتفق الصحابة والأئمة الأربعة وغيرهم على الضلال، ولقد نقلوا عن الجهم بن صفوان أنه سمع مرة ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[1] فأخذ المصحف فطرحه أرضاً وداسه برجله وقال لو وجدت سبيلاً إلى حك الآية لحككتها من المصحف، وحدثوا عنه أنه كان يشخص إلى المجذومين والمصابين فيقول آلرحمن الرحيم يفعل كذلك؟! ينكر أن يكون الله رحيماً، وكان من مذهبه أن العباد مجبرون كالجمادات لا فعل لهم ولا كسب، وكان لا يرى لله حكمة،

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

ويقول إن الله ليس بشيء يجوز أن يعذب الأنبياء والمرسلين ويدخلهم النار، وينعم الكافرين والمتنبئين ويخلدهم في الجنان، وعنده من عيون الضلال شيء كثير، ومثل هذا لا يلتفت إلى خلافه بل خلافه زيادة في ضلاله.

الثالث: يعرف كل عاقل ـ ضرورة ـ أنه ـ عز سلطانه ـ ليس في جميع الأماكن من المآخير وحوانيت الخمر وسائر المواضع التي يتقدس عنها أماثل الخلق؛ ومن زعم ربه كذلك فقد اجترم جرماً كبيراً.

الرابع: لو كان الأمر كذلك لكان ممزوجاً بالخليقة، حالاً فيها حالة فيه وأي عاقل يرضى لربه ذلك؟!

الخامس: لو كان كذلك لكان تحت الخلق أسفل من أسفلهم تحت أقدامهم، وكان يجوز لنا أن نقول: إنه تحتنا، وهذا من الوحشة ومخالفة الدين والإجماع كما ترون.

السادس: لو كان كذلك لكان يزيد وينقص: يزيد بنقص المخلوقات المالئة للفضاء ينقص بزيادتها، تقدس عن الزيادة والنقصان.

السابع: لو كان كذلك لكان متقسماً مفصولاً بعضه من بعض بتخلل الخليقة في ذاته وملابستها له.

الثامن: لو كان كذلك لكان غير متناهي الأطراف، بل كان يكون امتداده من جميع النواحي ليس منتهياً، وهذا باطل، ولو جاز في المعقول لجاز أن يكون العالم غير منته وجاز أن تكون السماء أو الأرض أو القمر والشمس أو مخلوق آخر ليس منتهياً، وهذا لا يرضاه المنازعون.

التاسع: لو كان كذلك لكان لا معنى للأخبار مثل قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾[1]؛ ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾[2]؛ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾[3]؛ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

ٱسْتَوَىٰ﴾[(١)]؛ ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[(٢)]؛ ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[(٣)]؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾[(٤)]؛ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[(٥)] وقوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا ثلث الليل الآخر» وغيرها من النصوص الدالة على أنه في جهة فقط!

العاشر: كفروا النصارى لما قالوا إن الرب حل في بطن مريم وكفروا العرب لما قالوا: إن الملائكة تحل فيه تعالى، فما الحال فيمن قال إنه تعالى في جميع البطون أو فيه جميع البطون، هذه وجوه عشرة تنفي أن يكون الله في كل مكان والأمر أوضح من أن يستشهد له.

وأما القسم الثاني: وهو أن يكون لا في مكان أي لا فوق ولا تحت ولا خلف إلى آخر، فينقضه وجوه:

الأول: هذا مردود بالضرورة من غير تفكير، ومن غير مقدمات واستنتاج، فالعقول ـ على اختلافها ـ لا تقوى أن تؤمن بوجود مثل ذلك؛ ولا تستطيع أن تدرك أن هناك موجوداً قائماً بنفسه له كل صفة كمال ليس في جهة من الجهات المفروضة والمتوهمة، والذين يقولون إنهم مقتنعون بذلك يكذبون محدثيهم: خاطب من أردت ممن لم يلقن هذه المقالة ويكره عليها إكراهاً، وانظر هل يمكن أن يقبلها وأن يصدقك؛ لن يكون ذلك مهما اجتهدت في تبلغيها وتحسينها له؛ من أجل ذلك نجد الذين لا يقرأون هذه الكتب ـ من أهل المدارس وعامة الناس ـ عقيدتهم خلاف ذلك، والمخالفة في الضروريات غير جائزة.

الثاني: من الأحكام الثابتة عند العقلاء ـ بل عند جملة الناس ـ أن الأمرين المتناقضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، فلا يكون الشيء الواحد لا متصلاً ولا منفصلاً ولا قريباً ولا بعيداً ولا موجوداً ولا معدوماً ولا متحركاً ولا ليس بمتحرك، لا يكون ذلك أبداً؛ فهم يعلمون أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان،

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.

(٥) سورة النحل، الآية: ٥٠.

فمن قال: إن الله ليس في جهة فقد خالف تلك الضرورة، والخلاف في الضروريات هوس.

الثالث: لو صح ذلك لصح أن يقال إن الله تعالى لا موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا كبير ولا صغير ولا عالم ولا جاهل ولا خالق ولا ليس بخالق ولا قديم ولا حادث فراراً مما فروا منه ولا يوجد دليل عقلي أو نقلي يبطله إذ قد جوزوا ارتفاع النقيضين، وإذا جاز ارتفاع نقيضين جاز ارتفاع غيرهما، والمقالة التي تصحح أن نقول: إن الله ليس موجوداً ولا معدوماً ولا حياً ولا ميتاً ولا عالماً ولا جاهلاً ولا رحيماً ولا قاسياً مقالة سفيهة.

الرابع: لو سلمت تلك المقالة لسلم - عقلاً - أن يقال: العالم ليس موجوداً ولا معدوماً ولا فانياً ولا ليس بفان ولا قديماً ولا حادثاً، ولسلم أيضاً أن يكون مخلوق لا في جهة من الجهات ولا بصغير ولا كبير ولا قريب ولا بعيد ولا جوهر ولا عرض، وهذا ضرب من الجنة.

الخامس: يقول أئمة هؤلاء - كالرازي والآمدي - في الحجة على كون العالم مخلوقاً: إنه في الأزل إما أن يكون متحركاً أو ساكناً لا يخلو من أحدهما؛ ويقولون: الأجسام لا تخلو من الحركة والسكون، والحركة والسكون شيئان وجوديان حادثان، وما لازمه الحادث فهو حادث، فالأجسام - أو فالعالم حادثة؛ هذا رئيس أدلة رؤسائهم على هذه المسألة العظيمة، وقد رأيت أن دليلهم لا يبقى لهم إلا إن بقي لهم أن العالم إما أن يكون متحركاً أو ساكناً، وثبوت أحد الأمرين يثبت برهانهم؛ لكن على تقدير جواز ارتفاع النقيضين كما يقولون: في القديم لقائل أن يقول: إن العالم في الأزل لا متحرك ولا ساكن؛ أو يجوز أن يكون ليس متحركاً ولا ساكناً، وعليه يقع برهانهم على حدوث العالم والأجسام؛ وهذا أصل الدين وما بعده دين، فإذا صاحوا به وقالوا: إنه لا يجوز ارتفاع النقيضين قال لهم: قد جوزتم ارتفاعهما في الرب القديم؛ فهم متنقلون بين أن يقولوا: لا دليل على حدوث العالم؛ أو يقولوا: لا بد أن يكون الله في جهة، وهو المطلوب.

السادس: لم ينقل ذلك عن أحد من السلف بسند صحيح مع كثرة ما نقل عنهم، ومن المحال البين أن تكون هذه المقالة صواباً ولا تؤثر عن أحد منهم.

وقد طرقوا جميع أبواب العلم ورويت عنهم الروايات الصحيحة الكثيرة فيها؛ أنّى وقد جاءت الروايت عنهم الثابتة التي تهدم هذه المقالة كما سيأتي؟

السابع: نصوص القرآن والروايات النبوية والروايات عن أئمة الإسلام كلها خلاف ذلك. فهذا القرآن مملوءاً بإثبات الفوقية له تعالى. وكذلك الروايات عن الرسول عليه الصلاة والسلام وعن علماء الأسلام، وهذا باب واسع وسيأتي مزيد ذلك إن شاء الله!

الثامن: لو أن الأمر كذلك لجاء فيه خبر عن الله وعن رسوله يقول لنا: إن الله ليس في جهة فلا تعتقدوها، وباطل أن يكون هذا هو الحق فلا يرد له خبر يرشد الضالين!!

التاسع: الذين قالوا تلك المقالة إنما قالوها هرباً من وصفه ـ عز سلطانه ـ بصفات الحدوث، ومعلوم أنه إذا أمكن أن لا يكون في جهة مع وجوده وقيامه بنفسه ورؤيته بالأبصار ـ كما يقوله الخصم ـ أمكن أن يكون فوق دون أن تلزمه صفة الحدوث، بل أمكن أن يقال: إنه جالس على العرش ـ ولسنا نزيد على الوارد ـ وأنه جسم محدود له أبعاد متناهية موصوف بصفات الحدوث فلا يصلح ترك ما جاءت به الشرائع؛ وتواردت عليه كتب الله لغير حجة. فإذا ما قالوا إنه يلزم علوه أن يكون جسماً، والجسم حادث، قلنا: إذا عقلتم أن لا يكون في جهة، والتزمتم أنه يرى بالأبصار؛ ولم تروا فيه محالاً فلا يمنع أن يكون فوق ـ كما جاء في الأديان ـ وليس جسماً.

العاشر: القائلون كذلك ليس معهم سلطان، والقول بلا سلطان غير مسموع، ولا سيما أنه مخالف العقل والنقل، والمعارضة التي زعموها قوية تأتي في القسم الثاني إن شاء الله.

الحادي عشر: لا فرق بين هذه المقالة، ومقالة من يقول: إن الله ليس موجوداً وليس حياً، ولا قادراً ولا عالماً، وليس له صفة مدح؛ ولا فعل حكمة، ولا قدرة، ولا سمع ولا بصر، ولا نعت وجودي، ومع ذلك فهو الخالق الجدير بكل جميل؛ أنه لو كلف العقل أن يفرق بين المقالتين لكع وتلبد، فإذا عافوا أحد القولين واستوحشوا منه، فليعلموا أن الآخر أخوه فليعدلوا بينهما.

الثاني عشر: من سلك هذا المسلك لم يقدر أن يثبت أمراً؛ ولا أن يقهر خصماً، ولا أن يسلم له برهان، فإنه إذا نازع مبطلاً فلا بد أن يقف نزاعهما على ضروري غني عن الحجة والاستدلال؛ فإذا خالف المنازع في الضروري وطلب البرهان عليه، وقال له هذا ضروري غني عن البرهان قال له: أنت قد نازعت في الضروري، وقلت: إن هناك موجوداً ليس في جهة، وهو من أظهر الأمور بطلاناً، وقلت: إنه مرئي بالأبصار وليس قريباً من الرائي ولا بعيداً، وليس في جهة منه، وليس جوهراً ولا عرضاً، وقد رأيت لبعض المسيحيين مؤلفاً ذكر فيه مناظرة بينه وبين عالم من المسلمين ذكر هذا المسيحي أن العالم المسلم انتقل معه إلى إبطال عقيدة النصارى في المسيح؛ وفي مريم، وفي الرب تعالى، وإبطال قولهم في الأقانيم الثلاثة، فجعل النصراني كلما قال له المسلم: هذا ظاهر البطلان، ضروري السقوط، لا يعقله أحد، يقول له: وأنت مثلي أيها المسلم. قد قلت ما هو ظاهر البطلان، قلت إن هناك رباً كامل الوصف، مرئياً متكلماً منادياً، وليس في جهة؛ فليس قول النصارى في المسيح ومريم بأبين بطلاناً من قولكم أيها المسلمون في الرب والجهة، والعقول لا حكم لها في الأديان وإلا لبطل قول النصارى والمسلمين، فاستكان المسلم ولم يجد مخرجاً من ذلك المأزق. ودارت محاورة بين واحد من هؤلاء، وبين ملحد ينكر الرب. قال الملحد: إن الطبيعة هي التي حاكت هذا العالم وبنته هذا البناء الرائع، قال مجادله: ما الطبيعة؟ أجوهر أم عرض؟ قال الملحد: ليست جوهراً ولا عرضاً، فصاح به مجادله: لا يمكن ذلك ولا يكاد يصح ما تقول. قال الملحد: فما بالك صح عندك أن الله ليس جوهراً ولا عرضاً؟! ولا فوق ولا تحت إلى آخره فأفحم المسلم. وتناظر اثنان في خلق الملائكة قال أحدهما: ما هم بجواهر ولا أعراض، فقال صاحبه: لا يسلم ذلك المنطق. لأن الموجود إما جوهر وإما عرض؛ فقال مخالفه ألست تقول: إن الله ليس جوهراً ولا عرضاً؛ ولا فوق ولا تحت؟ فانقطع، وتخاصم رجلان في الأرواح قال أحدهما: لا داخل الأبدان ولا خارجة عنها. قال الآخر: إن هذا لا يعقل فقال المبطل قد عقلت أن الله لا داخل العالم ولا خارجه؛ فخصم، والقول الذي ينتصر عليه الباطل ويهزم معه الحق ليس حقاً.

وأما القسم الرابع - وهو أن يكون في جهة غير العلو: - فجوابه من وجوه:

الأول: هو خلاف إجماع المسلمين فما قال مسلم إن الله كذلك.

الثاني: المخالفون لا ينازعوننا في أنه في جهة غير العلو؛ فلا نتجشم مؤنة الإبطال.

الثالث: هو ضد الأخبار السماوية، فهي - كما يقولون - تخبر أنه تعالى مستو على العرش وقد توجد أخبار يفهم منها بعض أنه في كل مكان، ولكن لا يوجد ما يدل على أنه في جهة غير جهة العلو.

الرابع: - بالبداهة - العلو أشرف الجهات؛ وبالبداهة أن لله أعظم الشرف وأتمه، فإذا أمكن أن يكون في جهة فلن تكون غير السماء.

الخامس: لو كان كذلك لجاز أن يقول المسلم: إن الله ورائي أو أمامي أو تحتي وبالضرورة لا يجوز؛ فإذاً لا يكون ذلك حقاً؛ ووجب بالوجوه الخمسة أنه تعالى ليس في غير العلو فقط، ووجب بها أن لا يبقى من الأقسام المذكورة إلا القسم الثالث وهو: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾[1] وهذا برهان قاطع كل ريب.

البرهان الثاني

الأخبار السمعية السماوية

وهي أقسام أربعة: القرآن. الحديث. الكتب السالفة كالتوراة والإنجيل. الروايات عن الأنبياء السالفين. فهذه أربعة أقسام من الكلام السماوي تتجاوب على أن الله فوق العالمين، ودلالتها على ما نريد من وجوه:

الأول: اتفاقها عليه بلا خوف.

الثاني: كثرتها كثرة تفوت الحصر والإحاطة.

الثالث: مجيئها بالعبارات الواضحة الجلية.

---

(١) سورة طه، الآيتان: ٥ - ٦.

الرابع: لم يوجد ما يخالفها منها ولا من غيرها.

الخامس: علمنا بالاستقراء أنه لا بد أن يكون في العرب من يتلقى تلك النصوص على ظاهرها ويدينها كذلك، ومعه لم يأت لفظ واحد يقول: إن الظاهر غير مراد وأنها مجازات وكنايات عن كذا وكذا.

السادس: الرغبة عن التعبير بما يقولون: إنه المعنى مع القدرة عليه ومع العلم أنه ما نزل كتاب من السماء إلا للهداية والتيسير، فلو كان ما يقولونه مراداً من الاحتمالات والألغاز لجاء به خير، وأما من يقول إنما جاءت النصوص ـ كذلك ـ امتحاناً للعباد وفتنة، فهو قول جاهل مفتون.

السابع: لو لم يكن كذلك لكانت كتب الله نقمة على الناس وشراً، ولكان خيراً لهم لو لم تنزل عليهم؛ ولو لم يأت إليهم وحي من السماء، وقد لزم قول هؤلاء أن الله ـ أرحم الراحمين ـ قد بعث إلى عباده بقانون ظاهره كفر وزيغ، ولم يقم على ما يريد قرينة، وطلب منهم أن يفهموا الحق الغامض، وإلا كفروا وهلكوا، ولو فعله مخلوق مع مخلوق آخر لكان من السفهاء الظلمة. ولو أن أمير البلاد بعث بخطاب إلى قومه مملوء بالمجازات المحجوبة وطلب منهم أن يعرفوا ما يريد ولم ينصب عليه شاهداً لكان من المعتدين الجاهلين.

الثامن: اختلاف الأساليب، وتعددها، وهاك نموذجاً من اختلافها: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾(١)؛ ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾(٢)؛ ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾(٣)؛ ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾(٤)؛ ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾(٥)؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾(٦)؛ ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥﴾(٧)؛ ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾(٨)؛ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾(٩)؛ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾(١٠)؛ ﴿ثُمَّ

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٥٨.
(٥) سورة المعارج، الآية: ٤.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.
(٧) سورة القمر، الآيتان: ٥٤ ـ ٥٥.
(٨) سورة الزمر، الآية: ١.
(٩) سورة النحل، الآية: ٥٠.
(١٠) سورة الملك، الآية: ١٦.

﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾(١)؛ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾(٢)؛ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾(٣)؛ وشبهه كثير، تعدد في المبنى مع اتحاد في المعنى. ومثل هذا لا يجوز أن يكون مجازاً كاذب الظاهر.

التاسع: لم تأت رواية عن واحد من السلف أنه قال: ظواهر الكتاب والسنة ليست مرادة، بل جاء عنهم الإيمان بها والأمر به؛ ومن الباطل أن يكون الظاهر باطلاً فلا يعرفوه، أو يعرفوه فلا يحذروا منه، أو يحذروا منه فلا يصل إلينا.

العاشر: لم يجيء عقل ولا نقل يرشد إلى صرف الظاهر ونبذه فلا تجوز مخالفته بغير برهان.

الحادي عشر: لا يمكن غير ذلك كما بيناه في البرهان الأول، وكما بينا أن القول غيره جنون.

الثاني عشر: ما عهد في لغة من لغات العالم أن يقع في مؤلف من مؤلفاتها دنيوي أو ديني ألفاظ كثيرة على معنى واحد، وكلها مجازات لا تختلف؛ مثل ذلك لم يعهد ولن يعهد؛ وهذه الكتب أمامنا.

الثالث عشر: لو كان كذلك لجنينا على الألفاظ شر جناية، ولعريناها من أن تكون موطناً للثقة والإفادة، فإنه إذا صح أن تكون مثل هذه الألفاظ في علو الله مجازاً كافرة الظاهر؛ سقط الاعتبار بالألفاظ، ولم تعد نافعة؛ وهذا عين الهوس.

هذه أمور تفيدنا أن علو الله حقيقة تمنع المجاز والتأويل؛ ومن نحا إلى التأويل في هذه النصوص علق به عدة أمور:

الأول: اتهامه وحي الله بالتدليس وتعمية الحق.

الثاني: نزع الثقة من كلام الله وكلام رسوله في أشرف المسائل وهو باب الإيمان والعقيدة.

الثالث: تسلط الملحدين على إفساد النصوص وتمكنهم أن يحرفوا الشرائع

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الأعلى، الآية: ١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

ويردوها بضروب من التأويلات. مثل مباحث البعث والنشور والجنة والنار والصراط والميزان وعذاب القبر ونعيمه، فإذا قيل لهم هذا خلاف ما يريد الله وخلاف المعقول ـ يقيناً ـ قالوا قد قال غيرنا شراً من قولنا وأبعد عن المعقول في مسائل علو الله وصفاته ويوردون لأنفسهم من المعاذير والشبه أكثر مما يورد هؤلاء وهل ضلت طائفة الباطنية والنصيرية والإسماعيلية إلا بالتأويل البعيد وهتك حرمتها بالمجاز؟!

الرابع: ذمهم بذلك السلف الصالح أقبح ذم؛ فقد صمتوا أجمعون عن بيان الحق، وعن تأويلهم الظواهر مع أنهم يعلمون أن ظاهرها لا يراد بل كفر وغي ـ كما يزعم هؤلاء ـ وأمر كهذا لا يجوز أن يصمت عنه مسلم.

الخامس: قد فتحوا على أنفسهم وعلى الأمة الإسلامية باب المشاغبات والجدال مثير الاحن والعداء، وكم في كنف ذلك من عيوب! وكم فيها من آفة باطنة وظاهرة؟ ولولا تأويلاتهم الزائغة لما وقع كل ما وقع.

السادس: تناقضوا ولم يجروا على نمط سوي، بل أولوا الأمر وتركوا نظيره، وكفروا بآية وآمنوا بأختها، وهو وهن في البحث: مثلاً يؤولون آيات العلو ولا يؤولون آيات الرؤية والسمع والبصر.

السابع: قد ظلموا اللغة العربية التي هي أشرف اللغات ـ كما يقولون ـ قالوا: إنها تأتي بمثل تلك الألغاز والإيماء، وإنها قد تورد المعنى الواحد المتجوز فيه بعبارات كثيرة جميعها مجاز، ومثل هذا يحفظ اللغة وينقصها.

البرهان الثالث

احتج القرآن الكريم في مواطن كثيرة على إبطال ربوبية كثير من الأجسام المحاطة بالجهات المتمكنة في الأحياز بغير هذه الحجة: احتج ـ كما حكي عن إبراهيم عليه السلام ـ على إبطال ربوبية النجم والشمس والقمر بأفولهن واحتجابهن وهو يراهن سائرات في الجهات؛ فلو كان الرب لا يكون في جهة لاحتج على مطلوبه بكونهن في الجهات: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ

﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٧٨﴾[1] واحتج حكاية عنه أيضاً على الذي حاجه في ربه ليبطل ربوبيته بأنه لا يقدر أن يحيي ولا أن يميت، ولا أن يغير مجرى شيء مما هو لازم حالة واحدة فلا يأتي بالشمس من المشرق إلى المغرب مثلاً، ولو أن الرب لا يكون في جهة لاحتج بأنه في جهة على إبطال ربوبيته، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2] واحتج على إبطال ربوبية عيسى وأمه ـ عليهما السلام ـ بأنهما مولود ووالد، وبأنهما يأكلان الطعام؛ ولو أن الرب لا يكون في جهة لكان حلولهما في جهة هو الحجة، قال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٧٥﴾[3]: واحتج على إبطال ربوبية عجل بني إسرائيل بأنه لا يرجع قولاً ولا يملك نفعاً ولا ضراً، ولو أن الرب منزّه عن الجهة لكان كونه في جهة هو الحجة. وكان فرعون مدعياً الربوبية وكان موسى يحتج على إبطال دعواه، ولم يحتج بكونه في جهة، إلى غير ذلك مما ذكره القرآن، ونظيره في السنة عن الرسول عليه الصلاة والسلام هذه قصة الدجال الكذاب الذي يطلع في آخر الزمان، ويزعم أنه رب العالمين متواترة في كتب السنة قطعية لدى علماء الحديث، يحتج الرسول ﷺ ـ ويعلم أصحابه أن يحتجوا ـ على أنه كاذب ليس رباً بأنه أعور والله ليس بأعور؛ وبأنه مكتوب بين عينيه كافر، ولم يحتج بكونه في جهة؛ ولسنا نشك ـ إذا جانبنا الهوى وأنصفنا الحق ـ أنه لو كان الرب منزّهاً من الجهات لكانت هذه هي الحجة؛ أو لكانت أفضل حجة على إبطال ربوبية هؤلاء، ولعل هذا البرهان أنفع البراهين وألصقها بعقول العامة وأشباههم.

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٧٥ ـ ٧٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٥.

البرهان الرابع

لا جرم أن العقيدة أفضل ما جاء به الإسلام؛ وأعظم ما اجتهد في تصحيحه القرآن، حتى قال بعض العلماء ما أنزل الله كتاباً، ولا بعث نبياً إلا لأجل العقيدة، ولأجل تطهيرها من الأوشاب القذرة، والأوهام الكاذبة؛ ولا جرم أن ما تعلق بذات الله منها هو أشرفها وأولاها بالعناية والاهتمام، ولا جرم أن مسألة علوه من ذلك في المحل الأرفع، ولا جرم أن الله رحيم بعباده محب هداهم كاره ضلالهم يريد لهم الخير واليسر، ويكره لهم الشر والضيق، ولا جرم أن محمداً رسول الله ﷺ لم يأل في نصحهم ولم يترك وسعاً في إصلاح فاسدهم، ولا جرم أن الكتاب والسنّة مملوآن من إثبات العلو له تعالى، طافحان بنسبته إليه تقدس، ولا جرم - بعد ذلك كله - أنه لا يوجد في القرآن ولا في الحديث لفظ واحد يقول: أيها الناس - أو أيها المؤمنون: - اعلموا أن الله ليس في جهة، وأنه لا يجوز في حقه؛ وأن النصوص الموهمة علوه مؤولة مصروفة عن ظاهرها إلى ضروب المجاز والكنايات والاستعارات، لا جرم أن هذه حقائق ثابتة لا يحوم حولها شك ولا يمسها ريب، ولا جرم أن المخالفين لنا في نفس الدعوى وأصل الموضوع لا يخالفوننا في واحدة من الحقائق المذكورة، ولا جرم أن النتيجة البارزة المحصلة من مجموع هذه الأمور: أن الله فوق العالمين وأنه لا يجوز غيره، وأن النصوص القائلة بعلوه باقية على بابها وظاهرها، وأن قول غير ذلك طعن في الرسالة وفي الرسول، طعن في الحق سبحانه وفي رحمته وعدله وحكمته، وأن المخالفين المؤولين طاعنون في الله وفي كتبه وفي رسله حيث لا يشعرون. فسلم بهذا البرهان القاهر قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾[(١)] وشبائهها من التكذيب والتحريف الشائن.

البرهان الخامس

إجماع السلف، والبرهان مؤلف من مقدمتين:

الأولى: إن السلف أجمعوا على علوه تعالى.

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٦.

الثانية: إن إجماعهم حجة. أما المقدمة الأخيرة فالخصم لا ينازع فيها، فلا نطيل القول إذاً؛ والبراهين عليها كثيرة ليس هذا مكان ذكرها. وأما المقدمة الأولى فبرهان صدقها أمور:

الأمر الأول: نقل العلماء الصادقين عنهم ذلك بالمؤلفات الشهيرة المنتشرة بين المسلمين، الحجة عندهم. وممن حكى الإجماع الأوزاعي، فروى عنه البيهقي في كتابه (الأسماء والصفات) ورواه غير البيهقي قوله: «كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول: إن الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنّة من صفاته تعالى» وحكاه أيضاً عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه: (النقض على بشر بن غياث المريسي) قال الدارمي: اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سمواته على عرشه» وحكاه الترمذي في جامعه وقد تقدم، وقال ابن عبد البر: «أجمع علماء الصحابة والتابعين أن الله على عرشه وعلمه في جميع الأماكن؛ وما خالفهم أحد يعتد به» وقال: «أجمع أهل السنّة على الإقرار بأخبار الصفات الواردة في القرآن والحديث وقالوا إنها حقيقة لا مجاز» وحكى الإجماع الإمام القرطبي في تفسيره وتقدم، وحكاه ابن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب السنّة له، وحكاه ابن رشد في فلسفته وقد تقدم وحكاه غير هؤلاء من أئمة المحدثين والمفسرين وهو كثير جداً ومن داخله فيما نقول شك، فأمامه الكتب التي ذكرناها، ومن لابسه ريب في صدق هؤلاء فليس عنده أحد يثق به غير (مجلة الأزهر نور الإسلام) وأبطالها الموسومين بالورع والزهد والتضلع من علوم الحديث.

الأمر الثاني: الروايات عنهم المبثوثة في كتب الحديث والتفسير وكتب الوعظ والتوحيد، وهو كثير يعز إحصاؤه، ومن أحب أن يقف على جملة من ذلك فعليه بكتاب الأسماء والصفات للبيهقي وكتاب السنة لابن الإمام أحمد وكتاب السنّة للإمام اللالكائي الطبري، وكتاب الإمام البخاري (الصحيح) (وخلق أفعال العباد) وكتب الإمام الأشعري مثل (الإبانة) وسواها، وتفسير ابن جرير وتفسير ابن كثير وتفسير البغوي وجامع الترمذي وسائر كتب الحديث لا أخص واحداً منها، فمن ودَّ أن يتبين ذلك فعليه بالكتب المشار إليها، وما العلم وما الدين إلا ما نقلته ورضيته؛ وإني لا أحب أن يقلدني أحد بل أحب أن يجتهد وأن يأخذ من حيث أخذت. والكتب ـ والحمد لله ـ سهلة المنال، لا يعز على أحد قراءتها.

الأمر الثالث: ـ الدال على إجماعهم ـ هو سكوتهم على تلك الظواهر ومجانبتهم صرفها عن ظاهرها، فلو كانوا لا يدينون ظاهرها لما حل لهم أن يسكتوا عن بيانها، والتحذير منها، فإن التحذير من الضلال هدى ودين، ونصح لله ولرسوله وقد جمعوا ذلك كله، وما جاء عن واحد منهم بسند يقبل أنه صرف شيئاً عن ظاهره، ولا أنه قال: لا تعتقدوا ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾[1] وغيرها. ومن المحال البين أن يكونوا لا يؤمنون بالظاهر، وأن يروه كفراً ثم يسكتوا عليه من دون بيان مع قدرتهم على البيان ـ وقلة المانع منه، وقد تكلموا على كل أبواب العلم والدين بتوسع وإيضاح.

الأمر الرابع: نعرف بالاستقراء والتواطؤ أن السلف لم يكونوا يخالفون ظواهر الدين وما يتبادر منه عندما يسمع. لم يعهد مثل ذلك عنهم بل المعلوم عنهم أنهم يلزمون ظواهر الدين وما بان منه بدون تكلف وتأويل ولا تعمق.

هذه أوجه أربعة تفيدك أن السلف كانوا مجمعين على علوه تعالى وعلى أن الأخبار في علوه بريئة من التأويل. ومخالفونا لا يخالفوننا في المقدمة الثانية وإنما يخالفون في الأولى؛ وحينئذٍ يرد عليهم أمور:

أحدها: أن يكذبوا الروايات عن السلف المتواترة، وهذا يؤدي إلى تكذيب أكثر الدين، وإلى تكذيب السنّة كلها، ويفتح الباب للمكذبين على مصراعيه.

الثاني: أن يصدقوا تلك الروايات، ويصرفوها عن ظاهرها، ويجعلوها مجازات ـ كما فعلوا بالقرآن والسنّة، وهذا أسهل الأمرين على أنه يلزمه أمور باطلة:

الأول: أن لا يعلم مذهب أحد من الناس. أكفر أم إيمان؛ لوجود هذه الاحتمالات من المجاز.

الثاني: أنهم لا يرضون ذلك التأويل والمجاز في كلام خصومهم ومخالفيهم، فإذا قيل لهم: قولوا في كلام المعتزلة والجبرية والكرامية والشيعة ـ مما ترونه ضلالاً ـ إنه مجاز مصروف عن ظاهره ـ كما قلتم فيما نقل عن

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

السلف والأمران شرع ـ أبوا ذلك. وكذلك لا يرضون أن يقال مثله فيما نقل عن ابن تيمية وابن القيم ومن ذهب مذهبهم. بل يتركون كلامهم الذي يظنونه باطلاً على ظاهره ويضللونهم أو يكفرونهم من جرائه، وكذا لا يرضون أن يذهب هذا المذهب في كلام الكفار من يهود ونصارى ومجوس، وكان الحق من مذهبهم أن يرضوه وإلا تناقضوا.

الثالث: نستطيع أن نؤول مثل ما أولوا في المنقول عمن يرونهم راشدين موافقين لهم كالرازي والآمدي وابن سينا وأضرابهم. فنقول: إن ما ينقل عنهم مما يدل على نفيهم علو الله هو مجاز مصروف عن ظاهره، والحق أنهم موافقون لنا يؤمنون بعلوه على خلقه كما تظاهرت عليه الكتب السماوية وهذا عجيب؟

الرابع: إن ذلك صريح لا يجوز عليه خلاف، وهو مكرر عنهم تكريراً يحسم كل شك وريب، مؤكد بعبارات تبرأ من كل مجاز وتأويل، ولقد رأيت آخر من ألف في المسألة انتحى منتحى غريباً: عمد إلى ما نقل عن بعض الحنابلة؛ وإلى ما ذكره ابن القيم في الصواعق، وما ذكره الذهبي في كتاب العلو، وما ذكره ابن تيمية في سائر كتبه: عمد إلى ذلك فأبقاه على ظاهره ولم يرض فيه مجازاً فضللهم من أجله وكفرهم حيناً، وعمد إلى ما نقل عن الأئمة الأربعة وغيرهم، وإلى ما نقل عن المحدثين مما هو شبيه كلام الأولين صراحة فأوله ونحاه عن ظاهره فنجاهم من تكفيره وتفسيقه!

وكان حالهما في الحكم واحدة ... لو احتكمنا من الدنيا إلى حكم

وليس هذا المصنف أول من جاء بالعجائب، ولا أول من فرق بين المتفقات وإني أتحدى جميع المخالفين أن يدلوا بدليل واحد عن رجل واحد من السلف بنقل صحيح أنه نفى علو الله، وأول الوارد به. أتحداهم ـ وأنا على علم ـ أنهم لن يفعلوا

البرهان السادس

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] كل مولود خلي وفطرته. يعتقد بعد تمييزه

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

أن ربه فوق كل شيء: كل رجل وامرأة لم يتعلما يعتقدان أن الله فوق كل شيء.. هذا أمر ثابت مشهود. وهذا البرهان قائم على مقدمتين:

الأولى: إن فطرة الناس كما ذكرت.

الثانية: إن فطرتهم رشد يلزم الإيمان بها. أما الأولى فيدل عليها أمور:

الأول: حكاية العلماء ذلك، فإن المؤلفين في ذلك جميعاً يقولون كما قلنا وما قالوه إلا بعد الخبرة فالعلم؛ ثم لم ينكره مخالفوهم عليهم.

الثاني: الاستقراء الذي فعلته أنا وغيري، فامتحنت كثيراً من الأميين والأطفال؛ فألفيتهم مجمعين على أن خالقهم فوقهم، والاستقراء لا يختلف ومن شك فليفعل كما فعلنا.

الثالث: أفعال المذكورين - بل أفعال جميع المكلفين - تشهد لهذه المقدمة. فهم يرفعون أيديهم ويشخصون بأبصارهم إلى السماء عندما يطرقهم طارق؛ أو يرغبون إلى الخالق. هذه دلائل على إيمانهم بعلوه تعالى؛ والمقدمة الثانية يصدقها أمور:

الأول: الأخبار مثل قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ فقد أمره بالبقاء على الفطرة ولزومها، وأخبر أنها الدين القيم، وأنها دين الناس، ونهى عن تبديلها، ومثل قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[1] فجعل البقاء على الفطرة هو الحق والإيمان؛ وجعل تبديلها - باتباع الآباء - هو الشرك والكفران؛ وقال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» والحديث له روايات كثيرة كلها تمدح الفطرة، وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: «خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم» إلى آخر الحديث وفي بعض رواياته «خلقت عبادي حنفاء مسلمين».

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٧٢ - ١٧٣.

الأمر الثاني: اجتماع الكلمة على مدح الفطرة؛ والثناء على ما جاء من طريقها، فالفطرة ممدوحة بكل لسان، وتغييرها مذموم بكل لسان.

الثالث: مما لا يكون أن يجمع الناس غير المتعلمين ـ كافة ـ على أمر ديني عقلي وهو باطل ذلك مما لا يكون ولا يدخل في حيز الإمكان ـ عادة.

الرابع: كان الوحي ينزل والرسول يلقيه على الناس، وأصحابه يلقيه بعضهم على بعض؛ وعندهم الأطفال والعوام الذين يعتقدون هذه العقيدة، وما قالوا لهم دعوا هذه العقيدة فإنها ضلالة.

البرهان السابع

وهو خاص بالذين يؤمنون برؤيته تعالى بالأبصار ـ وهم الأشعريون المتأخرون؛ ومن وافقهم وهم أهل السنّة عند الخصم ـ نقول إن البداهة حاكمة أن كل امرئ يكون في جهة ولا بد، وأن من ليس في جهة لا يرى البتة، فمن قال إنه يرى بالعين وليس في جهة فقد عاند الضرورة! وقال ما لا يقوله عاقل حر التفكير، ولقد أشمت أصحاب هذه المقالة بأنفسهم عداهم وسلطوهم عليهم بالسخرية والاستهزاء. قال أحد الروافض المعروف بابن المطهر في كتاب صنفه في الإمامة وهو الذي نقضه شيخ الإسلام ابن تيمية بكتابه (منهاج السنّة) قال الرافضي ساخراً: «وذهبت الأشاعرة إلى أن الله يرى بالعين مع أنه مجرد عن الجهات، وقد قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[1] وخالفوا الضرورة، لأن المدرك بالعين يكون مقابلاً أو في حكمه، وخالفوا جميع العقلاء في ذلك، وذهبوا إلى تجويز أن يكون بين أيدينا جبال شاهقة من الأرض إلى السماء؛ مختلفة الألوان ولا نشاهدها وأصوات هائلة لا نسمعها، وعساكر مختلفة متحاربة بأنواع الأسلحة بحيث تمس أجسامنا أجسامهم ولا نشاهد صورهم ولا حركاتهم، ولا نسمع أصواتهم الهائلة، وأن نشاهد جسماً أصغر الأجسام كالذرة في المشرق ونحن في المغرب مع كثرة الحائل بيننا وبينها، وهذا هو السفسطة».

وقد استنكر هذي المقالة على الأشاعرة كثير من فضلائهم، وقال الرازي:

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

«إنهم خالفوا بها جميع الطوائف من العقلاء، وخالفوا الضرورة والبداهة» نقول: حينئذ لهؤلاء: ما لكم خالفتم الأخبار السماوية فقلتم لا يكون الرب في جهة؟ فإذا قالوا فراراً مما يلزم من الحدوث والتركيب، وموافقة المخلوق في صفته، قيل إذا أمكن أن يرى بالأبصار ولم يلزمه أن يكون في جهة، ولا أن يكون محدوداً ذا ألوان وهيئة وضعية في عين الرائي، أمكن أن يكون في جهة، وليس مركباً ولا محدوداً؛ ولا موصوفاً بصفة حادث، ولا أن يكون جسماً بل أمكن أن يكون جسماً وليس مركباً؛ وأمكن أن يكون مركباً وليس مجامعاً لمخلوق على صفة، وأمكن أن يوصف بصفة الحادث وليس بحادث؛ بل أمكن أن يوصف بكل شيء مع نفي ما يستتبعه، وجلي أن قول القائل: الله جسم مركب من جواهر وأعراض له مقاطع وأطراف مع أنه رب قديم، خالق كل شيء من الجواهر والأعراض ليس أبطل - في نظر العقل - من قول الأشاعرة: مرئي وليس في جهة. والعجب ممن يفند رأي من يقول: إن الله فوق ولا يكون في جهة، أو يقول في جهة وليس جسماً ولا موصوفاً بصفة الأجسام، ولا يفند من يقول: مرئي وليس في جهة ولا محدوداً؛ والقولان سواء. وتفسير هذا البرهان: أن المخالفين في علوه، الموافقين على أنه يرى بالأبصار يدينون ما ورد بالشرع مع ترك لوازمه، ويؤمنون بالأمر مع كفرهم بمستتبعه، وإذاً يجب عليهم أن يؤمنوا بعلوه تعالى، ويكفروا بما يزعمونه لازماً أو ينازعوا في لزومه. ومعناه أيضاً أنه يلزم رؤيته بالأبصار أن يكون في جهة لزوماً لا مناص منه، ومعناه أيضاً أنهم يلغون حكم العقول فليلغوا حكمها هنا فلا يعارضوا الأخبار الدالة على العلو بها.

البرهان الثامن

تناقض النافون علوه ولزمهم الباطل، وعجزوا عن نصرة الحق. وذلك يدل على بطلان مقالتهم هذه؛ فالحق لا ينهزم معه الحق بل الحق مع الحق يقوى وهو مع الباطل يضعف؛ قالت المعتزلة: إن الله لا يرى بالأبصار ولا تجوز رؤيته، فقالوا لهم: تظاهرت النصوص على أن المؤمنين يرون ربهم في دار السلام، واتفق السلف عليها، فقالوا: نحن أولنا نصوص الرؤية ودفعناها بضروب من التفسير هرباً من أن نقع فيما دفعتم له نصوص العلو بضروب من

التفسير. فعدلتم بأخبار العلو عن وجهها لأن إبقاءها على ما ظهر منها نقص لديكم في ذات الباري؛ ومثله فعلنا نحن في أخبار الرؤية ـ على أن ما فعلتم أقبح. فأخبار العلو أكثر وأصرح مما جاء في الرؤية، وحقوق الإجماع عليه أوضح؛ فلم يجدوا مذهباً عن هذه المعارضة: قالت لهم الكرامية: إن الحق سبحانه جسم وليس مركباً وليس محدوداً، فقالوا: إن جميع الأجسام مركبة، وجميع المركبات حادثة، قالت الكرامية: نقول جسم ولا نقول مركب، وليس باطلاً ـ كما تقولون: مرئي وليس في جهة؛ وموصوف وليس ذا عرض، ولم تروه باطلاً: قالت لهم نفاة الصفات: إن الله لا يوصف بصفة، فقالوا بالبداهة لا يكون رحيم بلا رحمة، ولا عالم بلا علم؛ ولا قادر بلا قدرة، ولا خالق بلا خلق، ولا موجود بلا وجود؛ فأجابوهم. وقالوا مثل ما قلتم موجوداً راء مرئي رحيم بصير سميع وليس في جهة؛ وليس بقريب ولا بعيد، قال لهم نفاة بعث الأجسام ـ من الفلاسفة وغيرهم: ـ بعث الأجسام غير ممكن فلا يكون. لأنها مؤلفة من الذرات المتنقلة من جسم لآخر. من مؤمن لكافر؛ ومن كافر لمؤمن. ومن إنسان لحيوان ومن حيوان لإنسان. فلا يمكن تعذيب تلك الذرات ولا تنعيمها لما يلزمهما من الظلم أو السفه. فنحن نصرف أخبار بعث الأجسام لأجل ما ذكرنا؛ فإذا قالوا لهم: إن تأويلها ليس تأويلاً وإنما هو تكذيب بحيلة، فإنها ظاهرة ببعث الأجسام ظهوراً يمحق كل تأويل، قالوا لهم ليست نصوص البعث بأبين فيما ادعيتموه من نصوص علو الله على خلقه، وقد عفوتم لأنفسكم أن تأولوها، وقال لهم منكر ووقوع الوعيد في الآخرة على الكفار والفساق: إننا لا نستطيع أن نعقل أن الله تعالى يعذب أحداً في الآخرة؛ فالأخبار في ذلك متروكة الظاهر للحجة العقلية. لأن التعذيب إما أن يكون لفائدة أو لغير فائدة. أما لغير فائدة فسفه وقسوة تسبح الله عنهما، وأما الفائدة فإما أن تكون لله أو لغيره:

أما الأول: فالله غني عن العالمين. فلا فائدة له في تعذيب أحد؛ وأما الثاني فإما أن تكون لنفس المعذب أو لغيره.

أما الثاني: فلا فائدة لغيره في أن يعذب غيره، ولو كانت لما صح أن يعذب أحداً لإرضاء أحد.

وأما الأول: فنعلم ـ يقيناً ـ أنه لا فائدة لفرعون في تخليده في النار، لأجل ذلك أولنا نصوص الوعيد، قال لهم ليؤمنون بوقوع الوعيد الكافرون بعلوه تعالى: إن أخبار الوعيد لا يطولها التأويل لجلاء معناها، فتأويلها كفر بها. قالوا ليست بأجلى من أخبار علوه وقد صرفتموها فأنتم مكذبون إذاً: قال لهم الروافض، إن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾[1] إلى آخر الآية في حق عائشة وقوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾[2] البحرين هما الحسن والحسين، واللؤلؤ والمرجان ولدهما؛ وقوله: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3] يريد آل الرسول عليه السلام، والذي يخرج من بطونهم هو الهدى والعلم، قالوا لهم هذا تفسير باطل لغة وضرورة وديناً. قالوا لهم ليس أظهر بطلاناً من تفاسيركم أخبار علوه تعالى. كذلك كل طائفة ضالة تقدر على معارضة هؤلاء بمثل كلامهم فتنتصر عليهم. ولا ريب أن قولاً ينتصر عليه الباطل وينهزم معه الحق ليس حقاً.

البرهان التاسع

الضرورة النفسية، والدواعي القلبية. إن كل مخلوق يقر بالحق سبحانه يجد في نفسه مخاطباً كلما ذكره: إن ربي لفي السماء؛ أمر لا تنازع فيه هجسات القلوب؛ ولا تخالف عليه دقات الضمائر؛ والمخالفون يجدونه بأنفسهم وإن جحدوه بألسنتهم ولهذا الوجدان مظاهر وأمارات: منها رفع الموافق والمخالف يده عند الدعاء؛ ومنها رفعه بصره عند الرجاء وعند نزول البلاء، ومنها عروج القلب ـ إذا صدمه صادم ـ إلى السماء. روي عن أبي جعفر الهمداني أنه قال لبعض المنكرين علوه تعالى: إن الاستواء علم بالسمع ولو لم يرد به لم نعرفه، وأنت قد تأوله فدعنا من هذا، وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة الرحمٰن، الآيات: ١٩ ـ ٢٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٦٩.

فإنه ما قال عارف قط: يا الله إلا وقبل أن ينطق بلسانه يجد في قلبه معنى يطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة، وهل عندك حيلة في رفع هذه الضرورة عن قلوبنا، فصاح المسؤول وقال: حيَّرني الهمداني. والهمداني يريد أن معرفة علو الله ضرورية، والشبه التي تعارض علوه نظرية، والنظري لا يقدح في الضروري، وإلا لبطل الضروري والنظري معاً، لأن كل نظري لا بد أن يقف عند ضروري لا نزاع فيه. وقد أنصف المسؤول الحجة إذ ظهرت، ولم يعاند شأن أهل زماننا، فرحم الله السلف؛ ما أتقاهم لربهم، وما أقر بهم إلى الحق والنصف! وما قاله الهمداني حق يجده في نفسه كل عارف: يجده في نفسه ـ وإن جحد به لسانه، فاللسان يقول ما لا يقرّه الجنان، ولهذا لا تجد خلافاً بين عامة الناس وسذجهم البرآء من الهوى والعصبية في أن ربهم فوقهم وامتحن من شئت من البعداء عن التعليم والمدارس والمعاهد، فإنك لا تلقى بينهم خلافاً، ولقد يسهل على المعلم أن يلقن تلاميذه الإلحاد والكفر ويرسخه في أعماق نفوسهم ويصعب عليه أن يقنعهم أن هنالك رباً عظيماً بريئاً من الجهات! ولست أقول إلا عن خبرة طويلة، وتجربة صادقة، ولا يبعد على أحد أن يجرب كما جربت، فيعلم مثل ما علمت. وقد سمعت كثيراً من طلاب الأزهر وطلاب المدارس يقولون إننا لا نعقل ما تذكره كتب الدين المدروسة لنا من أن ربنا ليس في جهة. هذا شيء لا نعقله ولا نستطيع أن نعقله. وقد أردت أن أخبر مقدار تمكن هذه العقيدة من قلوب بعض الناس، فأخذت أقص عليه من هذيان الرازي والآمدي ونظرائهما في تبرئة الرب من الجهة، وبعد أن أقص ما أقص يقول إنني لا أقوى على نقض ما تورد، إلا أن ذلك لا يمكن أن يقر في قلبي، فإيماني ببطلانه أقوى لدي من كل برهان وأظهر من جميع المقدمات الضرورية المسلمة لدى الخاص والعام. وخاطبني جملة من طلاب الأزهر ونازعوا كثيراً ثم اقتنعوا بأن الرب فوق خلقه. وقالوا إننا أخذنا عقيدتنا هذه على إباء ومضض وما جازت آذاننا ولا وصلت فناء قلوبنا؛ ولكن فهمنا مدرّسونا أن الدين فوق العقول وفوق التفكير؛ فهما عبدان له خاضعان لأوامره وقلنا سمعنا بآذاننا وقلوبنا بها صمم وسكتنا مرغمين. وسألت أيضاً طالباً أزهرياً عما يقرأه في كتب الأزهر التوحيدية أن الرب ليس في مكان، لمعنى ذلك؟ قال: إنها تريد أنه في جميع الجهات ـ إذ لم يفهم قصد المؤلفين أنه

لا يكون في جهة ـ فقلت له ليس ذلك تعني وإنما تعني أن الرب لا فوق ولا تحت ولا في جهة ما فانقبض، وقال: لا يمكن أن يؤمن إنسان بما تذكر، قلت إن كثيراً من شيوخك يقولون إنهم به مؤمنون سراً وجهراً، قال: لن يكونوا كذلك. ولا أن يزعموا ذلك المزعم، قلت: اذهب فاسأل فسألهم فتواردوا على ما أنكروه ويراهم منه وأراد ـ بإخلاص ـ أن ينازعهم فأكفروه، وأوعدوه بالفصل من الأزهر إن لم يتب ويدن كما يدينون! والحاصل أن علو الله فوق العالمين أمر ضروري لا يقبل فيه خلاف ولا شبه، وإلا لبطلت العلوم وفسد المنطق وفسد قولهم: «كل محدث لا بد له من محدث» وعلى تلك القاعدة بنوا دينهم وتوحيدهم؛ ولا ريب أن العلم ببطلان وجود قائم بنفسه ليس في جهة أعظم من العلم ببطلان وجود إلهين للعالم!

هذه براهين تسعة تتناصر على علوه تعالى. والأمر أوضح من ذلك ولكن الهدي هدي الله ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[1].

(١) سورة الكهف، الآية: ١٧.

آراء طائفة من عظماء المصريين في التوسل

نكتب لك هنا أقوال طائفة من رجال مصر المعدودين في التوسل الذي تدافع عنه مجلة الأزهر. ولتعاقبهم ـ بعد ذلك ـ مشيخة الأزهر ـ إن شاءت ـ بالتكفير والحرمان من جنة الله وغفرانه، فذلك شيء لا يعنينا؛ وإنما يعني المصريين أنفسهم، فهم الذين لهم أن يغاروا على أدبائهم وشعرائهم ويحاموا دونهم.

رأي الأستاذ فريد وجدي مدير مجلة الأزهر ورئيس تحريرها

قال حضرته (في كتابه صفوة العرفان مقدمة تفسير القرآن) تحت عنوان «الولاية والكرامة»، «أما ما وراء ذلك من دفن الصالحين في مدافن خاصة، ورفع القباب عليهم، وإيقاد السرج بجانب أضرحتهم، وترتيب الخدم لهم، ونذر النذور بأسمائهم، وتقريب القرابين إليهم، والاستغاثة في الملمات بهم، والتمسح بمقاصيرهم؛ وإعلاء قبورهم، ووضع العمائم والبراقع فوقهم، فمن أشد مناهي الشرع، وهي مما لم يحدث في الإسلام إلا بعد الصدر الأول بقرون عديدة، وهي من أفظع البدع التي بدّل المسلمون بها أكرم أصول هذا الدين المحفوظ في الكتاب والسنّة: وقد بدأت هذه البدعة في التقلص عن المسلمين شيئاً فشيئاً. بتأثير الكتابات التي كتبت في هذا الشأن من أصحاب البصر في الدين، ونرجو أنه لا يمضي كثير من الزمان حتى لا يكون لهذه البدعة أثر في نفوس المؤمنين» هذا ما قاله الأستاذ وما رجاه، ونحن نشاطره الرجاء ونرجو ـ كما يرجو ـ أن يُقضى على هذه البدع المقبوحة شرعاً وعقلاً، وأن لا ينسأ لها في عمرها؛ فطالما وضعت نفوس أهل التوحيد ووضعت رؤوسهم تحت الأقدام، وسلبتهم الأنفة والعزة؛ ونقول للأستاذ: قد مكنك الله من محاربة هذه البدع والقضاء

عليها؛ أو على أكثرها بعد أن ولاك رئاسة مجلة الأزهر التي طالما لوثها أهلها بمناصرة هذه البدع بقلم الشيخ الدجوي البئيس! ونحن لا نرى للأستاذ عذراً في أن يسكت عن محاربة ما اعترف هو بأنه من أعظم ما نهى الشرع عنه، وأملنا فيه وطيد. ونقيد له هنا الشكران الجزيل على أن حمى المجلة من مقالات الشيخ الدجوي بعد توليه رئاستها! فهذه خطوة من خطواته الإصلاحية التي تضمن له شكر الناس وأجر الله.

رأي الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

قال في تفسير جزء عم من تفسير: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١﴾ «الكافر هو المعاند الجاحد. الذي إذا رأى ضياء الحق أغمض عينيه، وإذا سمع الحرف من كلمته سد أذنيه؛ ذلك الذي لا يبحث في دليل بعد عرضه عليه، ولا يذعن للحجة إذا اخترقت فؤاده؛ بل يدفع جميع ذلك حباً فيما وجد نفسه فيه مع الكثير ممن حوله، واستند في التمسك به إلى تقليد من سلفه، فهذا الصنف هو الذي قال الله فيـه: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ٢٢﴾[1] الآيـة بعض هذا الصنف بل الغالب من أفراده يقول للداعي إلى الحق ـ أو يحدث نفسه ليلهيها عن فهمه إلام يدعونا؟ إلى الله؟ فنحن نعتقد به أإلى توحيده؟ فنحن نوحده! وغاية ما في الأمر نتخذ شفعاء إليه نسأله بحقهم عنده، أو بمكانتهم لديه، أإلى عبادته؟ فنحن نركع ونسجد له! وغاية ما عندنا زيادة على ذلك أننا نعظم أولياءه وأهل الشفاعة عنده. ونتوسل إليهم ليتوسلوا إليه؛ هذه وساوسهم، وهذه أمانيهم، فأراد الله أن يقطع العلاقة بينهم وبين ما عليه الداعي إلى الحق ﷺ بأصرح ما يمكن أن يصرح به فقال له: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢﴾[2] أي إن الإله الذي تزعمون أنكم تعبدونه ليس هو الذي أعبده، لأنكم إنما تعبدون ذلك الذي يتخذ الشفعاء أو نحو ذلك مما تزعمون، وإنما أعبد إلٰهاً منزهاً عن جميع ما تصفون به إلٰهكم: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣﴾ أي إنكم لستم بعابدين إلهي الذي أدعو إليه كما تزعمون، فإنكم زعمتم أن الذي تعبدونه يتقرب

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الكافرون، الآيتان: ١ ـ ٢.

إليه بتعظيم الوسائل لديه، فتوسلتم بها إليه؛ وتعتقدون أنه يقبل توسطها عنده، فهذا الذي تعبدونه ليس الذي أعبده، فلهذا لا تعبدون ما أعبد، ثم لما كانوا يظنون أن عبادتهم التي يؤدونها أمام شفعائهم، أو في المعابد التي أقاموها لهم وبأسمائهم، أو يؤدونها لله في المعابد الخاصة به؛ أو في خلواتهم ـ وهم على اعتقادهم بالشفعاء ـ عبادة الله خالصة، وأن النبي لا يفضلهم في شيء نفى أن تكون عبادته مماثلة لعبادتهم، وأن تكون عبادتهم مماثلة لعبادته فقال: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾.

رأي السيد المنفلوطي الكاتب الطائر الصيت

قال في كتاب النظرات الجزء الثاني بعنوان دمعة على الإسلام «كتب إلى أحد علماء الهند كتاباً. يقول: إنه اطلع على مؤلف جديد بلغة «التاميل» وهي لغة الهنود الساكنين (بناقور) بجنوب مدارس. موضوع الكتاب حياة السيد الجيلاني ومناقبه وكراماته؛ فرأى فيه من بين الصفات والألقاب التي وصف بها الكاتب الجيلاني؛ ولقبه بها صفات وألقاباً هي بمقام الألوهية أليق منها بمقام النبوة فضلاً عن مقام الولاية كقوله: «سيد السموات والأرض»؛ «النفاع الضرار»، «المتصرف في الأكوان»، «المطلع على أسرار الخليقة»، «ومحيي الموتى»، «مبرئ الأعمى والأبرص والأكمه»، «وأمره من أمر الله»، «وماحي الذنوب: ودافع البلاء: والرافع الواضع: وصاحب الشريعة: وصاحب الوجود التام» إلى كثير من هذه النعوت والألقاب: ويقول الكاتب إنه رأى في الكتاب فصلاً يشرح فيه المؤلف الكيفية التي يجب أن يتكيف بها الزائر لقبر الجيلاني يقول: من أول ما يجب على الزائر أن يتوضأ وضوءاً سابغاً، ثم يصلي ركعتين ـ بخشوع واستحضار؛ ثم يتوجه إلى تلك الكعبة المشرفة، وبعد السلام على صاحب الضريح المعظم يقول: يا صاحب الثقلين أغثني! وأمدني بقضاء حاجتي وتفريج كربتي! أغثني يا محيي الدين: أغثني يا ولي عبد القادر! أغثني يا سلطان عبد القادر أغثني يا باد شاه عبد القادر أغثني يا خوجة عبد القادر يا حضرة الغوث الصمداني؛ يا سيدي عبد القادر؛ عبدك ومريدك مظلوم محتاج إليك في جميع الأمور في الدين والدنيا والآخرة!. ويقول الكاتب: إن في بلدة ناقور قبراً يسمى شاه الحميد. وهو من

أولاد عبد القادر كما يزعمون! وأن الهنود يسجدون بين يدي ذلك القبر سجودهم بين يدي الله! وأن في كل بلدة وقرية من بلاد الهند مزاراً يمثل مزار الجيلاني فيكون القبلة التي يتوجه إليها المسلمون في تلك البلاد؛ والملجأ الذي يلجأون في حاجاتهم وشدائدهم إليه، وينفقون من الأموال في خدمته وسدنته وفي موالده وحضراته ما لو أنفق على فقراء الأرض جميعاً لصاروا أغنياء. هذا ما كتبه إلى ذلك الكاتب. ويعلم الله أني ما أتممت قراءة رسالته حتى دارت بي الأرض الفضاء، وأظلمت الدنيا في عيني؛ فما أبصر مما حولي شيئاً ـ أسفاً على ما آلت إليه حالة الإسلام بين أقوام أنكروه بعدما عرفوه؛ ووضعوه بعدما رفعوه وذهبوا به مذاهب لا يعرفها ولا شأن له بها؛ أي عين يجمل بها أن تستبقي في محاجرها قطرة واحدة من الدمع فلا تريقها أمام هذا المنظر المؤسف. منظر أولئك المسلمين ـ وهم ركع سجد على أعتاب قبر ربما كان بينهم من هو خير من ساكنه في حياته فأحرى أن يكون كذلك بعد مماته: أي قلب يستطيع أن يستقر بين جنبي صاحبه ساعة واحدة فلا يطير جزعاً حينما يرى المسلمين أصحاب دين التوحيد أكثر من المشركين إشراكاً بالله، وأوسع منهم دائرة في تعدد الآلهة وكثرة المعبودات «ليتأمل الأزهريون» لم ينقم المسلمون التثليث من المسيحيين؟ ولم يحملون لهم في صدورهم تلك الموجدة وذلك الضغن وعلام يحاربونهم؟ وفيم يقاتلونهم؟ وهم لم يبلغوا من الشرك بالله مبلغهم! ولم يغرقوا فيه إغراقهم «ليتأمل الدجوي والظواهري».

يدين المسيحيون بآلهة ثلاثة، ولكن يشعرون بغرابة هذا التعدد؛ وبعده عن المعقول؛ فيتأولون فيه؛ ويقولون: إن الثلاثة في حكم الواحد، وأما المسلمون فيدينون بآلاف الآلهة أكثرها جذوع أشجار، وجثث أموات، وقطع أحجار من حيث لا يشعرون «ليسمع صاحب المقعد».

كثيراً ما يضمر الإنسان في نفسه أمراً وهو لا يشعر به. وكثيراً ما تشتمل نفسه على عقيدة خفية لا يحس باشتمال نفسه عليها، ولا أرى مثلاً لذلك أقرب من المسلمين الذين يلجأون في حاجاتهم ومطالبهم إلى سكان القبور، ويتضرعون إليهم تضرعهم للإله المعبود، فإذا عتب عليهم في ذلك عاتب قالوا: إنا لا نعبدهم وإنما نتوسل بهم إلى الله، كأنهم لا يشعرون أن العبادة ما هم فيه؛ وأن أعظم مظهر

لألوهية الإله المعبود أن يقف عباده بين يديه ـ ضارعين خاشعين يتلمسون إمداده ومعونته فهم في الحقيقة عابدون لأولئك الأموات من حيث لا يشعرون. جاء الإسلام بعقيدة التوحيد ليرفع نفوس المسلمين، وليغرس في نفوسهم الشرف والعزة والأنفة والحمية، ويعتق رقابهم من رق العبودية، فلا يذل صغيرهم لكبيرهم، ولا يهاب ضعيفهم قويهم، ولا يكون لذي سلطان بينهم سلطان إلا بالحق والعدل، وقد ترك الإسلام ـ بفضل عقيدة التوحيد ـ ذلك الأثر الصالح في نفوس المسلمين في العصور الأولى. فكانوا ذوي أنفة وعزة وإباء وغيرة: يضربون على يد الظالم إذا ظلم، ويقولون للسلطان ـ إذا جاوز حده في سلطانه: ـ قف مكانك، ولا تغل في تقدير مقدار نفسك، فإنما أنت عبد مخلوق، لا رب معبود، واعلم أنه لا إله إلا الله؛ هذه صورة من صور نفوس المسلمين في عصر التوحيد؛ أما اليوم وقد داخل عقيدتهم ما داخلها من الشرك الباطن تارة والظاهر أخرى، فقد ذلت رقابهم؛ وخفقت رؤوسهم، وضرعت نفوسهم وفترت حميتهم فرضوا بخطة الخسف؛ واستناموا إلى المنزلة الدنيا، فوجد أعداؤهم السبيل إليهم، فغلبوهم على أمرهم، وملكوا عليهم نفوسهم وأموالهم وديارهم فأصبحوا خاسرين، والله لن يسترجع المسلمون مجدهم، ولن يبلغوا ما يريدون من سعادة الحياة إلا إذا استرجعوا ما أضاعوه من عقيدة التوحيد، وأن طلوع الشمس من مغربها، وانصباب ماء النهر في منبعه أقرب من رجوع الإسلام إلى سالف مجده ما دام المسلمون يقفون بين يدي الجيلاني كما يقفون بين يدي الله. إن الله أغير على نفسه من أن يسعد قوماً يزدرونه ويتخذونه وراءهم ظهرياً، فإذا نزلت بهم جائحة، أو ألمت بهم ملمة ذكروا الحجر قبل أن يذكروه؛ ونادوا الجذع قبل أن ينادوه، فبمن أستغيث؟ وبمن أستنجد؟ ومن الذي أدعو إلى هذه الملمة الفادحة؟ «ادع ملك العروبة وصقر الجزيرة العربية» أأدعو علماء مصر وهم الذين يتهافتون على يوم الكنسة «ويوم الكنسة هو يوم يجتمع فيه علماء الأزهر ويذهبون إلى ضريح الإمام الشافعي فيكنسون ترابه ووسخه فيقتسمونه ليتبركوا به» تهافت الذباب على الشراب.

يا قادة الأمة ورؤساءها عذرنا العامة في إشراكهم، وفساد عقائدهم، وقلنا العامي أقصر نظراً؛ وأضعف بصيرة من أن يتصور الألوهية إلا إذا رآها ماثلة في النصب والتماثيل والأضرحة والقبور، فما عذركم أنتم وأنتم تتلون كتاب الله؛

وتقرأون صفاته ونعوته، وتفهمون معنى قوله تعالى: ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[١] وقوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[٢] وقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[٣]، إنكم تقولون في صباحكم ومسائكم؛ وغدوكم ورواحكم: كل خير في اتباع من سلف؛ وكل شر في ابتداع من خلف، فهل تعلمون أن السلف الصالح كانوا يجصصون قبراً أو يتوسلون بضريح؟ وهل تعلمون أن واحداً منهم وقف عند قبر النبي أو قبر أحد من أصحابه وآل بيته يسأله حاجة وتفريج كربة؟ وهل تعلمون أن الرفاعي والدسوقي والبدوي أكرم عند الله وأعظم وسيلة إليه من الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين؟ وهل تعلمون أن النبي حينما نهى عن إقامة الصور والتماثيل نهى عنها عبثاً ولعباً أم مخافة أن تعيد للمسلمين جاهليتها الأولى؟ وأي فرق بين الصور والتماثيل والأضرحة والقبور، ما دام كل منها يجر إلى الشرك، ويفسد عقيدة التوحيد، والله ما جهلتم شيئاً من هذا ولكنكم آثرتم الحياة الدنيا على الآخرة فعاقبكم الله على ذلك بسلب نعمتكم وانتقاص أمركم وسلط عليكم أعداءكم يسلبون أوطانكم ويستعبدون رقابكم ويخربون دياركم والله شديد العقاب» انتهى من كتاب النظرات.

رأي امير الشعراء شوقي بك في ذلك

لما ذهب إلى بعض المقامات في مصر، ورأى ما يفعله هؤلاء لديهم من التقديس والضراعات جاش صدره بهذه الأبيات ـ تحسراً على دين الله الحق قال:

لما رأيت شفاه قوم في الثرى ... وجباههم تدلى إلى الأعتاب
ورأيت في الحنفي من يسعى له ... بصحيفة مرفوعة وكتاب
وسمعت في طنطا ضراعة قائل ... يا أيها البدوي فرج ما بي
ورأيت في روما كنيسة بطرس ... تبلى الشفاه بها حديد الباب
وعلمت أن من العباد مولهاً ... يدعى لمظلمة ونصل خطاب
أيقنت أن الخلق ضلوا ربهم ... يا رب لا تأخذهم بعذاب

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦٥.
(٢) سورة يونس، الآية: ٤٩.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

وكنت أحفظ لحافظ بك إبراهيم قطعة في هذا المعنى ولكنها طارت من صدري، وهي أشد تهكماً بهؤلاء المتوسلين وتوسلهم من كل ما كتبنا.

رأي جريدة السياسة الأسبوعية

في ملحق ٣٠٣٩ من جريدة السياسة الأسبوعية بعنوان: (الفكر المصري القديم) من جملة كلام «وبجانب العقيدة في هذه الآلهة المتعددة كانت هناك عقيدة ثابتة عند الكهنة والمتعلمين بوحدانية الله. فهناك نصوص مقدسة كان يعلمها هؤلاء منها ما يقول:

(إنه خالق كل شيء في السماء والأرض، لم يخلقه أحد) أما ما وجد غير ذلك من آلهة فالاعتقاد أنهم كانوا مظهراً من مظاهره المختلفة. فهؤلاء الآلهة عند المصريين الأقدمين كالأولياء عند المصريين الحاليين (ليتأمل الدجوي وشيخه ذلك جيداً وليصادرا مجلة السياسة إن قدرا) مع فرق بسيط، فهناك كانوا مظهراً من مظاهر الله، وهنا يتوسطون بهم حتى يجيب الله دعاءهم؛ وكان عامة الشعب قلدوا المصري القديم تماماً؛ ألسنا نرى الفرد منهم يبتهل إلى الولي والسيد لقضاء حاجته!؟ حتى في قسمه يقسم بحياة السيدة زينب وحياة الحسين والبدوي، والغريب في الأمر أن كل فرد يقسم بالولي القريب منه، وإذا ألمّت به مصيبة أو أصابه مرض، نذر النذور للأولياء؛ إذا فرج الله من كربته أو شفاه من مرضه وذهب إلى ضريح الولي وقدم الشمع والعيش والفول وما إلى ذلك من نقود توضع في صندوق النذر».

هذا نموذج من آراء الشعراء والكتاب والعلماء والفلاسفة العصريين، ولو شئنا لجمعنا لك شيئاً كثيراً، ولا شك أنك مقدم هؤلاء على مشيخة الأزهر إن كنت مقلداً ليس فيك قوة على معرفة البرهان.

هذا ما نريد أن نثبته في هذا الكتاب، وهذا جملة ما يخالف به الأزهريون الوهابيين ـ أي المسلمين ـ عموماً، وقد حققنا أن الحق في يد الوهابيين؛ وأن المشيخة مخطئة في ذلك فهل يسوغ ـ بعد ـ أن تتكلم في الوهابيين أو تنازعهم، وهلا يجب عليها حينئذ أن تعترف بالرجوع إليهم، وأن تناصرهم بعدما خذلتهم وتمدحهم بدل ما هجتهم.

خطاب إلى الشيخين الظواهري والدجوي

سلام الله ورحمته؛ أما بعد فأذكركما بقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[1] وبقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾[2] وقد أريناكم بالبراهين القاهرة من المعقول والمنقول أنَّ ما ندعوكم إليه هو دين الله الذي لا يرضى سواه؛ وأنَّ ما تدعوننا إليه ليس من دين الله ولا مما يؤيده البرهان؛ أو مما يقبله الذوق السليم؛ فالذي نرجوه الآن منكم ونطلبه ـ بإلحاح وإلحاف ـ أن ترجعوا إلينا، وأن تعلنوا البراءة مما دعوتم إليه، وأن لا تتمادوا على أغلاطكم وجموحكم عن سبيل الرشاد، وأنتم تعرفون أن الرجوع عن الخطأ ـ بعد الاعتراف بأنه خطأ ـ خير للمؤمن من أن يصر عليه ويدافع عنه عند الله وعند عباده، هذا ما نرجوه منكم ونظنه فيكم، فعسى أن تكونوا عند حسن ظننا بكم، فلا تشمتوا بكم أعداءكم ومن يتهمونكم. وبعد فقد كتبتم في مجلتكم وغيرها كثيراً، وقلتم في دروسكم العامة ومجالسكم الخاصة «إن التوسل دين يرضاه الله وكتابه» مطلقين المدح غير مبينين ما تريدون من هذا التوسل، ولا خاصين قسماً دون قسم، وهو أقسام، وليس يخفى عليكم أنكم تخاطبون الخاصة والعامة، والعامة أكثر، بل لا يسمع منكم غير العامة؛ وهم

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١٥ ـ ١٦.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ١٨ ـ ١٩.

يفهمون من كلمة التوسل جميع المنكرات التي يأتونها عند قبور الأولياء من استغاثتهم ودعائهم واستقبالهم في الصلاة وفي العبادة؛ وتقبيل أعتابهم، والركوع عليها، والقسم بها والتزامها؛ والذبح عندها، وتقريب القرابين، ونذر النذور، وإهداء الأموال إليها، والبناء على قبورهم، وزخرفتها وتشييدها، وإسراجها، ووضع الشموع فيها؛ وشد الرحال إليها، والحلف بهم والخضوع والتذلل لهم، ورجائهم وتعظيمهم والخوف منهم؛ إلى غير ذلك من لباب العبادة: نعم هم يفهمون هذه الأشياء كلها تدخل تحت ألفاظ التوسل الذي تدعون إليه، وتدعون لهم أن الله أمر به، وحض المسلمين على أن يفعلوه! فهل تريدون أن الأمور المذكورة كلها مما يتقرب به إلى الله؟! ألا تعلمون أنها محرمة كلها بإجماع المسلمين الأولين، وقد جاءت في تحريمها النصوص الكثيرة.

قال رسول الله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك»، وقال: «لعن الله زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج»، وقال: «لعن الله من ذبح لغير الله»، وقال: «لا تصلوا إلى القبور»، وقال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»، وقال: «وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»، وقال: «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله» وإن كنتم ترون ذلك محرماً، وإنما تعنون بالتوسل نوعاً خاصاً في أدمغتكم، فقد لبستم ودلستم ووقعتم في الغش، وهذا لا يجوز على علماء الإسلام أنتم تكتبون وتقولون: «إن من يمنع التوسل فهو ضال من الخوارج يكفر المسلمين ولا يحترم رسل الله ولا أولياءه» فما تقولون في رجالات مصر الذين قدمنا لكم أنهم ينكرون توسلكم، ويهجونه ويوافقوننا على حكمنا فيه، وقد كتبنا مقالاتهم بألفاظهم فما تقولون في الشيخ محمد عبده؟ أتقولون إنه وهابي كافر؟ إذن يغضب المصريون عليكم جميعاً، لأن الشيخ محمد عبده عندهم هو الإمام المقدم؛ وما تقولون في السيد المنفلوطي الكاتب المحبوب للمصريين جميعاً؟ وقد ذكرنا لكم قوله فهل ترونه مارقاً وهل تكفرونه كما تكفرون الوهابيين؟ إذن يقوم المصريون جميعاً في وجوهكم، بل ما تحسبون شعراء مصر كشوقي وحافظ وقد أثبتنا لكم أنهم يزدرون توسلكم ويذمونه أقبح الذم، بل ما تعدون الأستاذ المحقق فريد وجدي مدير مجلتكم ورئيس تحريرها؟ وقد تقدم قوله في التوسل، أتعدونه وهابياً مكفراً للمسلمين؟ فما بقي معكم

حينئذ؟ ولا تقولوا حينئذ إن المسلمين ـ ما خلا الوهابيين ـ يوافقوننا على توسلنا، بل قولوا إن المسلمين كافة وهابيون ما عدا جملة من أشياخ الأزهر القدماء وبعض الدهماء: يتساءل كثيرون: لماذا أعلنت مشيخة الأزهر ومجلتها العداء للوهابيين دون غيرهم: يقولون أتراهم أضل الناس؟ أهي لا ترى أجدر منهم بتلك الحرب الشعواء؟ أليس في بلدها الملحدون واليهود والنصارى وسائر الفرق المسرفة في الابتداع، أليس في بلدها بل في أزهرها طائفة الزيدية الذين يسبون فريقاً من صحابة رسول الله ويكفرون فريقاً، وقد سمعت بأذني وإلا صمتا زيدياً يقول إن عائشة فاسقة، ويقول إن أبا بكر وعمر وعثمان بغاة ظالمون فاسقون، وسمعت زيدياً آخر يقول إن عمرو بن العاص ـ الصحابي الجليل ـ كان زانياً كان يزني بالمصريات وسمعت زيدياً آخر يقول: إن عمرو بن العاص كان قواداً لمعاوية «أي معرصاً في لغة المصريين» وسمعت آخرين يكفرون معاوية ويرمونه بالنفاق وبكل عظيمة، وهؤلاء الزيديون ـ أصحاب هذه الفظائع ـ منسوبون في الأزهر؛ وهم من أحباب الدجوي ومن تلامذته ومن جلسائه الملازمين؛ وهو يعرفهم ويعرف عقيدتهم الشنيعة، بل أخبرني بعض هؤلاء أن الشيخ الدجوي زيدي مثلهم، ونحن لا نصدقه في هذا؛ بل نقول لعل الشيخ الدجوي أظهر لهم الموافقة والطعن في بعض الصحابة إرضاءً لهم وتقريباً. فهم محبوبون له جداً، لأنهم يكرهون الوهابيين، وقد أخبرني جماعة من الزيديين أنفسهم المتصلين بمولانا الدجوي أن مولانا الدجوي منذ ثلاث سنوات ـ أي منذ أن خرج كتاب البروق النجدية ـ وهو يستغيث بواحد من هؤلاء: يطلب إليه أن يرد على هذا الكتاب، وأنه دائماً يسأل عنه ويسأله هل انتهى من الكتاب؛ ولكنه استعاذ بغير معيذ ـ أهي ترى الوهابيين ـ لإنكارهم الوسيلة ـ أبعد عن الله وعن دينه من هؤلاء كلهم؟ هذا ما نبرىء مشيخة الأزهر من أن تراه، فلا بد أن يكون الأمر غير ذلك، ولا بد أن يكون وراء الأكمة شيئاً. قد كتبتم في الطعن على الوهابيين مقالات لا أحصي عددها، ولكني لا أحفظ أنكم كتبتم في النهي عن الزنى والربا والخمر وسائر الفواحش المحللة قانوناً، وكذلك لا أحفظ لكم مقالة في مجلتكم أو غيرها تحث على الصلاة أو الصوم أو الحج أو فريضة من فرائض الإسلام، فما هذا؟ وما تريدون؟ ذلكم مما يكثر التساؤل ويخلق الريب والشكوك حول

مشيخة الأزهر ومجلتها، وهنا أخبرني جماعة ثقات أن عالماً من مدرسي التخصيص في الأزهر يذهب كل سنة إلى فلسطين لينشر الدعوة العدائية ضد الحكومة العربية، وقد قام مرة في جامع الخليل عليه السلام، وقال: إن الهجرة الآن تجب من الحجاز؛ فقالوا له إلى أين؟ قال إلى الهند ومصر وتركيا وغيرها، فقامت عليه العامة وأخرجته من الجامع وكتبت عليه الجرائد الفلسطينية وأظهرت للناس غرضه السيئ الخبيث؛ وهذا الشيخ محبوب عند المشيخة جداً وهي التي تبعثه لهذه المهمة، ولولا حقارته لسميته، وأخبرني صديق أن الشيخ الدجوي كتب في مجلة تونسية خرافية في هذه الأيام عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والوهابيين يكفرهم فيها؛ ويدرس في جامع الإمام الحسين ﷺ شيخ من مشايخ الأزهر الكبراء فوق رأسه عمامة خضراء لا يفتأ يلعن الوهابيين ويكفرهم، وقد يأتي الآية التي لا تمت إلى التوسل بسبب فيقوم مغضباً، ويقول هذه تقطع دابر الوهابيين أعداء الله وأعداء رسله، هذه ترغم أنوفهم، وهذه تعمل وتعمل، وقد انفض من درسه كثيرون من العوام لأجل ذلك. ودرس الشيخ الدجوي في الرواق العباسي مملوء من الطعن في الوهابيين والسب لهم. وقد دخل علي الآن بعض الأصحاب؛ فأخبرني أن شيخاً من مشايخ الأزهر القدماء قال البارحة في الدرس: «إن الحجاز كان في الزمن السابق مأوى لقطاع الطريق ولسفاك الدماء؛ ويقال الآن إن هذا الرجل (يعني جلالة الملك عبد العزيز) قد قضى على ذلك كله، ولكني لا أصدق هذا القول، وإنما أحكيه فقط» فانظر هذا الشيخ كيف يقول عن ملك العرب (الرجل) لا يزيده شيئاً، وهو لو حدث عن شيخه الظواهري لملأ فمه تعظيماً له، ثم من تمرده وتمرد مشيخة الأزهر أن يشك فيما اتفق عليه الناس، من أمن الجزيرة العربية في عهد هذا الملك العادل فماذا تريدون من هذا العداء وهذه الحملة ضد هذه الحكومة العربية الإسلامية التي طالما تمناها المسلمون، وأية غاية تقصدونها؟ قد حكمتم أن من قال ربي في السماء فهو كافر، وقد نقلنا لكم عن أئمة الإسلام: الإمام أبي حنيفة والإمام الأشعري، وعن طوائف أئمة الإسلام أنهم يقولون كذلك بلا شذوذ، فهل هم عندكم كفار؟ هذا ما نرجو الجواب منكم عليه؛ وما تقولون في كتاب العلو للذهبي، وكتاب اجتماع الجيوش الإسلامية وما نقلاه عن حفاظ الإسلام؛ وعن الأئمة الأربعة، وعن

طوائف الصحابة والمحدثين والمفسرين؟ وما تقولون في كتاب الإبانة للإمام الأشعري، وفي كتاب خلق أفعال العباد للبخاري؟ هذا ما نرجوكم أن تجيبوا عليه أيضاً؟ أيها المشايخ إن المسلمين الأولين قد وقفوا على الأزهر الأموال الضخمة الكثيرة، لتكون عدة للعلماء الذين يحفظون دين الله ويدفعون عنه، فاستوليتم أنتم على هذه الأموال، فبماذا كافأتموها؟ وهل قمتم بشيء من الغرض الذي أراده أولئك المسلمون الأبرار الذين أرصدوا هذه الأموال لحفظ كيان الدين؟ أم قد عادت حرباً على الإسلام وأهله، وعدة لمن يريد إفناءه وإفناء من يحافظ عليه، أيها العلماء: ما كان هذا جزاء هذه الحكومة الإسلامية التي أحيت الشرع الإسلامي بعد أن مات، وما كان هذا اللائق بعلماء الدين نحو هذه الحكومة، بل كان الواجب عليكم أن تتفانوا في نصرتها، وأن تكونوا أول من يقطع لساناً يسيء إليها: أيها المشايخ قد كتبتم فرددنا عليكم كتابة، فلم تستطيعوا أن تردوا ما رددناه عليكم، ثم دعوناكم إلى المناظرة شفاهاً فأبيتم المناظرة؛ فقد عجزتم عنا مشافهة وكتابة، فهل يحل لكم بعد هذا أن تتكلموا وتكتبوا ضدنا، على أننا بعد هذا كله نسأل الله أن يصلحكم والسلام.

واجب المصريين الديني والوطني نحو الأزهر والأزهريين

قبل أن أودع القلم وداع لقاء لا أنسى أن أذكر المصريين بواجبهم الوطني الديني للأزهر وأهله.

أيها المصريون الغيّر: لقد أريناكم في هذا الكتاب أمثالاً عديدة، تنبىء عن التأخر الفكري في الأزهر، وتنبىء عن المرض العنيف الذي استحوذ على عقول شيوخه الأجلاء، حتى أضر كثيراً ـ وكثيراً أضر ـ بتفكيرهم، وعقائدهم وإيمانهم، ومباحثهم، ولا أدل على ذلك من أن يجهر جاهرهم؛ ويقول قائلهم ـ في صحيفتهم المعبرة عن عقولهم؛ وعن دينهم؛ وعن كل ما إليهم: ـ «إن الأموات أوفر قدرة من الأحياء» و«إن كل شيء مقدور للبشر» و«إن الأولياء يوجدون في كل مكان يسمعون أصوات الداعين، ويجيبون طلبات الطالبين ـ على اختلافها وكثرتها» ويقول: «إن السجود لهم دين يرضاه الله وكتابه» و«إن كل ما يأتيه أغتام الفلاحين والحمالين والنسوة الجاهلات لدى الأضرحة ـ من العكوف عليها، والنذور لها؛ والاستنجاد بها ـ من دين التوحيد ودين الإسلام» ويقول غير ذلك مما ذكرناه في كتابنا هذا وغيره: يقوله في مَجلتهم وعلى رؤوسهم فلا نجد منهم ثورة عنيفة تعدل بهذه الرؤوس المائلة إلى صوابها. أية قيمة للعقل والعلم والتفكير في الأزهر وعند الأزهريين إذا جاز عليهم أمثال هذه الفضائح، وأي انحراف عن الصراط المستقيم يمكن أن يكون؛ أو يخشى أن يقعوا فيه بعد ذلك؟ وكيف ترجون أن يدخل العالم المتمدّن في دين الإسلام؟ وهذا مبلغ تفكير أهله وعلمائه في جامعته الوحيدة الكبرى ـ كما يقولون وكما يتمنون؟ كيف لا يطغو الغرب على الشرق، وعلى الإسلام ويتمرد عليه وهذه عقليات رؤسائه الدينيين الرسميين؟ وكيف لا تذل هذه الرقاب للنار والحديد وقد ذلت للرفات المرجوم

الحجارة وللأموات تحت الرغام؟ كيف تنكرون على شبانكم ومتعلميكم إذا ألحدوا، وإذا جروا في أعقاب اللذات والشهوات، وهم يحسبون الدين الإسلامي ما يقوله هؤلاء المشايخ. هو الذلة للأموات والعكوف على قبورهم؟ وأنا أشهد بالله أن جعل هذه العقائد من دين الله لأشد هجواً له مما يكتبه الملحدون والمبشرون؛ وما يوجهون إليه من تهم كاذبة أو صادقة. إنكم تسألون كثيراً عن السر في كثرة الإلحاد في الأعوام الأخيرة؛ وعن سبب اتساع دولته وتحسبون عامل ذلك هو المدنية الغربية المتوثبة الفاتنة، ولكني لا أرى هذا الرأي لأن دين الإسلام يساير كل صالح جديد ـ كان ـ أو قديم. فتعالوا أركم السبب الحقيقي لذلك! إنه علماؤكم وآراؤهم المعتلة، لا أكون مغالياً ولا آثماً إذا قلت: إن هؤلاء العلماء لأكبر منفر عن الإسلام أهله وبنيه. ولا أكون مغالياً إذا قلت: إن سبب الأزمة الدينية العامة في شباب اليوم هو هذه العقائد وإلصاقها بالدين زوراً. كيف يقبل أناس يسمعون بالعزة والأنفة أن يخشعوا للأموات! وأن يقفوا بين أيديهم أذلة، وأن يرجعوا إليهم راغبين وراهبين! ذلك مما لا يكون. قد علمت كثيرين ألحدوا وأسرفوا في الإلحاد واللذات، وهم من بيوت عريقة في الدين والصلاح والورع، وقد وجدت سبب ذلك هو اشمئزازهم من العقيدة في الأموات وخرافات هؤلاء المبتدعين! وهم لا يعدون الدين إلا ما يصدره هؤلاء، وما يلفظونه لأنهم هم الرسميون، أو لأنهم هم العلماء في عرف العامة وأشباه العامة. إن الأزهر يؤمه الكثيرون من طلاب العلم من سائر الأقطار الإسلامية، وبعدما يأخذون منه ما يأخذون ـ قل أو كثر ـ وفاقد الشيء ـ كما يقول الأزهريون ـ لا يعطيه غيره ـ يرجعون إلى أوطانهم، وإلى قومهم فينشرون لديهم وينثرون عليهم ما أخذوه من الأزهر ومن أشياخه. فهل ترضون أن يذيعوا عنكم وأن يتحملوا عن علمائكم هذه البدع؛ وهذه الضلالات المخزية المطأطئة للرؤوس؟ إنكم لا ترضون ذلك، ولا ترضون أن ينسب إليكم. إن التاريخ حفيظ فاحفظوه. وانظروا ماذا يكتب لكم وماذا يكتب عليكم، واحذروا أن تكون هذه العقائد يوماً من الأيام ضحكة للأجيال الآتية في تاريخكم ولا بد، إنكم في القرن العشرين قرن الإنكار والنقد. قرن التفكير والتمييز. فانظروا ماذا يصدره معهدكم وأهله واحذروا أن لا يكون رافعاً لرؤوسكم يوم ترتفع الرؤوس، إنني أخشى كثيراً ـ وما

خشيته قد وقع ـ أن يكون أعداء الدين وأعداء الشرق من المبشرين والسياسيين يحاربوننا بعقائد علمائنا وآراء مشايخنا.

أيها المصريون الكرام: يجب أن تلتفتوا إلى الأزهر وأهله فتصلحوه أو تقضوا عليه. التفتوا إليهم وقولوا لهم: إما أن تعتدلوا وإما أن تعتزلوا، قولوا: ليمت الأزهر أو ليحيى حياة صالحة حياة جيدة. قولوا: إما الحياة وإما الممات.

أمَل

لا تمنعنك قلة الرفقاء ... من أن ترافق حكمة الحكماء

نعم الرفيق الحق إن لم تلق من ... ترضى من الرفقاء والنظراء

ما عيب مصباح النهار وما له ... من صاحب في القبة الخضراء

فابدر إلى صيد الحقيقة إن بدت ... إن الحقيقة غاية العقلاء

إن الحقيقة في الأنام خفية ... يا طالما خفيت على العلماء

لا تترك الحق المبين إذا الورى ... لم يقبلوه، ومنهج السعداء

إن الموفق - إن فطنت - لنادر ... والناس أكثرهم من السفهاء

لا تحسبن الحق وقفاً لازماً ... حبساً على الأشياخ والقدماء

فلربما رشد الصغير وضل منهاج الـ ... ـسبيل أكابر الكبراء

فالحق نور الله يبصره امرؤ ... متجنب الشهوات والأهواء

هذي مصوغة صائغ وشّاء ... تزري ببدر زائن الحسناء

لو نظمت زهر النجوم وحليت ... بالشمس لم تشرف على إيحائي

نثري شفاء للنفوس وللحجا ... ورديء شعري معجز الشعراء

لو شئت أن أهجو الهلال فضحته ... والشمس لم تفخر على الظلماء

ما عيبه إلا سلامة طبعه ... مما يشين؛ وعزة الأمراء

لهفي على أدبي المضيع بينما ... وطني وقومي فاقدو الأدباء

عجباً لقوم يظمأون وبينهم ... النيل يجري فائضاً بالماء

ويل الأديب من الزمان وأهله ... إن الأديب لمطرح البأساء

ولقد قلبت العلم لما أن رأيـ ... ـت ذويه تحت منابر الجهلاء

والفقر شين بالأديب كما الغنى ... شين بأهل العي والبخلاء

والفقر يسترق المبين بيانه ... ويصيبه بالعي والأخطاء

يا ربما أدب أضيع وحكمة ... وفصاحة ضاعت لدى الفقراء

وأديب قوم لو رعوه أفادهم   شرف الزمان ورفعة الأنواء
إن عيب قوم يتركون بلادهم   مجفوة الصفراء والبيضاء
فأنا أعيب ـ ولا أؤنم ـ أمة   مجفوة العلماء والشعراء
داء بقومي لا أطيق بقاءه   عز المجهول وذلة العلماء
إنى لآمل في الزمان وإن ـ قسا ـ   لينا ويسراً بعد ذي الضراء
كيف القنوط من الرجاء وإنني   أنمى (لنجد) منبت الكرماء
حسبي رجاء أنني أنمى له   وأحل منه نلمعة الفيحاء
وبنو رباه ذخيرتي ومهندي   عند الهياج وشدة اللزباء
أفري بهم قلب الشدائد والنوى   وأدوس عفواً هامة الجوزاء
تأبى خلائقهم ويأبى دينهم   ووصية الأجداد والآباء
أن يتركون بنيهم وأديبهم   جزر الخطوب ومطعم اللأواء
ما ضيعوا ضيفاً ولا جاراً فكيـ   ـف يضيعون مهذب الأبناء
حاشا لهم أن يعدلوا بي واحداً   من بعد ما وضحت لهم أنبائي
وأعيذهم من أن يعيل أديبهم   وأديب كل الناس في النعماء
رفق العذول فما أطوق لومه   حسبي زماني لائماً وقضائي
عابوا على تحدثي وتمدحي   بأصالتي وشجاعتي وذكائي
إن لم يبح مدح الفتى أخلاقه   بيضا فأي تمدح وثناء

عبد الله القصيمي

عبد الله القصيمي

ولد عبد اللّه القصيمي سنة ١٩٠٧ تقريباً في قرية تدعى «خب الحلوة» إلى القرب من مدينة بريدة النجدية السعودية. وكان والده الشيخ على الصعيدي ـ المولود في إمارة حائل بشمال نجد ـ والمعروف بتشدّده الديني الصارم قد سافر إلى الشارقة بعد طلاقه تاركاً ولده عبد اللّه بعهدة والدته وهو لم يتجاوز الرابعة من عمره.

وبعد زواج الأم وانتقالها إلى مدينة أخرى عاش عبد اللّه مع جده لأمه: «كل ما أعيه من الأيام الأولى لهذه الطفولة أني وجدت مع جدي لأمي.. الذي كان القحط الإنساني والقحط الطبيعي وكوارث أخرى قد امتصت منه كل شيء..». وقد اضطر عبد اللّه إلى العمل ـ بلا أجر ـ في سن الخامسة:

«كان من العدوان على البشر ومن التحقير لهم أن يسمى القوم الذين كنت أعمل لهم وعندهم بلا أجر ـ أن يسموا بشراً مع أن كل حديثهم كان عن الجنة والنار والدين والإيمان والتقوى، وعن الخوف من اللّه العادل المنتقم الرحمن الرحيم الرؤوف الجبار».

وفي سن العاشرة ضاقت الظروف المعيشية بالأسرة فانتقل عبد اللّه إلى الرياض حيث درس على الشيخ سعد بن عتيق ومنها إلى الشارقة ليتعرف على أبيه: «ولقد وجدته متديناً متعصباً بلا حدود. لقد حوّل الدين والتديّن إلى فظاظة.... أو حاول أن يبدو كذلك لأن المجتمع يريد من الداعي إلى اللّه والفضيلة أن يكون فظاً عابساً، ولا يراه رجل دين وداعية صادقاً إلّا بقدر ما وجد فيه من العبوس والفظاظة..». وتابع تعليمه بمدرسة الشيخ علي المحمود حتى توفي والده عام 1922، فالتحق بالتاجر عبد العزيز الراشد الذي أخذه معه إلى الزبير بالعراق والهند وسوريا ثم القاهرة حيث التحق بالجامع الأزهر عام 1927 الذي كان يواجه حملة واسعة من عدد من المفكرين المصريين وعلى رأسهم الشيخ رشيد رضا ومجلته «المنار». وشارك القصيمي في هذه الحملة عندما ردّ بعنف على مقالات نشرها الشيخ يوسف الدجوي عام 1931 في مجلة «نور الإسلام» وفيها هجوم عنيف على الآراء الوهابية مثل مقالته «التوسّل وجهالة الوهابيين» فأصدر القصيمي كتابه الأول وهو «البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية» وفيه نقض شامل

لحجج الشيخ الدجوي مما استدعى علماء الأزهر إلى فصل القصيمي من الأزهر فأصدر على أثر ذلك كتابين يهاجم فيهما الأزهر بعنف واضح هما «شيوخ الأزهر والزيادة في الإسلام» وكتاب «الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم» مما أكسبه شعبية واسعة في أوساط حركة التجدد الإسلامي.

وفي عام 1936، جدّد القصيمي التزامه بالدفاع عن الدعوة الوهابية في كتابه «الثورة الوهابية»، ثم تابع حملته بالرّد على كتاب أصدره في سوريا العلامة السيد محسن الأمين بعنوان «كشف الارتياب في اتباع محمد ابن عبد الوهاب»، وذلك في مجلدين من ١٦٠٠ صفحة بعنوان «الصراع بين الوثنية والإسلام».

وفي عام 1946 كانت تجربة عبد الله القصيمي قد نضجت وانتقل إلى مرحلة التحرّر والشك في الموروثات فأصدر كتابه الشهير «هذه هي الأغلال» وأهداه إلى الملك عبد العزيز وفي الكتاب حملة واسعة على الاتجاهات السلفية مما لقي ترحيباً ورواجاً كبيراً في أوساط المثقفين وردود ساخطة من السلفيين كان أبرزها كتاب العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي «تنزيه الدين ورجاله مما افتراه القصيمي في إعلانه» وكتاب «الرد القويم على ملحد القصيم» الذي كتبه صديقه السابق عبد الله بن ياسين. وقد كسب القصيمي دعوة قضائية في محاكم مصر ضد من اتهموه بالكفر. وكان من الأسباب الرئيسية في كسبه القضية هو دفاع عدد من كبار المفكرين الإسلاميين عن كتاب «هذه هي الأغلال» ومن أبرزهم الكاتب الكبير عباس العقاد.

سنة 1950 انتقل من القاهرة إلى مدينة حلوان حيث التقى هناك بعدد من الطلبة اليمنيين كان منهم اللواء عبد الله جزيلان مفجر ثورة اليمن عام 1962 وغيره من الشخصيات الذين أصبحوا فيما بعد من القيادات البارزة في اليمن مما دفع الإمام أحمد إلى الضغط على صلاح سالم بطرد القصيمي من مصر بسبب تأثيره على الطلبة اليمنيين فاعتقلته السلطات المصرية ثم تقرر نفيه إلى لبنان حيث التقى عدداً من المفكرين والناشرين.

وقد عاد القصيمي إلى القاهرة في عام 1956 ليواصل الكتابة في الصحف والمجلات اللبنانية. وفي عام 1963 نشر في بيروت أول كتبه في المرحلة الثالثة من فكره، والكتاب وهو «العالم ليس عقلاً» الذي أثار ضجة كبيرة في لبنان البلد العربي الوحيد الذي سمح فيه ببيعه. وأعقبه بأحد عشر كتاباً بلغت حداً من الجرأة والانفتاح الفكري لم يعهد الفكر العربي مثله مما زاد النقمة عليه. ونما إلى علم السلطات اللبنانية بوجود خطة لاغتياله فطلب منه مغادرة لبنان، فأقام بالقاهرة حتى وفاته سنة 1997.

وكان القصيمي «مريضاً بالتحديق بالأشياء وقراءتها...».

وتميزت كتاباته بشفافية إنسانية فريدة:

«دعوني أبكي، فما أكثر الضاحكين في مواقف البكاء...».

«دعوني أنقد، فما أكثر المعجبين بكل التفاهات...».

«أنا احتجاج، أنا رفض دائم...

أنا لست مذهباً، لست معلماً، لست صانع قيود، لست حامل قيود...

أنا أرفض الطغيان والقيود... أنا أنقدها... أنا أعدد ذنوبها...

لهذا أرفض التعاليم والمذاهب، لهذا أنقدها، أعدد ذنوبها، عيوبها... لهذا أنا لست مذهباً».

«لماذا يموت الصباح... وتنتحر الشموع... وتكتئب الزهور؟

إن كل ما في الكون من شموس وأقمار، وأزهار ومحيطات، لا يساوي دمعة واحدة تنحدر من قلب يعصره الحزن....».

وقد قال عنه أدونيس: «إن عبد اللّٰه القصيمي، في الفكر العربي، حدث ومجيء».

ببلوغرافيا لمؤلفات
وأهم مقالات عبد الله القصيمي

1 ـ **البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية**، القاهرة، مطبعة المنار، 1931، عدد الصفحات: 203 صفحات، طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.

2 ـ **شيوخ الأزهر والزيادة في الإسلام**، القاهرة، مطبعة المنار، 1931، عدد الصفحات: 76 صفحة، طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي

3 ـ **الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم**، القاهرة، مطبعة التضامن الأخوي، 1934، عدد الصفحات: 184 صفحة، طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.

4 ـ **مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها**، القاهرة، المطبعة الرحمانية، 1934، عدد الصفحات: 210 صفحات. طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2006.

5 ـ **نقد كتاب حياة محمد** لمحمد حسين هيكل، القاهرة، 1935، عدد الصفحات: 70 صفحة، طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.

6 ـ **الثورة الوهابية**، القاهرة، مطبعة مصر، 1936، عدد الصفحات: 196 صفحة طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.

7 ـ **الصراع بين الإسلام والوثنية**، مجلدان (المجلد الأول، المطبعة السلفية، عدد الصفحات: 715 صفحة، المجلد الثاني مطبعة السعادة، عدد الصفحات: 895 صفحة) 1937-1939. طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.

8 ـ **كيف ذل المسلمون**، القاهرة، مطبعة أنصار السنة المحمدية، 1940، عدد الصفحات: 143 صفحة. طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.

9 ـ **هذي هي الأغلال**، القاهرة، مطبعة مصر، 1946، عدد الصفحات: 329 صفحة.

10 ـ **العالم ليس عقلاً**، (المجلد الأول، بيروت، دار الغد، 1963، عدد الصفحات: 570

صفحة، المجلد الثاني 3 أجزاء بأسماء: **عاشق لعار التاريخ**، وعدد صفحاته: 262 طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2005. **صحراء بلا أبعاد**، وعدد صفحاته: 423 طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2003. **أيها العقل من رآك**، وعدد صفحاته: 477، دار الغد، 1967). طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2002.

11 ـ **كبرياء التاريخ في مأزق**، بيروت، مطبعة الأخوان معتوق، 1966، عدد الصفحات: 560 صفحة. طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2001.

12 ـ **هذا الكون ما ضميره**، بيروت مطبعة الأخوان معتوق، 1966، عدد الصفحات: 560 صفحة طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2001.

13 ـ **أيها العار إن المجد لك**، بيروت، 1971، عدد الصفحات: 600 صفحة، طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2001.

14 ـ **فرعون يكتب سفر الخروج**، بيروت، 1971، عدد الصفحات: 663 صفحة طبعة ثانية 2001. مؤسسة الانتشار العربي

15 ـ **الإنسان يعصي.. لهذا يصنع الحضارات**، بيروت، 1972، عدد الصفحات: 431 صفحة، طبعة ثانية مؤسسة الانتشار العربي.

16 ـ **العرب ظاهرة صوتية**، باريس، مطبعة منتمارير، 1977، عدد الصفحات: 799 صفحة.

17 ـ **الكون يحاكم الإله**، باريس، 1981، عدد الصفحات: 719 صفحة.

18 ـ **يا كل العالم لماذا أتيت؟** باريس، مطبعة تيب، 1986، عدد الصفحات: 600 صفحة، طبعة ثانية مؤسسة الانتشار العربي.

أما المقالات التي نشرها المفكر القصيمي، سواء في الصحف المصرية أو اللبنانية والتي أشغلت الساحة ردحاً من الزمن، فإن أهمها ما يلي:

- **إلى نفاة وجود الله**، من كتاب مجلة الإسلام، مجلة أنصار السنة، السنة الثالثة، العدد 27 ,1939، ص 26.

- **الانتحار بعد الانتظار**، مجلة أنصار السنة، السنة الثالثة، العدد 28 ,1939، ص 26 وما بعدها.

- **اقباسات من إنجيل لم تعرفه المجامع**، مجلة الآداب البيروتية، السنة الثالثة، العدد 7 ,1955، ص 9 وما بعدها.

- **لا تشتموا الأعداء**، مجلة الحرية، بيروت، العدد الأول، يناير/كانون الأول، 1956، ص 19.
- **الصدق خيانة وهزيمة**، **الحرية**، بيروت، العدد الثالث، فبراير/شباط، 1956، ص 19.
- **الكاتب لا يغير المجتمع**، مجلة الآداب البيروتية، السنة الخامسة، العدد 10، أكتوبر/ تشرين الأول، 1957، ص 18 وما بعدها.
- **مصارعة الثيران في السياسة الدولية**، الآداب، بيروت، السنة السابعة، العدد 12، ديسمبر/كانون الأول، 1959، ص 1.
- **هل يموت الكون؟** مجلة العلوم، بيروت، السنة 11، العدد 6، يونيو/حزيران، 1966، ص 75 وما بعدها.
- **لبنان أيها الكائن الجميل**، ملحق صحيفة النهار، بيروت، في 1967/7/23، ص 5.
- **حين يجن السادة ويدفع الأتباع تكاليف الجنون**، ملحق النهار، بيروت، 1967/7/23، ص 5.
- **أيها النفط كم أنت مفسد**، ملحق النهار، بيروت في 1968/3/24، ص 15.
- **إلى لبنان الذي أتمنى له مزيداً من الحضارة ونقصاناً في العروبة**، ملحق النهار، بيروت، في 1969/10/19، ص 5.
- **عربي يريد أن يتعلم الصدق**، ملحق النهار، بيروت 1971/6/20، ص 3.
- **إسرائيل لست موجودة**، ملحق النهار، بيروت، 1971/6/20، ص 3.
- **أمية العيون العربية هي هي أبدية؟** ملحق النهار، في 1971/8/15، ص 5.
- **شعبي شجاع جداً**، ملحق النهار، في 1971/10/10، ص 3.
- **أنا القصيمي سأحرق كتبي**، ملحق النهار، 1973/1/7، ص 11.

قال بعض الحكماء: لا يزال الناس بخير ما قالوا للمخطىء أخطأت وللمصيب أصبت، وكان أكثر ما دفعني إلى هذا النقد القارص هو تهجمهم على خلاصة المسلمين اليوم، ورميهم إياهم بالعظائم وتهييج المسلمين عليهم.

أرجوك أيها القارىء أن تقرأ الكتاب متجرداً من الهوى والعصبية مؤثراً البرهان على المشايخ والآباء والعادات. غير ناظر إلا إلى الحق، وقد قال أرسطو: أستاذي صديقي والحق صديقي فإن تنازعا فالحق أولى بالصداقة، وعليك بالإنصاف فإن خلق الإنصاف من أفضل ما وهب الإنسان، وقلة الإنصاف تحدث في العلم فساداً كبيراً .

ISBN 9953-476-88-8

9 789953 476889